الاستفادة

تأليف

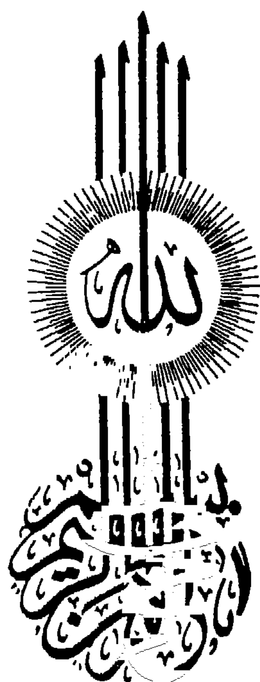
شهيد المحراب آية الله دستغيب

مكتبة الفقيه

الكويت

الاستعاذة

الطبعة الأولى منقحة
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

بلغ من المعرفة الشأو البعيد ، ومن العرفان الذروة السامقة فإن قرأته . . حدّثك ، ولحديثه من القلب إلى القلب عذوبة وحلاوة ، وإنْ سألته . . أجابك ، ولجوابه من العقل إلى العقل رصانة وطلاوة . فهو الصدق مجسّماً ، والإخلاص مبرّأً من كل شائب .

إنه العالم الجليل والعارف الشهيد آية الله عبد الحسين دستغيب ، عليه من الله رضوان ورحمة .

والكتاب الذي بين أيدينا ، وقد جاء على حلقات متصلة ، يبدو للمتعجل بحثاً يضيق عن تطلّع المتبحرّ ، ويقصر عن إشباع المتعطّش المتعمّق ، غير أن المؤلف ـ رحمَه الله ـ يأخذنا معه عبر كتابه ليمخربنا عباب بحر لجّيّ ، ويغوص بنا في أعماق النفس الإنسانية خضمّاً بعيد الغور ، نلتقط منه ـ ومعه ـ درراً من الدرر ، ونتزود منه ـ ومعه ـ بكل ما

يسدد خطونا في كل أمر هو موضوع ابتلاء في حياتنا اليومية ، بدقائقها وثوانيها ، بإجمالها وتفصيلها؛ ثم نقيم من عظاته ـ ومعه أيضاً ـ للاستعاذة أركاناً خمسة وطيدة، تكون لنا حصناً يقينا شر الزلل ، ومجنّاً يدفع عنا غائلة السقوط .

والدار الإسلامية . . إذ أخذت على عاتقها نشر مؤلفات هذا العارف الجليل ، فذلك لما تمتاز به المؤلفات ، وما يتمتع به مؤلفها من صدق وإخلاص ، ومعرفة وعرفان .

والله سبحانه نسأل أن يعود هذا العمل على الإخوة المؤمنين بالنفع الجمّ ، والخير العميم ، وأن يسدّد الجهد لما فيه حسن الرضى وجميل القبول . والله سبحانه من وراء القصد .

الدار الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿ وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون ﴾

(السورة :٢٣ الآيتان : ٩٧ـ٩٨)

أهميّة الاستعاذة

أهمية الاستعاذة في القرآن والأخبار

من جملة الأمور التي ورد الاهتمام بها كثيراً في القرآن الكريم وأخبار أهل البيت (ع) هو موضوع الاستعاذة ، يعني اللّجوء إلى الله تعالى من شرّ الشّيطان : ﴿ . . فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ وبطبيعة الحال يجب أن تحدث في النفس حالة الاستعاذة ، يعني الاستجارة بالله لتكون الاستعاذة حقيقية .

ومن أجل إثبات أهمية الاستعاذة يقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ وقد ورد الأمر في الصلاة أيضاً بالاستعاذة بعد تكبيرة الإحرام ، ولكن في خصوص الصلاة يجب أن تقرأ إخفاتاً .

وقد ذكر بعض المفسرين الحكمة في كونها إخفاتية فقال : مثله كمن يهرب من عدو شرس ، فكيف نراه يخفي نفسه بصورة جيدة ، فهو إشارة إلى أنك في حالة الهرب من عدوك الشرس الذي يتربص بك ويقف لك بالمرصاد .

الاستعاذة عند الابتداء بأي عبادة

فمن الموارد المهمة للاستعاذة هي عند الابتداء بالعبادة . فكل عبادة يريد أن يؤدّيها الإنسان يجب أن يبدأها بالاستعاذة من شر الشيطان ، لأن إبليس كامن لكل فرد من أفراد البشر ، وفي البداية يسعىٰ أن لا يصدر خير من الإنسان ، ولو صدر ذلك عنه فإنه يسعىٰ إلى إبطاله وعدم وصوله إلى آخره ، لكي لا ينتفع به ، وعلى الأقل يؤدي به إلى الرياء والعجب .

مثلاً: إذا كنت تريد أن تتوضأ فعليك بالاستعاذة بالله من شر الشيطان ، ثم توضأ بعد ذلك .

وقد رأيتم مرات عديدة أن نفس هذا الوضوء قد أصبح لعبة للشيطان بالوساوس التي يقوم بها ، وكيف أنه يجعل العبادة فارغة .

والغرض هو أن الاستعاذة تكون في الأمور العبادية ، والتي يجب أن يستجير الإنسان بالله تعالى لينتفع بها .

ورود الاستعاذة في المباحات أيضاً

وقد وردت الاستعاذة في الأشياء المباحة أيضاً مثل الأكل واللبس ، ووردت في ذلك أدعية خاصّة أيضاً[1]. وتجب الاستعاذة أيضاً في أشرف

---

(١) اللهم استر عورتي ولا تجعل الشيطان له نصيباً .

الأماكن وأوضعها ؛ فعندما تتجه إلى المسجد فاستعذ عند باب المسجد حيث يحتمل أن هذا العدوّ الشرس لن يتركك حتى في هذا المكان أيضاً ، وكذلك وردت الاستعاذة في دار الخلاء أيضاً[1] .

الشيطان على باب المسجد

ينقل أحد المتّقين وأهل الإيمان بأنّي رأيت الشيطان في حالة المكاشفة وهو واقف على باب المسجد .

فقلت : أيها الملعون ماذا تفعل هنا ؟ فقال :

ـ لقد هرب الرفقاء وإنّي أنتظرهم .

ففهمت أنهم رجال جيّدون حيث لم يذهب الشيطان معهم إلى المسجد ، وهؤلاء أيضاً من الأشخاص المبتدئين الذين استعاذوا حقيقة عند باب المسجد على الأقلّ .

الاستعاذة عند الخروج من المنزل

فعلىٰ كلّ حال تكون الاستعاذة لازمة ، فعندما تريد الخروج من البيت فالشياطين تنتظرك علىٰ الباب[2] فعليك بالاستعاذة بالله والدعاء بالأدعية المأثورة[3] .

---

(١) اللهم إني أعوذ بك من الخبيث المخبث الرجس النجس الشيطان الرجيم .

(٢) عند الدخول إلى البيت والغرف والخروج منها ، وعند الابتداء بالأكل فإن قول بسم الله الرحمن الرحيم يكفي عن الاستعاذة لأنه جاء في الروايات أن الشيطان يهرب عند قول « باسم الله » ، وفي الحقيقة فإن « باسم الله » في هذه الموارد هي الاستعاذة بالله ، بمعنى أنه يلتجىء إلى الله تعالى ويطلب منه المعونة حتى لا يكون الشيطان معه في ذلك العمل ويكون عمله رحمانياً لا شيطانياً .

(٣) باسم الله وبالله ، آمنت بالله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والقرآن الكريم يؤكّد بأنه يراكم وأنتم لا ترونه: ﴿واتّخذوه عدواً﴾ والشيء الوحيد الذي يبعدكم عنه هو الاستعاذة ، فلا طريق إلىٰ ذلك سوى اللجوء إلىٰ الله تعالى .

ومثله كمثل الشخص الذي يريد الدخول إلى خيمة شخص كبير ، وهناك كلب متوحّش لا يسمح له بالدخول إلا بأن يستغيث وينادي : يا صاحب الخيمة إنّي أريد أن أحضر إلى مجلسك ، فادفع عنّي هذا المزاحم . وهذا من أجل المثال طبعاً .

الرسول (ص) يؤمر بالاستعاذة

أيّها الإنسان ، أنت تريد أيضاً الدخول إلى ساحة الرحمة،والشيطان يمنعك من الدخول بسهولة ، فهو يخرب أعمالك حتىٰ لا تصل إلى مقصودك ، وطريق الخلاص الوحيد هو الاستعاذة بالله .

الله عز وجل يأمر نبيه (ص) : ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين** ﴾(١) .

وكذلك في سورة الناس ، إحدى المعوذتين : ﴿ **من شرّ الوسواس الخناس** . . ﴾ إذن فلا ينبغي علينا أنا وأنت أن نسكن ونهدأ لأن العدوّ قوي ، بحيث يجب السعي والمحاولة واللجوء إلى الله تعالى ، وإلّا فقد ترى فجأة أن معبودك وربك والمطاع من قبلك هو الشيطان ، وأنت لا تعلم ذلك ، فلسانك يقول : الله ، إلّا أن حالك هو حال المطيع للشيطان . وتقول خلف الستار يا شيطان ، وأنت لا تدري .

(١) السورة : ٢٣ الآية : ٩٧ .

يعبد الشيطان طيلة عمره

ذكر في كتاب منتخب التواريخ بأن أستاذي المرحوم السيد علي الحائري قال في درسه بأنه كان شخص مريض وفي حال الاحتضار ، في إحدىٰ قرىٰ أصفهان ، فطلبوا من العالم الزاهد في تلك القرية الحضور عند سريره وتلقينه ، فعندما كان يشهد بوحدانية الله ويقول : « لا إله إلّا الله » . سمع صوت من زاوية الغرفة يقول : « صدق عبدي » وعندما يقول المحتضر : « يا الله » ، فإن صوتاً ينبعث من زاوية الغرفة يقول « لبيك عبدي » فقال ذلك العالم المذكور : من أنت ؟ فقال : أنا معبود هذا الشخص ، فقد كان يعبدني طول عمره ، أنا الشيطان !!

أجل ، فالحقيقة هي أن ربّ هذا الشخص هو الشيطان . لذلك فإنه يقول لبيك ، فقد كان طيلة عمره من الصباح إلى الليل يتحرك بأمر إبليس ، فلسانه بأمره ، وعينه بميله ، وقلبه بإرادته . فكان كل عمره على هذا الشكل . فالآن عندما يقول : يا ربّ ، فهو يقول يا شيطان ، لأنه كان معبوده إلىٰ آخر نفس ، ولما ينكشف الحجاب يرتفع أنين ونداء : « واحسرتاه » عند ساعة الموت .

أيها المؤمنون ، اسعوا في التمسك بالاستعاذة ولا تحسبوا العدو صغيراً والعمل هيّناً ، فلا تتصوروا أن الأمر ينتهي بكلمة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . فما لم يتم الحصول على حقيقة ذلك فلا فائدة منه .

القضاء ، الخلوة بالأجنبية ، الغضب

ورد التأكيد في روايات أهل البيت (عليهم السلام) علىٰ الاستعاذة ، خصوصاً في عدة موارد :

الأولى: هي أثناء تولي القضاء، فلو أن أحداً أصبح قاضياً فإن خطر المنازعات كبير إلى درجة أنه لا طريق له إلا الاستعاذة .

والثانية : عند الخلوة بالمرأة الأجنبية وفي مكان خالٍ ،فهو خطر إلى درجة بحيث يكون الشيطان معبوداً في الغالب أردت أم لم ترد فالحاكم عليك هو الشيطان ، فهو يوسوس ويزيّن لك الأمر لكي تهلك .

والثالثة : في مورد الغضب،فالقضاء والخلوة بالأجنبية قلما يتوفران للناس . لكن حالة الغضب هي مورد الابتلاء كثيراً لكل شخص ، فعندما يغضب فجأة ويغلي دمه فإن الشيطان قد نفذ فيه بصورة كاملة ..

وطبعاً فإن الشيطان من حيث الخلقة من النار وهو كائن لطيف ينفذ في الإنسان كالبرق . .

وهو كما مثّل نفسه لنوح : بأن بني آدم في حالة الغضب في يدي كالكرة في يد الطفل .

وقد رأيتم الكرة التي بيد الطفل كيف يرميها إلى أي جهة يشاء ، فالشيطان يتسلط على الإنسان في حالة الغضب كذلك ، فهو يدفعه إلى كل حرام ، وكم يصدر منه الكفر في ذلك الحال ، إلاّ من حفظه الله تعالى .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - ﴿ وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون ﴾

(السورة : ٢٣ الآيتان : ٩٧ ـ ٩٨)

مكائد الشيطان

خلاصة ما مر في الحلقة السابقة هو أن المؤمنين يجب أن يهتموا بمسألة الاستعاذة . وكما فصلّ القرآن الكريم يجب الالتجاء إلى الله تعالى من شرّ الشياطين لأنّهم لم يتركوا الإنسان ولن يتركوه ، فكل سعيهم هو أن لا يصدر أي خير من الإنسان ، ولو صدر منه ذلك فإنهم يحاولون إفساده كي لا يصل إلى غايته .

وفي بعض الحالات يكون سعيهم أشدّ وأكثر ، خصوصاً في موارد ثلاث . وقد ذكرنا في الحلقة السابقة ما جاء في روايتين . حيث يذكر فيهما حالة القضاء والخلوة بالأجنبية والغضب .

مصيدة الشيطان في النذر والعهد والصدقة

وهناك ثلاث موارد أخرى نذكرها أيضاً وهي : العهد والنذر والصدقة . فالشخص الذي يعاهد الله تعالى على أن يؤدي عملاً معيّناً أو

يتركه ، أو ينذر شيئاً ويكون مطابقاً للشرائط المذكورة في الرسالة العملية بالطبع ، فإن الشيطان يسعىٰ جاهداً بأن يمنعه من العمل بنذره وعهده .

وكذلك عندما يريد أن يدفع صدقة في سبيل الله ، فإن الشيطان يحاول بكل جهده بأن يمنعه من ذلك ، لأن ظهر الشيطان ينكسر بإعطاء المؤمن الصدقة . لذلك ورد أن المؤمن عندما يضع يده في جيبه ليتصدّق فإن سبعين شيطاناً يتمسكون بيده لمنعه بشتى الوساوس سواءً بوعده بالفقر أو الوسوسة بأنه قد يحدث لك أمر أهم من هذا ، ومن أين تدري بأن هذا الإنسان مستحق للصدقة . والخلاصة : يعملون جاهدين لكي لا يعطىٰ مال في سبيل الله .

لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذىٰ

ولو تصدّق فإنهم لن يتركوه بل يسعون في إفساد صدقته ويجرّونه ليمنّ بها ، فيقول مثلاً : « أنا الذي ساعدتك ولو كان غيري لما فعل ذلك » .

أو يفسد صدقته بسوء كلامه وأذيّته لذلك الشخص ، فمثلاً يعطي المال ويقول : خذ هذا الآن ولكن اترك هذا الفعل فإنه قبيح وإيّاك أن تعود لمثله مرة أخرى ، وأمثال ذلك .

ولذلك يصرح في القرآن الكريم : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى . .** ﴾[1] .

وأخيراً فإن العدو اللدود الشيطان الرجيم يريد أن يصنع شيئاً ليفسد هذا الخير ، فعليكم السعي لكي تبطلوا سعيه أيضاً .

---

(١) السورة : ٢ الآية ٢٦٤ .

الشيطان يراقب القلب

وردت في التفاسير، وخصوصاً في مجمع البيان هذه الرواية الشريفة عن رسول الله (ص) : « إن الشيطان يلتقم إلى قلب المؤمن فإذا ذكر الله هرب » وفي النتيجة إنه لن يترك ابن آدم حتىٰ النفس الأخير، ولهذا أعطىٰ القرآن الكريم لهذا الموضوع أهمية كبيرة وتعاهد مع الإنسان على أن لا يتّبع الشيطان، وعرّفه بصراحة بأنه هو العدو اللدود له . يعني أيها الإنسان لا تصادق ولا تتّبع عدوك اللدود .

من هو الشيطان ولماذا خلق ؟

هناك أمران قد يرد السؤال عنهما، أحدهما : من هو الشيطان ، وما هو ، وما هي الحكمة في خلقه ، ولأجل أي شيء خلق ؟ والسؤال الآخر : ما هو الطريق للتخلّص من الشيطان ووساوسه ؟

وكل واحد من هذين الموضوعين له بحث طويل ، خصوصاً وأن الأجوبة العلمية عنهما غير نافعة لجميع الناس . فعلىٰ هذا ، ولأنّه لا فائدة من الإطناب في ذلك ، فسوف يكون الجواب عن كل منهما بشكل مختصر .

ما الفائدة من معرفة الشيطان ؟

وكما قال أحد المحققين : لو أن مخبراً صادقاً أخبرك بوجود بعض قطّاع الطرق المسلّحين الذين قرّروا الهجوم على بيتك في هذه الليلة كي يأخذوا أموالك ويقتلوا أهلك ، فإن كنت رجلاً عاقلاً فسوف تبحث فوراً

عن أعـوان ، وتغلق الأبواب بصـورة جيدة ، وتسـد الجهة التي تحتمـل مجيئهم منهـا ، وتقيم التحصينات الـلازمة . وإن لم يكن لـديـك عقـل فسوف تسأل : من أين جاؤوا ؛ وما هـو لباسهم ؟ ومـا هي أشكالهم ، شيـوخٌ هم أم شباب . . ؟ وقبـل أن تنتهي من هذه الأسئلة فـإن الوقت يكون قد فات ، وقد انتهوا من عملهم .

فالواجب عليك هو أن تهرب من الشيطان . . أمّـا أن تعلم كيفية خلقته وكيف يوسوس أو لا تعلم أو فهمت الحكمة من خلقه أم لم تفهم ، فما الفائدة من ذلك ؟ فعملك الأساسي ينبغي أن يكون كما ذكرنا .

وبعد أن أخبر المخبر الصادق بأن العدو اللدود إبليس يتربّص بك ، فلا تترك طريق النجاة ، ولا تجعل وقتك يذهب هدراً .

وأخيراً بما أنّه كثيراً ما يرد السؤال فسوف نجيب بشكـل مختصر عن ذلك :

الشيطان مخلوق من النار كائن لطيف

مـع أن الإنسان مخلوق من العنـاصر الأربعة : المـاء والنار والهـواء والتـراب ، إلا أن عنصر التراب فيـه أقوىٰ وأكـثر من العناصر الثـلاثـة الأخرى . لذلك فهو ثقيل وله وزن ، وبسبب هذا الجانب الترابي فيه فإن إدراكاته وأفعاله محدودة جداً .

أما الشياطين فعلىٰ العكس من ذلك ، فإنّ جانب النار والهواء فيها غالب ، وبناءهم الجسمي بشكل في منتهىٰ اللطافة،وأقوياء بشكل كامل والإنسان يتصور أنه قادر ، لكنّ قـدرة الشياطـين تصل إلىٰ درجـة أنهم

يمكنهم تصغير أجسامهم بحيث يمرّون من خلال الثقب ، أو يمكنهم تكبيره ليشغل مكاناً واسعاً ، والمسافة التي يتمكن الإنسان من اجتيازها خلال شهر واحد تقطعها الشياطين في لحظة واحدة ، والأشياء الثقيلة التي لا يقدر الإنسان على رفعها فإن الشياطين يستطيعون ذلك .

وقد أشار الله عزّ وجلّ في سورة النمل ضمن قصة سليمان وعرش بلقيس إلىٰ هذا المطلب[1] .

لكن الشيطان يراك

والإشكال القائم على أن الشيطان لو كان موجوداً فلماذا لا نراه ، غير صحيح . فعينك تستطيع أن ترى الأجسام الكثيفة لا اللطيفة، فأنت لا ترى الهواء لأنه لطيف ، وعينك من التراب ولا ترى إلا الكثيف فلذلك يصرّح القرآن الكريم : ﴿ .. **إنّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** .. ﴾

نعم في بعض الأحيان يستطيع الشياطين أن يتلبسوا بالمادة بحيث يراهم الإنسان،وقد رآهم وشاهدهم الكثير من الأنبياء مثل نوح ويحيىٰ ورسول الله محمد (ص) وبعض العباد الصالحين .

خلق الشيطان وسعادة الإنسان

أما الحكمة في خلقه فإن كل ما يريده الحكيم المطلق فهو عين الصواب وهي نفس الحكمة التي كانت في خلق بني آدم والمخلوقات سواء أعلمنا بذلك أو لم نعلم .

---

(١) ﴿ قال عفريت من الجنّ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنّي عليه لقويّ أمين ﴾ .

وفي نفس الوقت فإن الحكمة فيه كبيرة ، لكن بما أنها علميّة وتحتاج إلى تفصيل فلا يمكن توضيحها إلى عموم الناس . والذي يمكن قوله هو أنه يكفي في حكمة خلق الشياطين إظهار سعادة الإنسان وكذلك شقائه أيضاً ، ويتضح إيمان وكفر الأشخاص واستحقاقهم للجنة والنار .

الله سبحانه وتعالى يقول : « تصدّق » والشيطان يقول لا تفعل ذلك وإلّا فسوف تقلّ أموالك ، ولكن لو كنت إنساناً رشيداً وصاحب إيمان وإرادة قويّة فإنك سوف تصفع الشيطان على فمه ، لأن الله تعالى يقول أنفق ولا تخف فسوف تعطىٰ عوضاً عما أنفقته .

فلو كنت صامداً كالجبل فإن قوة صمودك سوف تظهر في هذا المكان أمّا لو كنت قليل العقل وضعيف الإرادة وقليل الوزن كالتبن فسوف تتراجع عند أقل وسوسة وصفير .

فببركة خلق الشياطين تظهر سعادة السعداء ورشد الراشدين .

الشياطين للامتحان

جميع الناس يقولون « الله والآخرة » ولكن هل صحيح ما يقولون أم لا ؟ ولكن بواسطة الشياطين يمكن تمييز الصادق من الكاذب .

فلو كنت تقول « الله » إذن فلماذا لا تقبل بوعده ؟! أما لو قبل وسوسة الشيطان فسوف يتضح أن إيمانه في لسانه فقط ، لأنه لو كان يؤمن بالجنة واقعاً فلماذا لا يشتريها ؟ لماذا لا يبتعد عن النار ؟

وقد ترون أن المرأة الفلانية ، والتي يقال عنها بأنها متديّنة ، ولكن بمجرد أن يأتي إليها شيطان إنسيّ ويقول لها هل أصبحت إنسانة رجعية

وخرافية حتى لبست العباءة ؟ إن هذا الزمان قد تغيّر ولا فرق بين الرجل والمرأة فيه ، فإنها سوف تتراجع بمجرد إلقاء هذه الشبهة والوسوسة الشيطانية ، واستهزاء صديقاتها .

نعم فالشياطين خلقوا ليتضح من هو من أهل الثبات والاستقامة ومن يفتقد ذلك . وأكبر الحكمة في ذلك هي تمييز المؤمن عن الفاجر .

وعد الله ووعد الشيطان

كيف تهتم بوعد الشيطان بمجرد أن يلقي بهذه الوسوسة : بأنك سوف تصبح فقيراً وأن هناك موارد أهم من هذا ، فلا تنفق في سبيل الله . ولكنك لا تلتفت إلى وعود الله عز وجل . فأنت لا تتنازل عن درهم واحد في سبيل الله ، ولكنك مستعدٌ لأن تدفع آلاف الدراهم من أجل مدح أو ثناء أو كتابة عنك في جريدة أو قول في الراديو .

عندما تكون المعاملة مع الله تعالى ويقول لك الله عز وجل : ساعد جيرانك ، والفقير من أقربائك فسوف أعطيك أضعافاً بدلاً عنه فتقول لا أستطيع ذلك ، أما لو كانت المعامة دنيويّة وشيطانية فإنك تتقدّم على الآخرين في هذا المجال .

الصوت الرحمانيّ والصوت الشيطاني

الشيطان موجود من أجل امتحان الناس ، ويجب أن يكون موجوداً ويفتتح السينما أيضاً ويربي الشياطين من الإنس ليصطاد هذه الحيوانات ذات القدمين بعد ذلك .

وفي مقابل ذلك يرتفع النداء أول المغرب « حيّ على الصلاة » فنداء الوعد الإلهي بالمغفرة مرتفع ، ويجب أن يكون كلا الأمـرين ﴿ **ليميز الله الخبيث من الطيب . .** ﴾ .

غداً دار الجزاء ، أما هنا فيجب أن تتوفر أرضيّـة الثواب والعقـاب وتتوفر القابلية لذلك .

الشيطان لا يجبر أحداً

وطبعـاً فالشيـطان لا يجرّ الإنسـان إلى الحـرام بـالقـوة ، ولا يسلب الاختيار من أحد . يعني أنه لا قدرة له بهذا المقـدار ﴿ **. . وما كـان لي عليكم من سلطان . .** ﴾ وعمله هو الوسوسة فقط .

الشخص الذي يأتي إلى المسجد إنما يـأتي باختيـاره ، وذلك الـذي يـذهب إلى السينما يـذهب باختيـاره أيضاً وليس للشيـطان القـدرة عـلى توجيهك بل إنك تذهب بنفسك وبأقدامك .

فالتقصير منك حيث صدّقت بـوساوسـه ، وغداً في يـوم القيامـة ، وعندما يحيطون بالشيطان ويخاصموه فإنه يجيبهم جواباً منطقيّاً وعقلياً بأنه ﴿ **. . وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعـوتكم فاستجبتم لي فـلا تلوموني ولوموا أنفسكم . .** ﴾[1]

* * *

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

٣ - ﴿ وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون ﴾

(السورة : ٢٣ الأيتان : ٩٧ ـ ٩٨)

بـاب التوبـة

حسد إبليس

الشيطان حسود لأنه مطرود من ساحة الرحمة ، فلذلك لا يستطيع أن يرى الإنسان يصل إلى مكان القرب ، فهذا الإنسان الذي ينظر إليه هذا الملعون بنظر الحقارة ويقول : ﴿ . . خلقتني من نار وخلقته من طين . ﴾ ويرى أن النار أفضل من التراب ، هذا الإنسان يصل إلى المقامات العالية التي طرد منها الشيطان ، وقيل له : ﴿ . . فاخرج منها فإنك رجيم ﴾ . ﴿ . . فما يكون لك أن تتكبّر فيها ﴾ .

الإنسـان يريـد أن يصل إلى مقـام القرب من الله تعـالى عن طريق العبودية ، فلذلـك يسعىٰ الشيطان بجميـع قواه أن يحـرفه عن الـطريق ليشفي غليله وحسـده ، ويقنع بـأي شيء أيضاً ، فـإذا استطاع فـالكفر

والشرك ، وإلاّ فالحرام والمكروه ، حتىٰ يصل الإنسان إلى درجة ومقام أقلّ .

ما ربط الحسود والمتكبر بالجنة ؟

ويبين الإمام أمير المؤمنين (ع) في ذيل خطبته القاصعة في نهج البلاغة هذا المعنى إذ يقول : « فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته ، كلاّ ، ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمرٍ أخرج به منها ملكاً » .

فإيّاك أن تبتلىٰ بالحسد فتكون مثل الشيطان الذي طرد بسبب تكبّره وحسده ، فمن المحال أن تدخل الجنّة بهذه الصفات وقد طرد الله بسببها ملكاً من الجنة ، فمع أن هذا الملعون كان يعبد الله مدة طويلة من الزمان لكنه استكبر في آخر الأمر وأهلك نفسه . فالعظمة والكبرياء من مختصات الله تعالى . فما أنت والتكبر ؟ التشخّص ليس هو لباسك ، والتكبّر وقولك أنا وأنا لا يليق بك ، فالجميع فقراء وعاجزون ومحتاجون إلى الله تعالى ، والغني المطلق هو الله فقط ﴿ .. **لا إله إلاّ أنا فاعبدني** .. ﴾ .

والخلاصة لو أن الإنسان تكبّر فإنه يكون في صفّ واحد مع إبليس .

استجابة حاجات إبليس

ورد في الروايات أنّه بعد أن طرد الشيطان من الجنة أنّه قال: إلهي أين هي ستة آلاف سنة من عباداتي ؟ فجاء النداء : سوف نعطيك كل ما تطلب في مقابل ذلك . فقال : ﴿ .. **أنظرني إلى يوم يبعثون** . ﴾ فقال تعالى : ﴿ .. **إنك من المنظرين** .. ﴾ والطلب الآخر أن تعطيني القدرة

لأتمكن من الوسوسة وإلقاء الشبهة . واستجيب له هذا الطلب طبقاً لما فيه من الصالح والحكم أيضاً .

فبكىٰ آدم أبـو البشر وقال : إلهي ، لقـد ابتلي أولادي بهـذا العدو الشرس ، فماذا سوف يصنعون بعد أن أمهلته إلى يوم القيامـة وأعطيتـه القدرة على الوسوسة وإلقاء الشبهة ؟

فجـاءه النداء : يـا آدم إنّا نخلق في مقـابل كـل شيطان ملكـاً من الملائكة .

الملائكة يلهمون أيضاً

كل ما يوسوس به الشيطان فإن الملائكة تلهم الخير في مقابل ذلك . والشيـطان يقول لا تـذهب إلى المسجد ، أمـا الملك فيقـول : اذهب . الشيطان يقول : ارتكب الحرام الفلاني ثم تب منه ، والملك يقول : لا تفعل ، فلعلك متّ ولم توفّق للتوبة ؛ ولو سلّمنا فمن أين لك العلم بأنّ توبتك مقبولة وذنوبك مغفورة .

ارجع إلى قلبك في كل شيء خيـراً كان أو شرّاً . فهناك جـانبان في قلبك . فكل شخص يكون فيه شيـطان يرغّبه في الشر ، يكون فيه أيضاً ملك يخوّفه من ذلك ، وكلّ ما يدفعه الشيطان إلى تركه فإن الملك يرغّبه في أدائه .

على مفترق الطريق

وأخيراً أيّها الإنسان أنت على مفترق الطريق ، فإمّا أن تسلك طريق النفس والهـوى أو تتّبـع العقـل والـروح والملك ، والله تعـالى قـد خلق

الكائنات بشكل منظم وعلى أساس العدالة ، لكن الإنسان يظلم نفسه بنفسه ، كما صرح بذلك في القرآن الكريم : ﴿ . . **فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** . ﴾

باب التوبة مفتوح

إضافة إلى ذلك فقد جاء النداء إلى آدم : يا آدم إذا كنا قد سلّطنا إبليس على أولادك وأمهلناه إلى يوم القيامة ، إلّا أنه في مقابل ذلك جعلنا باب التوبة مفتوحاً لأولادك .

فالآن . . وقد انخدعت بحيلة الشيطان فارجع مثل جدّك آدم وتب إلى الله وتضرع إليه ، مثل آدم الذي ارتفع مقامه أكثر بعد التوبة حتى وصل إلى درجة الاصطفاء ، وأنت تصل كذلك إلى درجة التوابين وتكون محبوباً لله .

وكانت أبواب التوبة مفتوحة أمام جميع الأمم ، إلّا أن هناك شروطاً صعبة لقبولها ، ولكن ببركة الوجود المقدس لخاتم الأنبياء (ص) لأمته ، والتي كانت أمته الأمة المرحومة ، فقد كتب لها السماحة ، لأن نبيهم رحمة للعالمين ، ومن فروع الرحمة سعة باب الرحمة .

وكما جاء في الخبر المذكور في المجلد الثالث من بحار الأنوار أن رسول الله (ص) قال : « من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته ، ثم قال : إنّ السنة لكثيرة ، من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته ، ثم قال : إن الشهر لكثير ، من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته ، ثم قال : إن الجمعة لكثير ، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته ، ثم

قال : إنّ يوماً لكثير ، من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته »[1] .

والمهم هو حال القلب وأن يكون ذهابه وإيابه مع الله تعالى ، فهل هناك رحمة أوسع من ذلك ؟ فانظروا إلى ما جعله الله تعالى في مقابل وساوس الشياطين .

كلام الحسن البصري وجواب الإمام السجاد (ع)

وقد روي أن الحسن البصري قال في أحد مواسم الحج : « العجب كل العجب ممّن نجا كيف نجا » . وقد ذكروا هذه العبارة التي قالها هذا المسكين إلى الإمام زين العابدين (ع) فقال :

« العجب كل العجب ممّن هلك كيف هلك » فمع كل هذه الرحمة والفضل الإلهي كيف يهلك الإنسان ويخسر في حين أن رحمته الواسعة قد وسعت كل شيء ، فلماذا أصبح محروماً من هذه الرحمة ؟! .

المرض قبل الموت نعمة

لقد قضينا عمرنا في القبائح . والآن هو وقت الذهاب .

ومن لطف الله تعالى أن الإنسان يبتلى في أغلب الأحيان قبل الموت ويقع في الفراش ليستعد إلى لقاء الله تعالى .

ولذلك كان موت الفجأة بلاء لكثير من الناس .

إلى متى تسير خلف الشيطان ؟! نداء الموت مرتفع . والعجب ـ واقعاً ـ ممّن ينام في فراش المرض لمدة شهر ولا ينتبه من غفلته .

---

(١) أصول الكافي : الجزء الثاني ص ٤٤٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

٤ - ﴿ وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون ﴾

(السورة : ٢٣ الآيتان : ٩٧ - ٩٨)

اللجوء إلى الله

اللجوء إلى الله هو طريق الخلاص

وساوس الشيطان وأذيّته للإنسان غير خافية على أحد ، فالجميع يعلم أن هذا العدوّ اللدود للإنسان لن يتركه حتىٰ النفس الأخير ، وكلّ هدفه هو أن لا يؤمن الإنسان بالله وبالآخرة . وفي الدرجة الثانية أن لا يصدر منه أي خير ، ويوجّهه إلى كل شر .

والشيء المهم هو معرفة طريق النجاة من يد الشياطين .

والآن يجب علينا أن نرى ما هو طريق الخلاص بعد أن عرفنا قوة العدو وأنه قابع في الكمين ؟ والطريق الوحيد للعلاج هو ما أمر به القرآن الكريم حيث قال : ﴿ فاستعذ بالله ﴾ حيث إنه لا طريق سوى اللجوء إلى الله .

خيمة السلطان والكلب العقور

وقد ذكرت مثالاً بأن إبليس بمنـزلة الكلب المتـوحّش الذي يقف في وجه كلّ من يريد الدخول إلى خيمة السلطان،وهو بمنزلة الحارس حيث لا يفلت من يده إلّا الأصدقاء « العباد المخلصون » . فمن أجل الدخول إلى الخيمة « وساحة القرب » يجب أن يستغاث بصاحب الخيمة والالتجاء إليه لأنه لا يستطيـع أحد أن يكبـح هذا الكلب الـوحشيّ إلا زجر صـاحب الخيمة . ولا شيء غير ذلك .

إذن يجب اللجوء إلى الله تعالى لتدفعه عناية الحق تعالى . فلذلك أمر الله تعالى نبيه في القرآن الكريـم :

﴿ وقل ربِّ أعوذ بك من هَمزات الشياطين * وأعـوذ بك ربِّ أن يحضـرون ﴾ فأنت لا تتمكن من ذلـك لـوحـدك إلّا أن يعينـك اللطف الإلهي .

« يـا غياث المستغيثـين ، يـا مـلاذ الـلائـذين » . فلو لم يكن اللوذ واللجوء إلى الحق فلا يستطيع أحد أن يكون في أمان من شر الشيطان .

الاستعاذة بالقلب

فعلى هذا يجب معرفة حقيقة الاستعاذة . فهل الاستعاذة هي قول : « أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم » ؟ كلا ، الاستعاذة أمر معنوي حقيقي وتكون هذه الألفاظ كاشفة عنه . فلو كانت لدى الإنسان حالة الاستعاذة فإن قولـه : « أعوذ بـالله » يكون نـافعاً وإلّا فـإنّه قـد تكون نفس هـذه

الكلمات مسخرة وملعبة للشيطان ، بحيث يكون هو القائل لها على لسان ذلك الشخص .

أشكال الاستعاذة عند الناس

استعاذة الناس على ثلاثة أشكال :

الأولى : الاستعاذة التي ليس فيها حالة الاستعاذة ولا يفهم قائلها معنىً ما يقول ، فلو كانت كذلك فإنه لا يمكن تسميتها بالاستعاذة ، بل هي لغو وقول باللسان فقط ، فإنّ قول « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » من دون الالتفات إلى المعنى ومعرفة الحقيقة هو مسخرة الشيطان .

الثانية : بأن يفهم معناها ، بل وتكون له حالة اللجوء عندما يقولها ، فهو لا يقول لغواً وإنما يدرك المعنى ، ويقول هذا الكلام على أساس أنه كاشف عن المعنى ، إلّا أنّه بحسب العمل والحال يفدي نفسه للشيطان فلسانه يقول : « اللعنة على الشيطان » وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم » إلّا أنه يسجد للشيطان في الواقع ويلتجىء إليه في الحقيقة .

أعوذ بطاعة الله

كونوا على يقين من أنّ كل من يذنب يكون معبوده وسجوده في حالة المعصية هو للشيطان ، حتىٰ ولو شتمه بلسانه ألف مرة .

وأقولها بعبارة أوضح : إنه عندما يقول بلسانه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، لكنه في نفس الوقت يتهم الآخرين ويشتمهم ويهتكهم ويفشي أسرارهم ولا يمتنع عن أي ذنب ، فإنّه في الحقيقة يقول : « أعوذ

بالشيطان من الرحمن » ، فاللسان يقول العكس.إلاّ أن سلوكه هو الميزان .

أعوذ بالله تعني أعوذ بطاعة الله ، فأنت الآن تقول خلاف الواقع ، وعندما يزول الستار تفهم بأن الشيطان هو الذي أجرى ذلك على لسانك ليستهزىء بك أكثر .

كِتاب في الرد على إبليس بأمر منه

ذكروا أن أحد العلماء أمسك القلم وأخذ يكتب كتاباً في مصائد ووساوس الشيطان ، وتخويف الناس من الوقوع في مصائده . ففي ذلك الوقت رأى أحد الأخيار الشيطان في عالم الرؤيا والمكاشفة وقال له : أيها الملعون ها هو الشخص الفلاني يفضحك الآن ويكشف خداعك للناس .

فضحك الشيطان وقال : إنه يكتب هذا الكتاب بأمر مني !

فقال : كيفَ يمكن ذلك ؟ فقال الشيطان :

ـ لقد وسوست في قلبه بأنك إنسان عالم فأظهر علمك . وقد جعل اسم كتابه : رد الشيطان ، وهو لا يعلم أنه إظهار للنفس واستعراض للعلم في الحقيقة .

نعم ، إن الشيطان بنفسه قد يدفع الإنسان إلى شتمه أو قول : ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ـ باللسان فقط .

سياسة الدول الاستعمارية

ونفس الشيء ، بالنسبة لعمل الدول الاستعمارية ؛ حيث إن لديهم

أشخاصاً في بعض المستعمرات من أعوانهم ومساعديهم في الاستعمار . فتارة يدفعون هؤلاء الأشخاص إلى شتمهم بمقتضى السياسة والمصلحة اليومية ، ويظهرون للناس فجائع الاستعمار ، كل ذلك من أجل التستّر والمخادعة ليتمكنوا من التوصل أكثر إلى مقاصدهم الاستعمارية بواسطة هؤلاء الأشخاص .

والعجب من السياسة الشيطانية : أول السياسيين وأستاذهم هو الشيطان ، فالسياسة تعني العمل خلف الستار وخداع الناس دون إظهار أثرٍ يدل عليهم .

حقيقة الاستعاذة هي الهرب من الذنب

إلهي كن أنت المعين لنا لنتمكن من الهرب من الشيطان . يعني أن نهرب من الذنب ، فالاستعاذة بالحق تعني الفرار من الذنب . فأمسك لسانك بقوة ولا تنطق باللغو وقل بدل ذلك : « أعوذ بالله » .

إذن فأعوذ بالله تعني : « أعوذ بطاعة الله من طاعة الشيطان » .

إلهي إنّي أريد أن أتمسك بطاعتك بعد الآن ، أريد الهرب من عبوديّة الشيطان ، وقد ابتعدت عن الشيطان وعن مصيدته ، والتي هي المعصية .

اليد في فم الأسد و . .

أنت تريد أن تضع يدك في فم الأسد ثم تقول بلسانك : إني أخاف من الأسد وأهرب منه وألجأ إلى قلعة قوية ! أو تقف كالعبد الذليل مقيّد اليدين أمام الشيطان ثم تقول بلسانك : أعوذ بالله من شر إبليس .

وما دام لسانك ينطق بكل لغو فيعني أنك عبد للشيطان كظلّه . فأنت تكذب حتى لو لعنت الشيطان من الصباح إلى المساء ، ويجب أن تستغفر من قولك « أعوذ بالله » .

ليخاطب كلّ إنسان نفسه ويقول : أيها المنافق ، لماذا تكذب إذن ، وأين ذهبت أنانيتك ؟!

إذا كان هناك أسد يريد افتراسك فيجب أن تلجأ إلى قلعة حصينة ، لا أن تقترب منه وتضع يدك في فمه وتقول بلسانك ، واي . . واي ، فحقيقة الاستعاذة هي اللجوء إلى القلعة الإلهية الحصينة .

الرؤيا الصادقة ومصيدة إبليس

نقل عن أحد تلامذة الشيخ الأنصاري ـ عليه الرحمة ـ أنه : عندما تشرفت بالمجيء إلى النجف الأشرف لطلب العلم ، وحضرت درس الشيخ الأنصاري الملائكي ، رأيت الشيطان في إحدى الليالي وبيده لجامات عديدة ، فسألته ، ماذا تفعل بها . فقال :

ـ إني أقذف بها على الناس وأجرّهم نحوي ، وفي الأمس ألقيت بواحدة منها على الشيخ الأنصاري وسحبته من غرفته إلى الزقاق الذي يقع خارج بيته ، إلاّ أنه أفلت من هذه القيود وسط الزقاق ورجع إلى البيت .

وعندما انتبهت من النوم ذهبت إلى الشيخ وشرحت له المنام الذي رأيته ، فقال الشيخ عليه الرحمة :

ـ صدق الشيطان ، لأن ذلك الملعون كان يريد أن يخدعني أمس

بشقّ الحيل ؛ لأنه لم يكن لدي مال ، وقد حدث أن احتجت إلى شيء فقلت في نفسي لأخذ قرشاً واحداً من مال الإمام (ع) الذي عندي ـ وهو معطّل فعلاً ـ بعنوان أنه قرض ، ثم أؤدّيه عندما يحين الوقت اللازم .

فأخذت ذلك القرش وخرجت من المنزل حتىٰ وصلت إلى وسط الطريق ، وبمجرد أن أردت شراء شيء فكّرت في نفسي بأنني لماذا فعلت هذا الفعل ؟فندمت ورجعت إلى البيت ووضعت ذلك القرش في مكانه .

وقد ذكر البعض هذه القصة بهذا الشكل : بأنه رأى الشيطان وبيده حبال كثيرة ، ومن بينها حبل متين فسأله : ما هذه ؟ فأجاب بأني أجرّ الناس إليَّ بواسطتها وأدفعهم إلى المعصية ، فسأله : لأي شيء هذا الحبل المتين ؟ فقال : إنه لاستاذك الشيخ الأنصاري حيث سحبته بالأمس إلى السوق ولكنه قطعه ورجع .

فسأله : وأين الحبل المخصص لي ؟ فأجاب : أنت لا تحتاج إلى الحبل لأنك تطيع بمجرد الإشارة .



الركن الأول

التقوى

بسم الله الرحمن الرحيم

٥ - ﴿ إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾
(سورة الأعراف الآية : ٢٠١)

التقوى والشيطان

اللفظ كاشف عن المعنى

الاستعاذة مقام من المقامات الدينية ولازمة لكل إنسان ، وقد ذكرت أنها يجب أن تكون حقيقية لا مجرد لفظ ، وإلا فاللفظ مجرد قراءة لا أكثر بمعنى أنه أجرى على لسانه بعض الألفاظ . وعندما يقول القرآن الكريم : ﴿ . . فاستعذ بالله . . ﴾ فإنه يريد حقيقته . واللازم له أمران :

أحدهما الفرار من الشيطان ، والآخر هو اللجوء إلى الرحمن ، فلو حصل هذان الأمران فعند ذلك فقط تكون الاستعاذة وليست هي قول: «أعوذ بالله» فقط ، والخلاصة يجب أن يكون اللفظ كاشفاً عن الحال والمعنى .

الأركان الخمسة للاستعاذة

بعد التأمل في حقيقة الاستعاذة ، والاستفادة من القرآن الكريم ، يمكن القول بأن الاستعاذة لها خمسة أركان أساسية :

الركن الأول : وهو الفرار من الشيطان . وينطبق على التقوى .

والأركان الأخرى · التذكر والتوكل والإخلاص والتضرّع .

وتحصل حقيقة الاستعاذة بعد أن تتحقق هذه الحالات ، فعندما يحصل المؤمن على هذه الأركان الخمسة يكون الشيطان بعيداً عنه فراسخ عديدة . سواءً قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بلسانه أو لم يقل ، فالأصل هو الحال والحقيقة ، بحيث لو أن الشيطان اقترب منه فإنه يتأثر بهذا الإنسان ويكون مصاباً بالأنس ، كما في حال أصابة الإنسان بالجن ، حيث يقال إنه مصروع ومصاب بالجن ، إذن فعلى هذا فإن إبليس لا يتجرأ على الاقتراب منه .

ابتعاده عن المتّقين

ونذكر عدّة شواهد على أركان الاستعاذة من القرآن الكريم بشكل مختصر :

﴿ إنّ الذين أتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾ .

إذن فالشرط الأول هو أن يكون من أهل التقوى ، فالذين أصبحوا من المتّقين عندما تهجم الشياطين على قلوبهم يتذكرون الله تعالى بمجرد اقتراب الشيطان منهم ، فيتضح لهم فوراً ويفهمون بأنه من عمل

الشيطان ، ويهربون ويتلجئون إلى الحق ويتمسكون به . فعلىٰ هذا فقد أشار في هذه الآية الشريفة إلى التقوى وذكرها .

يجب أن يتوكل على الله

يقول الله عز وجل في الآية الشريفة :

﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون ﴾(١) .

فالإنسان الذي يتوكّل على الله تعالى لا يمكن للشيطان أن يتسلّط عليه ؛ لأن حكومة الشيطان إنّما تكون على أولئك الذين لا يتوكلون على الله ، وإنّما يكون اعتمادهم على الأسباب المادية والأوضاع الدنيوية ، أمّا لو كان الاعتماد على الله تعالى فكونوا على يقين بأن الشيطان لا يمكنه عمل أي شيء .

فلو لم يكن للشخص شيء من التوكل بأن كان يقول بلسانه فقط « أتوكل على الله » فقد توكّل في الحقيقة على قوته ومقامه وماله وعشيرته ، والشيطان مسلّط عليه بمفهوم الآية الشريفة ، كما صرح بذلك في الآية التي بعدها :

﴿ إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون ﴾(٢)

فالشخص الذي يكون ناسياً لمسبب الأسباب فهو مع الشيطان ، فأين هو من الاستعاذة والفرار من إبليس ؟

---

(١) السورة : ١٦ الآيتان : ٩٨ ـ ٩٩ .

(٢) السورة : ١٦ الآية : ١٠٠ .

لا يتعرض للمخلصين

والركن الآخر للاستعاذة هو الإخلاص ، حيث يذكر ذلك في القرآن الكريم نقلاً عن قول إبليس : ﴿ **قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين * إلاّ عبادك منهم المخلصين** ﴾[1] .

وقد جاء بيان معنى الإخلاص في موارد متعددة من القرآن الكريم ، وقد ذكرنا ذلك في ضمن تفسير الآيات . ولا نكرر .

وعلى كل حال إن استعاذة المخلصين صحيحة حيث لا طريق للشيطان إليهم ، لأن فيهم حقيقة الفرار من الشيطان .

هل لدينا تقوى وتذكّر ؟

هل توصّلنا إلى بعض المقامات الدينية بعد أن مضىٰ الكثير من عمرنا ؟ إن شاء الله نكون قد تخلصنا من الجهل المركب على الأقل .

وكما ذكرنا فإن أول أركان الاستعاذة هو التقوى فالشخص الذي لا تقوى عنده متىٰ يمكنه الفرار من الشيطان ؟ لأن التقوى تعني ترك قيادة الشيطان .

المرأة التي تأتي إلى الشارع والسوق بدون حجاب فإن كل ما فيها هو الشيطان .

وذلك العديم الرجولة والشرف الذي يصطحب معه مثل هذه المرأة

---

(١) السورة : ٣٨ الآيتان : ٨٢ ـ ٨٣ .

إلى خـارج البيت ويـظهـرهـا إلى هـذا وذلـك ، متىٰ يمكنــه الفـرار من الشيطان ؟!

وعلى كل حال فإن كل شخص لم يبتعد عن الحرام ، فهو لم يهـرب من الشيطان أيضاً ؛ يعني أنه لم يحصل على الاستعاذة حتىٰ لو قال بلسانه آلاف المرات : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

أو أنه جالس في بيت مغصوب مثلاً ، فما دام لم يخرج منه فلا يكون هارباً من الشيطان . وما لم يتـرك عادة الفحش والشتـائم فإنـه لم يستعذ بالله .

أكل الحرام أكبر مانع للاستعاذة

وبشكـل عام فـإن التقـوى وتـرك المحـرّمـات أمـر مهم في مسـألـة الاستعاذة ، خصوصاً أكل الحرام ، فمن كان طعامه من أكل الحرام فإن جلده وعروقه شيطانية ، وهو متّصل بإبليس دائماً . « ان الشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدم » .

ونفس اللسان الذي يقول به : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » هو لسان شيطاني ، لأن نفس ذلـك الطعـام الحرام الـذي أصبح جـزءاً من اللسان وباعثاً لحركته وقوته يقول : « أعوذ بالله » فأي استعاذة هذه ؟!

مـا درون را بنگـريم وحـال را   مـا بـرون را ننگـريم وقـال را

يعني أننا ينبغي أن ننظر إلى الباطن والحـال ، ولا ننظر إلىٰ الـظاهر والقول .

هنا تقبل الحقيقة فقط

يروي الشهيد الثاني في كتاب أسرار الصلاة عن خاتم الأنبياء محمدٍ (ص) أنه قال : « إن الله ينظر إلى قلوبكم لا إلى صوركم » .

فهنا يقبلون الحقيقة ، والتلاعب باللسان من دون حقيقة يمكن أن يستفيد به المخلوق ، أما عند الله تعالى والعالم بالسرّ والخفايا فإنّ السرّ والعلن شيء واحد ، ولا ينفع هنا إلا الواقع والحقيقة .

وكما صرّح القرآن الكريم في مورد الأضاحي حيث يقول :

﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم . . ﴾[1] .

ما دامت الآثار باقية فلا يمكن

ما دامت لقمة الحرام في بدنك فأنت شيطاني ، والفرار من الشيطان كذب ، إلى أن تتمّ إزالة آثارها ، عند ذلك تحصل عندك حالة الهرب من إبليس ، وإلاّ فإن عباداتك ظاهرية أيضاً .

وقد وردت روايات كثيرة عن أهل البيت (ع) في خصوص الأكل والشرب .

فالأطعمة بمنزلة البذر ، فلا تجعلوا البذور فاسدة . ويقول القرآن الكريم : **﴿ . . كلوا ممّا رزقكم الله ولا تتّبعوا خطوات الشيطان . . ﴾**[2] فهو لا يقول لا تأكل الدجاج والرز ، وإنما كل اللحم ولكن كله حلالاً ، واحذر من خطوات الشيطان .

---

(١) السورة : ٢٢ الآية : ٣٧ .

(٢) السورة : ٦ الآية : ١٤٢ .

ترك الطعام المشبوه

الثاني : ترك طعام الشبهة ؛ فاحذر من الغذاء المشتبه به . وما دمت لم تفهم أنه حلال فلا تمدّ إليه يدك ، فإن أثره كبير إلى درجة أنه يؤدي بآكل الحرام أو المشتبه به إلى أن يشكك في الحق مع كمال ظهوره !

فهو يشك في الله تعالى مع كل هذا الظهور ، فأين كان هذا الشيطان ؟ إنه موجود في نفس هذه اللقمة الحرام والمشبوهة .

وهو لم يهرب من الشيطان ، فلذلك سقط بهذا الشكل ، يعني أنه أفسح المجال أمام الشيطان بنفسه وأعطاه مكاناً في عروقه وجلده ولحمه ودمه .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

٦ - ﴿ إنّ الّذين اتَّقَوا إذا مسَّهم طـائف من الشّيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾
(سورة الأعراف الآية : ٢٠١)

الهـرب من الشيـطان

خلاصة البحوث السابقـة هي أن حقيقة الاستعـاذة هي الهرب من الشيـطان واللجوء إلى الـرحمن ، وعـلى هـذا الأسـاس فـإن لازمـه هـو التقوىٰ ، والحذر من الشيطان يعني أن يسعى لئلا يفوت عليه واجب ولا يصدر منه حرام . وعلى هذا فلو لم يهتم بذلك فإنه فاقد لحالة الفرار ومثَله مثل الشخص الذي يتعلق بالحيوان المتوحّش ثم يقول بلسانه : أنا هارب من هذا الوحش .

« أعوذ بالله » تعني أني هارب من الشيطان ومستجـير بالله تعـالى ، ولكن متـى هربت واقعاً من الشيطان مع هذا التحرر واللامبالاة ؟

﴿ إن الذين اتَّقوا ﴾ : أولئـك الهاربـون من الذنـب ، إذا أرادت الشياطين خداعهم يذكرون الله تعالى فـوراً فيزول الحجـاب عن أعينهم

ويـرتفع السـاتر ببـركـة ذكـر الله تعـالى فـإذا هم مبصـرون ، ولا يمكن اصطيادهم . فالمتّقون هم الذين لا يقعون في المصيدة . وأما غـير المتّقي فهو مستقر في المصيدة وساكن فيها. قلنا يجب مراعاة التقوى خصوصـاً في الأكل والشرب ، لأن الأكل بمنزلة البذر للبدن الذي هـو مركب النفس الشيـطانية أو الـرحمانيـة ، فلو أصبح البـذر شيطانيـاً فالحـاكم عليه هـو الشيطان ولو نـزلت لقمة حـرام من المريء ، فـإن الحكومـة تكون بيـد إبليس ، فما دام أثر هذه اللقمة موجوداً في هذا البدن فإن الشيطان موجود أيضاً .

وقد ورد في الروايات أن صلاته لا تقبل أربعين يومـاً ، والشخص الذي يأكل لقمة من حرام فإن دعاءه لا يستجاب لأربعين يوماً لأن لسانه لساناً شيطانياً . وحتى لو قرأ القرآن فقراءته شيطانية ولو قال « أعوذ بالله » أيضاً فإنه يكون قد قال ذلك بلسان الشيطان نفسه .

ماذا تعني لقمة الحرام ؟

إحدى مراتب الحرمة هي أن يحصل الشخص على الغذاء من طريق حرام ، فالخبز الذي في يده قد وصل إليه من مجال الغش في المعاملة ، أو الربا أو جهات أخـرى للحرام، كأن يكـون قد تصـرف فيه دون إجـازة صاحبه أو إجازة الشرع المقدس .

والمرتبة الأخرى هي ما كانت ناشئة من حرمة الميتة ، أو ما يقال عنه إنه ميت سواءً كان حيواناً حلال اللحم ويموت أو يكون ذبحه غيرشـرعي كأن لا يقول الذابح « باسم الله » عمداً : ﴿ **ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه** . . ﴾ فالدجاجة التي تم ذبحها ولم يـذكر اسم الله عليهـا فهي ميتة وشيطانية ، فلو نزلت من حلقومك إلى بطنك فهي بذرة الشيطان .

استفادة المعنى العام من الآية

وقد عمم السيد ابن طاوس ـ عليه الرحمة هذه الآية الشريفة، فمع أن مورد الآية هو اللحم من الحيوان الحلال ، إلّا أن السيد استفاد منها المعنى العام ، ومن الجيّد أن يتمسّك بذلك فيقول : أنا لا آكل من كلّ طعام قد تم تحضيره ولم يذكر اسم الله عليه .

فكيف يمكن للمؤمن أن يأكل من الخبز الذي لم يذكر اسم الله عليه أثناء خبزه ؟

تنّور الخبّاز ونغمة الشيطان

العجب من ذلك الزمان ومن هذا الزمان ، ليت السيّد كان حياً ويرىٰ !! وإني أتذكر أن الخبازين في السابق يأتونه بأحد الأشخاص ليقرأ حديث الكساء قرب التنّور ويدعو لأجل البركة و . .

والآن يجب أن يتم تحضير الخبز مع الموسيقىٰ واللغو ، ﴿ إنّا لله وإنّا إليه راجعون ﴾ . فالخبز يجب أن يخبز مع ذكر الشيطان ، وكذلك اللقمة الفلانية التي نأكلها أنا وأنت ولها أثرها الوضعيّ أيضاً .

كلنا مساكين ومتحيّرون

لو تأمّل الإنسان هذه الأمور في بعض الأوقات لقال واقعاً : « أمّن يجيب المضطرّ » ، إلهي ماذا نصنع ؟! هذه الأطعمة مظلمة وليس فيها نور ، وتترك أثرها على اللسان فيتلفظ اللغو والفحش والغيبة والتهمة والكذب و . . . وأثرها على العين الخيانة . . وأثرها على الأذن استماع اللغو واللهو والغيبة . والخلاصة تكون آثارها على جميع الأعضاء إمّا

حراماً أو مكروهاً ، أو المباحات التي تنسي ذكر الله تعالى على الأقل ، وتجعل جميع الأعضاء والجوارح شيطانية .

الطهارة والنجاسة في الطعام

والقسم الآخر من الطعام الحرام هو الطعام النجس أو المتنجس . فالأكل غير الطاهر الذي ينزل من الحلقوم يكون بذراً للشيطان حيث يترك أثره بعد ذلك .

وحتىٰ وليّ الطفل ليس له الحق أيضاً أن يطعمه من الغذاء النجس . لا تقل إنّ الطفل غير مكلّف فأنت مكلّف ، فواجبك الآن أن تربي لحم الطفل وجلده على الغذاء الطاهر والحلال ، لأن الغذاء سوف يترك آثاره الوضعية في آخر الأمر ، نعم لا مانع من أن تعطيه إلى الحيوان .

ومن الموارد التي يجب اجتناب الأكل فيها هي الأكل على الشبع . يعني أن يأكل الإنسان شيئاً وهو شبعان ، فهو مكروه وشيطاني ، وبعض مراتبه التي توجب الضرر الفاحش تكون حراماً يقيناً .



بسم الله الرحمن الرحيم

٧ - ﴿ إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طـائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾

(سورة الأعراف الآية : ٢٠١)

أسلحة المؤمن ضد الشيطان

اتّخذوا الشيطان عدوّاً

قلنا إنّ الإنسان ما لم يبتعد عن طاعة الشيطان فلا يحصل على حقيقة الاستعاذة ، فالشخص الذي يذنب باستمرار يكون خاضعاً للشيطان .

والقرآن الكريم يقول : « ﴿ . . فاتّخـذوه عدواً . . ﴾ فهـو عدوكم اللّدود ، وعليكم أن تعادوه لا أن تصادقوه . فطاعته هي الصداقـة معه يجب أن تدركوا دائماً أن هذا العدو الشرس قابع في الكمين ، ولن يترك الإنسان لحظة واحدة ، فلو كنت تعتقد أنك في أمان منه فأنت جاهل .

هل ينام الشيطان ؟

سألوا أحد العلماء : هل وردت روايات تقول بأن الشيطان ينام كما ينام الحيوان والإنسان ؟ فتبسّم وأجابهم جواباً لطيفاً : إذا كان الشيطان ينام فقد استرحنا منه مقداراً من الوقت على الأقل .

بينما تكون أنت نائماً يكون هو مستيقظاً ، فليس لديه نوم ، وإنّما يواظب عليك على الدوام .

﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم . . ﴾ نعم فهو لا يتركك إلى النفس الأخير .

يجب الاستعداد والتسلّح

إذن ، ماذا ينبغي أن نفعل ؟ وما هو واجبنا عندما يكون العدو بهذه القوة والاستعداد والتربّص ؟

الواجب هو أن نتسلح ، بل يجب أن نكون مسلّحين على الدوام . فلما كان العدو مستعدّاً ومنتظراً منه أن يغافلك فيجب أن لا تضع سلاحك أيضاً في أيّ وقت ، فلو تركت سلاحك لحظة من الزمان أو انصرفت عنه لحظة واحدة فإن عملك باطل .

والتقوى هي سلاح الإنسان . وهي الاستعداد الكامل أمام إبليس .

الإتيان بالمستحبات وترك المكروهات هي أسلحة المؤمن

بل إن الإتيان بالمستحبات حسب الإمكان له الأثر في دفع العدو ومقابلته ، وكذلك ترك المكروهات ، وحتى ترك الغفلات أيضاً له أكبر الأثر في هذا الأمر .

ولو غفل الإنسان عن العدو وارتكب شيئاً منهيّاً عنه اقترب من الثعبان بنفس المقدار ، واقترب من الشيطان . وكذلك يكون الشيطان قد اقترب منه وهيهات أن يتركه ويرفع يده عنه .

تشديد الهجوم بالتدريج

في البداية يسعىٰ الشيطان لإلقاء المؤمن في عمل مكروه ، ثم يفتح الطريق نحو ارتكاب الذنب الصغير ، وبعد ذلك الإصرار على الصغيرة واستصغارها، والذي هو بدوره معصية كبيرة ، ثم تكون الكبائر عنده أمراً عادياً ، ثم يأتي دور سرقة القلب وأصل الإيمان ، والخلاصة أنه يوقع المؤمن في الشك والوسوسة دون أن يفهم ذلك الشخص بأنه قد وقع في المصيدة .

ويتمكن المتّقون من حفظ أنفسهم من شرّ الشيطان بالأسلحة التي لديهم ؛ أما الأشخاص غير الملتزمين فكيف يمكنهم منازلة هذا العدو ومصارعته ؟

الوضوء سلاح المؤمن الفعّال

يعتبر الكثير من المستحبات أسلحة مهمة في دفع العدو ، كالوضوء مثلاً .

وقد ورد عن رسول الله (ص) : « الوضوء سلاح المؤمن » . فيجب أن يكون حاله في مقابل الشياطين كمن يقف أمام العدوّ وجهاً لوجه ، يعني يجب أن يكون على وضوء دائماً ، ولذلك يستحبّ أن يكون الإنسان متطهّراً في كل وقت .

والأكثر من ذلك يستحب تجديد الوضوء حتى لو لم يبطل وضوءه ، « الوضوء نور ، والوضوء على الوضوء نور على نور » فهو النور في مقابل الظلمة .

ويستحب أيضاً عند النوم فينبغي أن تنام متوضّئاً ومتسلحاً بالوضوء ، فإن نور وضوئك يطرد عنك الشيطان بمقداره الخاص .

الصوم والصدقة يقصمان ظهر الشيطان

ومن جملة الأسلحة عدة أشياء وردت عن خاتم الأنبياء محمد (ص) منها الصيام فإنه يسوّد وجه عدوك ، فلو زال الساتر فسوف ترى شيطانك وقد اسودّ وجهه .

إلّا أن الشيطان ليس بهذه الدرجة من الضعف بحيث يتمكن الإنسان أن يسوّد وجهه ويكسر ظهره بسهولة . والإنسان يريد أن يؤدي عملاً خالصاً وأن يمر من خلال الحجب السبعة وينتصر على ابليس .

الشيء الآخر هو الصدقة حيث يقول (ص) : « والصدقة تكسر ظهره » نعم إذا كانت مقبولة .

رأيت أمّ الشياطين !

جاء في كتاب الأنوار للجزائري بأنه كان في إحدى سنيّ القحط أحد الوعّاظ في المسجد يقول على المنبر : إذا أراد أحد أن يتصدّق فإن سبعين شيطاناً يتمسكون بيده ويمنعونه من ذلك .

سمع أحد المؤمنين هذا الكلام فقال لأصدقائه متعجباً :

ـ لا توجد في التصدّق كل هذه الصعوبة ، فأنا أملك مقداراً من الحنطة وسوف آتي به إلى المسجد وأعطيه إلى الفقراء . وقام من مكانه .

وعندما وصل إلى البيت وعلمت زوجته بنيّته بدأت تلومه على

ذلك : بأنك لماذا لا تهتم بزوجتك وأولادك في سنة القحط هذه ؟ لعل القحط استمر زماناً طويلاً فسوف نموت من الجوع في ذلك الوقت وسوف يكون كذا وكذا،والخلاصة فإنها أخذت توسوس له إلى درجة أن ذلك المؤمن رجع إلى المسجد بأيد خالية .

فسأله أصدقاؤه : ماذا حدث ؟ أرأيت كيف أن سبعين شيطاناً قد امسكوا بيدك ومنعوك ؟ فأجاب :

- إني لم أر الشياطين ، ولكني رأيت أمّ الشياطين وقد منعتني من ذلك .

وعلى كل حال فالإنسان عندما يريد أن يقاوم الشياطين فسوف ترون أن الشيطان يتكلم عن المصلحة الشخصية على لسان زوجته أو الصديق المخنّث ، ويمنعه .

الصدقة متناسبة مع الأشخاص

وعندما يذكرون الصدقة لا يقصدون أن يضع الإنسان يده في جيبه ويخرج منه قرشاً واحداً أو قرشين :

﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا ممّا تحبون . . ﴾

بل المقدار الذي تتمكن منه . فلو كنت مستطيعاً فلما لم تخرج الورقة ذات الخمسمائة وذات الألف فإن ظهر الشيطان لا ينكسر .

وأيضاً يجب أن يكون ذلك بشرط عدم إبطاله بالمن والأذى . فكيف لو وصل إلى الرياء والسمعة ؟!

التوبة أيضاً سلاح آخر

الشيطان الحقير يسعى ويتعب من أجل أن يوقع الإنسان في المعصية أو المعاصي ، ولكن لو تاب الإنسان توبة صادقة فيكون قد قطع أوتار قلب الشيطان واقعاً .

وطبعاً فالعدوّ ذكي ومحتال ، فهو يسعى مهما أوتي من قوة أن لا تحصل في ذلك الشخص حالة التوبة ، فإنه يلقي في قلبك : ماذا فعلت ؟! ألا ترى ما يفعله الآخرون ، أو إنك لا زلت شاباً قوياً وسليماً ، فتمهّل حتىٰ تصير شيخاً وعاجزاً ثم تتوب بعد ذلك .

سلاحان قويان يبيدان الشيطان

وذكر سلاحان قويّان في الرواية الواردة عن الرسول (ص) والتي تبيد الشيطان نهائياً ، الأول : « الحب في الله » والآخر : « والمواظبة على العمل الصالح » .

وهذا هو الجهاد الأكبر ، الحب من أجل الله لا من أجل الهوى والنفس ، وهو أهم من جهاد الكفار ، فهو الجهاد مع العدوّ الواقعي والباطني ، فلو لم يكن هذا فإن الجهاد مع الكفار لا يكون أيضاً ، بل في بعض الأحيان يكون بأمر من الشيطان أيضاً .

ويقول الإمام السجاد (ع) في الدعاء : « واغوثاه من عدوّ قد استكلب عليّ » . فيا صاحب الخيمة أغثني من هذا الكلب الذي هجم عليَّ .

إبليس يعض قدم الإمام السجاد (ع)

ذكر في كتاب (مدينة المعاجز) أن الإمام زين العابدين كان يصلّي فأراد إبليس أن يقوم بعمل يقلّل فيه من حالة الخشوع لدىٰ الإمام (ع) ، وطبعاً فإن الشيطان أحقر من أن يتمكّن أن يوقع الإمام في مكروه ، ولكنه يقنع من الإمام بهذا المقدار ، بأن يقلّل من توجّه الإمام الكامل وخشوعه التامّ في الساحة الإلهية .

وقد روي أنه خرّ في مقابل الإمام بشكل المارد العظيم (وقد ذكرنا في السابق بأن الشياطين يمكنهم أن يكونوا بأي شكل) إلا أن حال الإمام (ع) لم يتغيّر ، فاقترب الشيطان أكثر حتىٰ انتهىٰ به الأمر إلى أن يعض إبهام قدم الإمام .

وعند ذلك زجرته صيحة الغضب الإلهي ، وارتفع نداء بين الأرض والسماء : أنت زين العابدين .

فمع كل ذلك نجد أن نفس هذا الإمام (ع) يقول : « واغوثاه من عدوّ قد استكلب عليَّ » .

بيّنوا للناس مصائد الشيطان

هكذا كان حال الإمام السجاد (ع) أما أنا وأنت الجاهلان فكيف ؟

نحن أسرى الجهل والغفلة وبوسيلة نفس هذا الجهل يتمكن أذناب الشياطين من إغوائنا .

أيها العقلاء ، بيّنوا للناس المصائد الشيطانية ، وهذه الأمور التي تسبب فساد الأخلاق هي التي أقرّت عين الشيطان ، فلا تمضوا عمل الشيطان ، والنهي عن المنكر واجب على كل شخص وحتىٰ يصل الأمر

إلى المرتبة التي ليس فيها أي شرط وهي مرتبة الإنكار القلبي ، يجب أن تتأثروا من هذا الحال .

كل من يرى منكراً ويفرح لذلك فهو شريك مع معصية ذلك الشخص ، فتارة لا يتمكن الشخص من الذهاب إلى السينما والمسرح وسائر مراكز الفسق والفجور بسبب الأمور الشخصية من الكيان الاجتماعي وغيره ، لكنه لا ينكر ذلك بقلبه أيضاً فهو شريك مع أولئك في ذنوبهم .

أدقّ من الشعرة وأمضىٰ من السيف

أرجو أن لا نكون نحن من أصدقاء الشيطان خلف الستار ، ويكون هو في قلوبنا وعروقنا وجلودنا ، ونتصور أننا نؤدي أعمالاً خيّرة . أرجو أن لا يكون ذلك بأمر الشيطان أيضاً .

وهذا الأمر دقيق إلى درجة أنه أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف فقد يصبح مجرماً بنقطة محرّمة .

وكما قال الحاج نوري : إن البعض قد يدفع بهم إلى الغرور بأنه يكفينا حب الإمام عليّ (ع) فحسب.أيها المسكين ، إن أصل إيمانك في خطر ، فلو أنه وسوس إليك في ساعة الموت فماذا تصنع ؟ وتتصور أنك تحب علياً ؟!

هذا من جهة اللسان . أما لمن يكون قلبك خاشعاً ؟ وأين يذهب ولمن يطيع ؟ فذلك هو محبوبك ، وإن شاء الله يكون حبّ عليّ (ع) قد ملأ قلبك ، ولكن الحذر من أن تغلب على أمرك . هل تحب الشهوات

أكثر أو تحب علياً ؟ هل تريد دينك أكثر أم دنياك ؟ فلو أن دنياك أصبحت جيّدة فهل تفكّر في الآخرة ؟

الأمور الأخرويّة بقصد الدنيا

لقد صادت الشياطين القلوب . والمفقـود هو الاهتمـام بالآخـرة . فعندما يذهب الشخص إلى المأتم بقصد التوسّل بأبي الفضل العباس (ع) ليحصل على الحاجة الدنيويّة الفلانية ، إذن فأنت تـذهب لتحصل عـلى الحاجة الدنيوية الفلانية ، وتجعل التوسل وسيلة إلى ذلك ، بحيث لو أنها حصلت بدون التوسّل فلا شغل لك مع أبي الفضل العباس (ع) .

هل حدث أن توسّلت يوماً بهذه النية بأن تمـوت على حبّ عـلي(ع) كي لا يكون هذا الحبّ المختصر مورداً لعبث الشياطين في ساعة الموت ؟

مسافة ثلاثمائة ألف سنة

ورد في بعض الروايات أن البعض يقطعون مسافة ثلاثمائة ألف سنة حتى يصلوا إلى عليّ (ع) .

وهذا المطلب هو عين الحقيقة فواحد بالألف من قلبه يكون لعلي (ع) فيجب أن تـزول هـذه الحجب ، يجب أن يتخلص من حب الأشيـاء الأخـرى ليصل إلى عـليّ (ع) . يا أمـير المؤمنـين انـظر أنت إلينـا بنـظر اللطف .

أرجو أن نموت مع حب أهل البيت (ع) بمنّه وكرمه .



بسم الله الرحمن الرحيم

٨ - ﴿إنّ الـذين اتّقوا إذا مسّهم طـائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون﴾
(سورة الأعراف الآية : ٢٠١)

شبـاك الشيـطان

التقوى أوّل أركان الاستعاذة

خلاصة البحث السابق هو أن التقوى أول ركن من أركان العبـادة فيجب تأسيس العمود أولاً ، ثم البناء عليه بعد ذلك .

التقوى من الوقاية بمعنىٰ التحفظ والامتناع . فالتقوى تعني الامتناع عن مخالفة أمر الله ونهيه .

وطبعاً يجب أن يصل ذلك إلى مرحلة الملكة والعادة حتى يصـل إلى مرحلة تكون المعصية بالنسبة له مُرَّة ، فلو أن الجميع اتفقوا وأرادوا منه أن يغتاب أحداً لن يتمكنوا ، يعني أن تحدث في النفس حالة يستحيل زوالها أو يصعب ذلـك بشدة ، ويحصـل الإنسان عـلى القـدرة عـلى الشيـطان والنفس نتيجة المداومة والتكرار ، وهذا يقال له ملكة التقوى .

ترك المكروهات من أجل ترك المحرمات

ثم إنه ومن أجل الوصول إلى هذا المقام ينبغي عليه ترك المكروهات ، ليكون ترك الحرام عليه سهلاً ، ومع الاستمرار والتكرار تحصل لديه الملكة والعادة ، فلو أنه ترك المكروه الذي ليس في ارتكابه عقاب فإنّ ترك الحرام سيكون سهلاً عليه ، وسوف يتعوّد عليه بالتدريج .

أو أن لا يترك المستحبّات مهما أمكن ذلك ، فإنه ببركة فعل المستحبّات سيكون من المحال أن يترك الواجب . فالشخص الذي لا يترك صلاة النافلة هل يمكن أن تفوته الصلاة الواجبة ؟

الصحراء المليئة بالأشواك والقدم الحافية

وقد ذكر أحد العلماء معنىً لطيفاً للتقوى . وضرب لذلك مثالاً حيث يقول :

« لو كنت حافياً في صحراء مليئة بالأشواك والأحجار فكيف تسير ؟ هل تسير بسرعة ورأسك مرفوع ؟ أو تكون حذراً جدّاً وتنظر إلى أمامك وتضع قدمك بهدوء في المكان الخالي من الشوك حتى لا تصاب بشيء ، يعني أنك تحتاط حتىٰ لا تصيب الأشواك قدمك وتؤذيك ؟ »

فالتقوى تعني الحذر من أشواك وأحجار مصائد الشيطان وتجنب ذلك

مصيدة إبليس وحبوبه

وهذا الأمر مهمّ إلى درجة أن الإمام السجاد (ع) يقول في دعاء

صحيفته : « اللهم إنّا نعوذ بك من نزغات الشيطان الرجيم وكيده ومكائده . ومن الثقة بأمانيه ومواعيده وغروره ومصائده » .

لقد شاهدتم الصياد كيف يخفي مصيدته وينثر عليها الحبوب ، ويأتي الصيد ويرى الحبوب ولا علم له بالمصيدة ، فيأتي بطمع الحب ولكنه يقع في المصيدة قبل أن يلتقط الحب .

ولإبليس مصائد عديدة ، وقد حفر حفراً عديدة وغطّاها ونثر الحبوب فوق هذه المصائد والشباك ليقع فيها الإنسان المسكين المخدوع بظاهرها الجذاب والمخادع .

التقوى رؤية المصيدة

التقوى تعني أن تفتح عينيك ، لا تنظر إلى الظاهر البرّاق والمخادع ، انظر إلى المصيدة ، ومبروك لمن ينظر إلى عواقب الأمور . وهذا هو الذي ورد في الدعاء « وبصيرة في ديني » يعني أن أرى مصائد إبليس . لا أن أركض خلف الحب بشكل أعمىٰ وأقع في المصيدة ، ولا بدّ من ذكر بعض الأمثلة :

السوق مصيدة الشيطان

وقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : بأن السوق ميدان إبليس .

ولهذا السبب فإن التوقّف الكثير في السوق مكروه (والسوق هو محل المعاملات التجارية ولا يختص بالسوق المغطىٰ) .

وكـذلك يكـره الذهـاب إلى السـوق قبـل الجميـع والخـروج آخـر الجميع . فهذا الشخص يكون الشيطان معه ، كما ورد في الـرواية بـأن الإمام علي (ع) رأى ابن ملجم في يوم ١٨ من رمضان يتجـوّل في سوق الكوفة فقـال له : مـا تصنع هنـا ؟ فقال : أتجـوّل : فقال (ع): مجـالس الأسواق محاضر الشياطين .

يعني أن البقاء في السوق دون ضرورة يؤدي إلى الغفلة سواءً أردت أم لم ترد ، خصوصاً السوق في هـذا الزمـان ، ومع هـذا الوضـع الذي تعلمون ، فلو أردت أن تحصل على التقوى فعليك بالاحتياط كما تحتـاط عندما تضع قدمك في أرض مليئة بالأشواك .

الاستعاذة أثناء الدخول إلى السوق

فبمجرد أن تضع قدمك في السوق التجىء إلى الله وقل : إلهي أنت احفـظنـا من الـوقـوع في الحـرام : أن لا أغش وأدلّس في المعـاملة ولا أكذب ، ولا أهتك أحداً ، ولا أحتال وأعلن إعـلانات فـارغة ، أن لا أكون حريصاً وطمّاعاً و . . فهذه جميعها مصائد وشباك إبليس .

أنـا لا أقول لا تـذهبوا إلى السـوق ولا تتعاملوا ، بـل أقول كـونوا حذرين ومنتبهين وعليكم بالاحتياط .

يسأل الراوي الإمام الصادق (ع) : إن امـرأة تعاملت معي وأجـد نفسي مضطراً إلى النظر إليها لأرى أنها هي أو لا ؟

فقال الإمام (ع) : « اتق الله » عليـك أن تخاف الله وتحتـاط ، وكما ترون أن هذه النظرة بالذات تدفعه إلى تكرار النظر ومن ثم النظر بشهوة وتمنّيها لنفسه حتىٰ تدمّره في النهاية .

شباك الشيطان في طريق السوق

وانتبهوا في الطريق أيضاً فلو كانت مصيدة إبليس في طريقكم فاذهبوا من طريق آخر حتىٰ لو كان أبعد ؛ مثلاً لو كانت في طريقكم سينما أو مراكز فحشاء أخرى ، نساء عاريات أو صور مهيجة للشهوة فاذهبوا من طريق آخر حتىٰ لا تقع أبصاركم على هذه المناظر.لا تقل أين أنا من هذه الأمور ؟ إنها تجر القلب أو تؤدي إلى الغفلة على الأقلّ .

الصديق مصيدة خطرة

تارة يكون الرفيق للإنسان هو مصيدة إبليس ، يكون بذيء اللسان ومغتاباً وعديم الشرف . فمثل هذا الرفيق يجب استبداله بأسرع وقت .

عندما يجلس الاثنان ، خصوصاً النساء ضعيفات الإرادة فهنا تكون مصيدة إبليس ؛ يسألان عن أحوال فلان وفلان ، وتدريجياً يجر الكلام الحلال إلى الحرام حتىٰ يصل إلى الغيبة والتهمة ، والاستهزاء وإفشاء السر وهتك الحرمة .

هكذا تكون مصيدة إبليس ، ففي البداية يضع حبة الاستئناس والصداقة ويسأل عن الأحوال ثم ينتهي إلى الحرام ، وهكذا يكونان في جلسة ساعة واحدة قد ذهبا إلى أسفل السافلين في جهنم ، وعندما يريدان الخروج فإن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً ، ثم إنه حتىٰ لو جاء إلى المسجد مع ذلك الرفيق الشيطاني فلا تتصوروا أنها عبادة بل هي صورة وتظاهر فقط .

اعرف نفسك

وعلى كل حال فإن لإبليس مصائد عديدة ، فلو أن الإنسان لم تكن لديه التقوى ، ولم يكن يراقب أفعاله فسوف يجرّه الشيطان ولن يتركه حتى يوصله إلى قعر جهنم .

أيها العقلاء احتاطوا ، وعليكم بالاحتياط خصوصاً في اللسان فألجموه واحذروا ، مالكم وللآخرين ؟!

كل إنسان له حسابه الخاص : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** . . ﴾ .

واعلموا أن أعراض الناس هي مصيدة إبليس ، فعندما تكونون في مجلس واحد فاحذروا هذه المصيدة .

المرأة أخطر المصائد

من أهم المصائد،وعلى حد قول إبليس نفسه،أن أخطر مصائد الشيطان هو جنس المرأة ، اللهم ـ إلاّ ـ تلك النساء اللاتي قضين عمراً في مناهضة إبليس بصورة جدّيّة .

ويصاد الرجل متأخراً لكن المرأة تصاد بسرعة ، ثم تكون بعد ذلك مصيدة للرجل المسكين .

ألم تسمعوا بأن الشيطان كلما بذل جهداً لم يتمكن من خداع آدم ، وأخيراً خدع حوّاء،ومن ثم خدع آدم بواسطتها .

وقد جاء في الرواية أن الشيطان قال ليحيىٰ : إني في كل وقت أعجز عن إغواء شخص أستخدم النساء لذلك .

نعم ، فالشيطان يصل إلى أهدافه ، ببركة النساء ويحقق مطلبه :
﴿ **ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه . .** ﴾ .

الجلوس مع المرأة مقدّمة المعصية

فلذلك ورد في الروايات عن أهل البيت (ع) أن كثـرة الجلوس مع النساء تورث قساوة القلب .

وهذا لا يعني تجنب النساء بل يجب الاحتياط لأنها مصيدة الشيطان فقد تحدث أموراً بكلمة واحدة . وقد تغضبك ويكون ذلك مقدمة للكثير من الذنوب .

والويل إذا كانت المرأة أجنبية وكان المكان خالياً فإنها مصيدة خطيرة جدّاً .

المصافحة مـع المرأة الأجنبيـة حرام ، ولا تهتمـوا لهؤلاء الحيوانـات الـذين لا تقوى لهم . هؤلاء قـد وقعـوا في مصيـدة الشيـطان ، فلو أن جسمك مسّ جسم المرأة الأجنبية فقد وقع في المصيدة .

قصة برصيصا العابد

كان أحد العبّاد ـ واسمه برصيصا ـ معتزلاً للناس ومشغولاً بالعبادة دائماً ، وكان معروفاً بأنه مستجاب الدعوة .

مرضت ابنة السلطان في ذلك الزمـان مرضـاً شديـداً،وكلّما عالجهـا الأطبـاء لم ينفع معهـا العلاج حتى اعتقـدوا أن العلاج منحصر بـدعـاء برصيصا العابد ، ولما كان لا يأتي إلى المدينـة ومجلس السلطان ، فلذلك حملوا هذه البنت بتلك الحالة من المرض إلى صومعة ذلك العابد ليدعـو لها ، ثم إنّهم تركوا البنت عنده وذهبوا .

ولو كانت لهذا العابد تقوى حقيقية كان جديراً به أن يصيح بهم بأن لا تتركوا هذه البنت الأجنبية في صومعتي . ألا يتمكن من الدعاء لها في غيابها ؟ إلّا أنه لم يحتط هنا ، ومقتضىٰ التقوى هو عدم الخلوة بالمرأة الأجنبية في مكان واحد . فلأنه لم يهتمّ بذلك وقع في المصيدة .

فنظر إلى تلك البنت ، ونظر إليها مرة أخرى وأعجبته كثيراً،ولم يقع هذا العابد المسكين طيلة عمره في مثل هذه المصيدة ، وهنا كان الشيطان دلّالاً ، ولم تتمكن عبادة سنين عديدة أن تمنعه . وأخيراً ارتكب الحرام .

ثم إن الشيطان وسوس له : أرأيت كيف فضحت نفسك ؟ غداً سيفهم الناس بأنك زنيت مع بنت السلطان فيقتلونك ، فإذا أردت النجاة فاقتلها وادفنها وقل لا أعلم أين ذهبت .

واستمر يوسوس له حتى خنق بنت السلطان وهي نائمة وقتلها ، ثم دفنها في حفرة ، وأهال عليها التراب والأحجار وغطاها .

أجل ، فالعدوّ لا يكتفي بمصيدة واحدة ، فما لم يجرّه إلى ذلك المكان الذي هو فيه لا يتركه، وما دامت في قلبه ذرّة من الإيمان فإنه يظل طامعاً فيه .

ولما جاؤوا في الغد وسألوا عن أحوال البنت ، تجاهل العابد وقال : لقد دعوت لها وشفيت من المرض ولا أعلم بعد ذلك شيئاً عنها .

والمروي أن الشيطان تمثل أمام أحد المراجعين وقال : أنا أعلم أين هي .

وجاء بهم إلى قبر البنت وأراهم الجنازة .

وهجم الناس على صومعة العابد وأخذوا يجرّونه حتى جاؤوا بـه إلى الحاكم وهم يبصقون على وجهه .

أجـل ، فإن لحـظة واحـدة من اتّبـاع الشهـوة يصحبهـا نـدم طيلة العمر ، ساعة واحدة من لذّة النفس وكل هذه المفاسد التي تتبعها ؟!

والخلاصة فإن الحاكم أصدر الحكم بإعدامه فصلبوه ، وكان الصلب في السابق يختلف عن هذا الزمان فالمصلوب لا يموت بسـرعة وينتهي ، وإنما كان يبقى معلقاً مدة طويلة حتى يهلك .

ولم يكن لهذا العابـد المسكين أحـد ينصره ولمـا كان في أشـد الألم ، وأرادت روحه أن تخرج تمثـل له الشيـطان قائـلاً : إذا سجدت لي فـإني سأنقذك .

وأخيـراً سلب إيمان العـابد المسكين أيضـاً ليكـون معـه في أسفـل السافلين .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

٩ - ﴿ إن الذين اتّقوا إذا مسّهم طـائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾
(سورة الأعراف الآية : ٢٠١)

تقـوى القلـوب

الاستعاذة نافعة مع التقوى

تلخّص مما سبق في الحلقة المـاضية أن الـركن الأول للاستعـاذة هو التقوى ، فلو كانت التقوى موجودة فإنها تعطي حالة الاستعاذة واللجوء إلى الله من شر الشيطان،وتكون كلمة « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » مؤثرة ، وإلا فإن قولك ألف مرة أعوذ بالله لن يؤثر شيئاً .

وفي هذه الحلقة سأبينّ معنىٰ آخر يستفاد من هذه الآية الشريفة :

القلب الفاقد للتقوىٰ وكر للشيطان

عندما يكون القلب فاقداً للتقوى فاعلموا أنه وكر للشيـطان حتماً ، كيف يمكن أن يتركه الشيطان بهذه السهولة ؟!

القلب العديم التقوى يعني قلباً ليس فيه ذكر الله ، وإنما الشهوات والآمال والتمنيات والأهواء ، وفيه الأنانيات وحب الذات ، وحب الدنيا والمال والأمور الدنيوية الأخرى . فهذا القلب هو مركز ومحطّة لإبليس ، وما لم يخل من هذه الأمراض ومن الأشياء التي يطمع فيها الشيطان لا يمكن أن تحصل فيه حالة الاستعاذة .

طعام دسم وكلب جائع

ولعلكم قد جرّبتم فيما لو اتجه نحوكم كلب جائع وكان معكم خبز أو لحم ، فهل يمكن دفعه بكلمة « كش » ؟ وحتىٰ لو رفعتم عليه العصا فلن تؤثر شيئاً ، فهو جائع وعينه ناظرة إلى الغذاء ، حتى لو ضربوه بالعصا فإنه لن يتراجع .

أما لو لم يكن معك شيء فإن الكلب سوف لا يتّجه نحوك مع تلك الشامّة القوية التي يمتلكها ، لأنه يفهم أنه لا شيء معك ، فبمجرد أن تقول له « كش » سيذهب فوراً .

القلوب المريضة طعام الشيطان

فقلبك هو محطّ نظر الشيطان ، فإنه ينظر إلى القلب ، فلو كان فيه طعام من حب المال والمادة والشهرة والمقام ، فسوف يرى أن هذا المكان جيّد ، ففيه الحرص ، وكلما حصل على شيء فهو قلبا، في نظره ، ويرى أن في هذا المكان بخل وحسد . بَهْ بَهْ ما أحسن هذا المكان للشيطان ، ويتّخذه مقرّاً له ، فلو قلت ألف مرة « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فإنه لن يتراجع بهذه التهديدات . فهذا العدو شرس جدّاً ، ﴿ إنّ

الشيطان لكم عدو .. ﴾ ﴿ .. إنّه لكم عدو مبين ﴾ نعم ، إذا أبعدت عنه طعامه فسوف يرى أنه لا وسيلة لبقائه فيهرب باستعاذة واحدة ، فماذا يستطيع الشيطان أن يستفيد من القلب الذي ليس فيه حب الدنيا ؟!

أكثر الناس مصابون

ورد في رواية أن الشيطان تمثل ليحيىٰ بن زكريا فسأله يحيىٰ عن حاله مع بني آدم فقال : إن البشر على ثلاثة طوائف ، الطائفة الأولى هم الذين لا نصل إليهم وهم الأنبياء والمعصومون.والطائفة الثانية هم الذين نقبل عليهم فنغويهم ونضلهم بصعوبة ، ولكنهم يبطلون عملنا بالتوبة والإنابة إلى الله ، وتعود المياه إلى مجاريها . والطائفة الثالثة وهم الذين صارت قلوبهم وكراً لنا وهم أكثر الناس .

أيها المؤمنون ، اعملوا شيئاً يمنع الشيطان من أن يتخذ من قلوبكم وكراً له ، لأنه لو تمكّن من ذلك فإن الاستعاذة باللسان لا تؤثّر شيئاً .

السارق يبحث عن المنفذ

ومن أجل أن لا يكون القلب وكراً للشيطان يجب أن يكون متّقياً أولاً . يعني أن يكون خالياً من كل ما يخالف رضا الله تعالى من الأهواء والأخلاق السيّئة والملكات الرذيلة ، والصفات التي تدفع بالإنسان إلى ارتكاب المحرمات .

فلو فرغ القلب من ذلك وتطهّر بسبب وجود التقوى فيه ووجود الخوف من الله ويوم القيامة فماذا يمكن أن يصنع الشيطان ؟ فهو يطمع

فيه من جهة ولكنه لا طريق له إليه ، كالسارق الذي يريد سرقة البيت ، فإنه يبحث فيه عن منفذ ومحط قدم له حتىٰ يعثر في النهاية على طريق له إلى ذلك البيت ، ولكن لو كان صاحب البيت مستيقظاً فإنه سوف يلقي بنفسه إلى الخارج .

إبليس حول بيت القلب

﴿ إن الذين اتّقوا . . ﴾ أولئك الذين طهّروا قلوبهم من كل ذنب ، فلو طهر القلب فسوف تطهر الأعضاء والجوارح أيضاً ، وسوف لا يصدر منه شراً أو فساد ، ويطهر لسانه وعينه وأذنه ويده ورجله من أي ذنب .

﴿ . . إذا مسّهم طائف . . ﴾ الطائف يعني من يطوف ويدور حول بيت القلب .

﴿ . . من الشيطان . . ﴾ : من إبليس هذا اللص الخائن الذي يدور حول بيت قلب المؤمن ليعثر على منفذ فيه ، ولكن فجأة :

﴿ . . تذكّروا . . ﴾ : ينتبه ويقول : يا الله ، أستغفر الله ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ . . فإذا هم مبصرون ﴾ : ويعلم بوجود اللص .

وغرضي هو كلمة « طائف من الشيطان » يعني ذلك الذي يدور حول قلب المؤمن لإلقاء الوسوسة والسرقة .

ولكن لو كان متّقياً وكان القلب طاهراً فسوف يضيء نور التقوى ويفتضح اللص ويهرب ، والويل لذلك القلب الذي لا تقوى فيه بل فيه حب الدنيا فإنه لن يتركه ما لم يهلكه .

لماذا انتحر ؟!

عندما باع أحد الأشخاص سلعة في معاملة مع فارق مئتي ألف تومان في السعر يعني أن الثلاثين ألفاً باعها بتسعين ألفاً ، وبعد ثلاثة أيام باعوها مرة ثانية بثلاثمائة ألف تومان ، فقد أصبح هذا المسكين مهموماً مُغموماً لأنه لم يربح ذلك المقدار ، ولم يهدأ لما فعله رفاقه ، فكان يبكي ويتحسر ، ولم يعرف النوم ولا الراحة ولا الأكل . والسب هو أنه كان يقول : لماذا تسرعت حتىٰ أفلتت من يدي مائتا ألف تومان ، وأخيراً ابتلع السم والزرنيخ وذهب حيث الشيطان موجود .

لماذا ؟ لأن حب المال في القلب ، وهو مركز الشيطان ومقرّه ، فما لم يخنقه لن يتركه أبداً .

لماذا لا تنفع الاستعاذة ؟

يجب أن ننتبه جميعاً : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

طهّر قلبك من كل تلوث وإلافإذا كان اللسان يؤثّر لوحده فإننا نقول في أول الصلاة : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ولكن ما حال توجّهك في الصلاة إنه يدور في كل مكان سوى الصلاة ، إذن فاللسان وحده لا يكفي .

ومثله مثل ذلك الشخص الذي كان يبحث منذ الصباح الباكر عن جراب فقده ، فلما اقترب وقت الغروب وقف للصلاة وتذكّر ، فلما سلّم دعا غلامه وقال : اذهب إلى المحل الفلاني وجئني بالجراب فقال الغلام : سيدي هل كنت تصلي أم كنت تبحث عن الجراب ؟

وهذه أشياء حقيقية، فما دام هذا القلب مصاباً بالرذائل الخلقية فإنه لا ينتفع بالاستعاذة . وعندما يموت يكون في دار الشيطان لا دار الرحمن « يحشر الناس على نيّاتهم » و« إن الله ينظر إلى قلوبكم لا إلى صوركم » .

تذكّر الموت يأتي بالحقيقة

قلّما توجد خطبة في نهج البلاغة لم يذكّر بها الإمام علي (ع) الناس بهذا المعنىٰ : « لا تنسوا الموت » ، إنه أكبر علاج لأمراض القلب ، فلو أن أحداً استمر في معالجة نفسه بهذه الحقيقة التي أوصى بها الإمام (ع) فقد فتح الطريق لإصلاح نفسه .

وفي الليل عندما ترجع إلى البيت لا تنس هذا المعنى وأنه يحتمل أن يخرجوا جنازتك عند الصباح من هذا البيت ، وعندما تخرج من البيت صباحاً لا تنس أنه يحتمل أن لا ترجع إلى البيت .

ولو أن هذا المعنىٰ أصبح ملكة لدىٰ الإنسان فلأي شيء يكون الحسد والبخل والحرص والنفاق والحقد والوسواس والغفلة ؟ فأنا الذي لا أعلم هل أني موجود غداً أولا ، فلماذا أكون حريصاً ، ولماذا أؤذي نفسي والآخرين لأسباب تافهة .

الذباب على الحلوىٰ

مثال آخر : هل رأيتم كيف أن الذباب لا يترك جانب الحلويات والدهنيات ، ومهما طردته فلن يبتعد عنها ، ولكن ارفع الحلوى من مكانها فييأس الذباب ويبتعد بإشارة واحدة .

أيّها المؤمن ، طهّر القلب من الأوساخ حتىٰ تترك الشياطين قلبك باستعاذة واحدة .

يقول الإمام السجّاد (عليه السلام) في الدعاء الحزين الذي يقرأه بعد صلاة الليل ، والمذكور في حاشية مفاتيح الجنان الصفحة ٧٧٢ :

« فيا غوثاه ثم واغوثاه بك يا الله من هوى قد غلبني ومن عدوّ قد استكلب عليّ »

أجل ، فلأنه لا شيء في قلب المؤمن يصلح طعاماً للشيطان ، وهو من أهل الذكر ، فبمجرد أن يهجم عليه الشيطان يطرده باستعاذة واحدة ولجوء إلى الله تعالى .

لا يسمح بالتوبة

وقد روي أنه عندما نزلت هذه الآية :

﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله . .** ﴾ صرخ الشيطان ، وجمع أعوانه وهم يتساءلون عن السبب في ذلك ؟

فقال : لماذا لا أصرخ جزعاً ؟! لقد تعبنا كل هذا التعب من أجل أن يذنبوا ولكنهم يتوبون بعد ذلك وتذهب أتعابنا هدراً .

فقال كل واحد من الأبالسة شيئاً ولم يتّفقوا على شيء ، وقال الخنّاس : إن الحلّ الوحيد هو أن نملي شيئاً نمنعهم فيه من طريق التوبة فلا يوفقون للتوبة .

فقال إبليس : أجل ، إن كلامك هو الصحيح فقط والحلّ منحصر بذلك .

لنقتد بالإمام السجاد (ع)

أجل ، فأحدهم يقول : أنا شاب ، وأنا سليم ، ولم أصبح عجوزاً بعد ولم أقع في الفراش لحدّ الآن ، فلذلك لا يفكر بالتوبة أصلاً .

إلا أن الإمام السجاد (ع) يقول : « ومن عدوّ قد استكلب عليّ » و « يا عون كل ضعيف » ومن هو أضعف وأحوج مني ؟

فهذا الشيطان المستكلب قد هجم عليّ،ومن جهة أخرى فإن بريق الدنيا وزخرفها يجرّني إليها ، ولم تتركني الأهواء والشهوات : « واغوثاه من هوى قد غلبني » .

دعاء الغريق في زمان الغيبة

عندما يخبر الإمام الصادق (ع) عن زمان غيبة وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف ، ويذكر المفاسد التي تكون في ذلك الزمان المليء بالفتن بحيث إذا مات شخص على الإيمان فإن الملائكة تتعجب من ذلك .

فيقول الراوي : ماذا يصنع من يكون في ذلك الزمان ؟ فقال (عليه السلام) : يقرأ دعاء الغريق : « يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك » .

ولكن ينبغي أن يرى نفسه غريقاً ومسكيناً واقعاً ، خصوصاً في هذا الزمان حيث الشياطين فرحون فلم يتركوا قلباً إلاّ وصادوه . إلهي أنت احفظ قلوبنا من شرّ الشياطين .



بسم الله الرحمن الرحيم

١٠ - ﴿ إنّ الذين اتّقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾ .
(سورة الأعراف الآية : ٢٠١)

البصيرة في الدين

لقد اتّضح من مواضيع الحلقات السابقة أن ركن الاستعاذة الأعظم هو التقوى ، بحيث إذا لم تكن مخالفة الشيطان ومتابعة الرحمن ملكة راسخة في الشخص فإن الاستعاذة لا معنىً لها ، وهو في مصيدة الشيطان .

إذن فلماذا الاستعاذة ؟

وهنا يطرح سؤال ، فيمكن للبعض أن يقول : إذا كانت لديه التقوى فالاستعاذة لأيّ شيء ؟ فهذا الشخص الذي لن يذنب ولم تصدر منه خطيئة فلا مورد للاستغاثة بالله من شر الشيطان بعد ذلك .

والجواب هو أن الأمر بالعكس ، فإن الاستعاذة لأهل التقوىٰ ،

فذلك الذي عنده ملكة التقوىٰ يستجير بالله دائماً حذراً من نفوذ الشيطان إلى قلبه ، والشخص العديم التقوى لم ينفصل عن الشيطان لكي يستغيث حذراً من نفوذه إلى قلبه،فهو موجود في قلبه،ويتحرك ذلك الشخص بأوامر الشيطان .

أما الشخص الذي لم ينفذ الشيطان إلى قلبه وهو في دار الرحمن فيجب عليه اللجوء إلى الله تعالى من عبث الشياطين ، لأن الشياطين لن يتركوا الشخص وهم قابعون في كمين له دائماً ويحاولون العثور على طريق لهم بأي صورة،فيجب أن ينتبه المؤمن كي لا يجدوا طريقاً لهم ، فلو أنّه غفل لحظة واحدة فالعدو قويّ ويحتمل أن يجد له طريقاً في نفس تلك اللحظة .

أعمال الخير التي تجرّ إلى الشر

ويحتال الشيطان حيلاً عديدة ليجد منفذاً له إلى قلب المؤمن.وقد ورد في الرواية أن الشيطان يضع أمام المؤمن المتقي تسعاً وتسعين طريقاً إلى الخير حتى يوقعه في الشر في الطريق المائة .

والمرشد لهذه الأعمال الخيرة هو الشيطان ، فهو حاذق ودقيق في التحضير للشر ، بحيث إن الإمام (ع) يقول في الدعاء : « وبصيرة في ديني » فهذا العمل الذي أريد أن أؤدّيه أرجو أن لا يكون بإغواء الشيطان ليوقعني في الشر .

الوقوع في الحرام عن طريق مقدس

مثلاً : لو كان في بيت أحد أقربائك عقد زواج ، فإن الشيطان يلقى

في قلبك بأن إجابة الرحم لازمة وصلته واجبة ، فتتهيأ للذهاب إلى ذلك المجلس ،فما إن تدخل حتى ترىٰ أن الذكر والأنثى سوية ، والموسيقىٰ تدق والمطرب يغني وو. . . فعقلك يقول : قم واذهب فإن المشاركة في مثل هذه المجالس مع هذه الوضعية حرام ، أما الشيطان فيقول:سوف تنهدم الجلسة وسوف يتأثرون ويكون عملك قطعاً للرحم .

وهكذا يرشدك من طريق مقدّس حتىٰ يلوّثك تدريجياً . وفي البداية يلهمك الخير واحداً بعد آخر،وأخيراً يجرك إلى الحرام .

الأمر بالمستحب من أجل ترك الواجب

تارة يلقي الشيطان في قلبك نيّة عمل مستحب لكي يمنعك من واجب ، فمثلاً إن زيارة الإمام الرضا (ع) حسنة جداً ، فيشوقك للذهاب ، لكنك سوف تترك أطفالك وعائلتك الواجبي النفقة ، أو تترك أمك دون معيل وتذهب ، أو يقترح عليك واجباً مثلاً لكي يفوتك واجب أهمّ منه .

الإنكار القلبي بالنسبة للعبادات

تارة يدفع الإنسان إلى الأعمال المستحبة ليحدث عنده نفور من العبادات .

فمثلاً يلقي في قلبه زيارة كربلاء ، بأنك إذا ذهبت فإنه ستغفر لك جميع ذنوبك ويكون ذهابك سبباً للخير والبركة في مالك ونفسك ويؤدي إلى سعادة دنياك وآخرتك ، فحتىٰ لو ذهبت بطريق غير رسمي فإن ثوابه يكون أكثر، فأنت تذهب بأمل أبي عبدالله الحسين (ع) وعندما يذهب إلى

هناك ويقع في محذور ، ويذهب إلى السجن يقول : ليت قدميّ كسرتا فلم أتمكن من المجيء .

فهو في البداية قد دفعه إلى عمل مستحبّ ، وكان آخر ذلك أن حصل في قلبه تنفر وكره بالنسبة إلى هذه العبادة المهمة .

لنطلب من الله تعالى البصيرة في الدين

أجل ، فإنه لا طريق إلّا بالاستعاذة،وهذا يختص أيضاً بأهل التقوى والدين يجب عليهم الحذر من الشيطان كي لا يحرفهم عن طريق العبادة ، فاطلبوا من الله تعالى أن يفهمكم بأن هذا العمل الذي تريدون القيام به : هل هو شيطاني أو رحماني ؟ فتارة ترى أن ظاهره حسن جداً إلّا أن باطنه فاسد .

ومن أجل توضيح الموضوع وهو أنه يمكن أن يخدع المؤمن عن طريق العبادة ، أذكر هذه الرواية .

شيطان مضلّ بين الأرض والسماء

جاء في بحار الأنوار نقلاً عن أصول الكافي رواية عن الإمام الصادق (ع) ، مضمونها أنه كان في قديم الزمان عابد ، قد أتعب نفسه في عبادة وطاعة الحق تعالى ، وقد كانت عبادته إلى درجة أن الشيطان كلما سعىٰ ليفتر عنها لم يتمكن ، فصاح صيحة فاجتمع أعوانه حوله .

فقال : لقد عجزت من هذا العابد فهل لديكم طريق إليه ؟
فقال أحدهم : أنا أوسوس له حتىٰ أغويه بالشهوة وارتكاب الزنا .
فقال : لا فائدة من ذلك ، لأنه قد ماتت فيه الرغبة إلى المرأة كلياً .

وقال آخر : أنا أغويه عن طريق الأطعمة اللذيذة حتى يصل الأمر به إلى أكل الحرام وشرب الخمر . . وأهلكه .

فقال : لا فائدة من هذا أيضاً لأنه وبسبب رياضة عدة سنين فقد قتلت شهوة الأكل عنده أيضاً .

وقال ثالث : من طريق العبادة ، فأنا أستطيع أن أغويه من نفس الطريق الذي هو فيه .

فقال : نعم ، إذا استطعت أن تعمل من الطريق المقدس .

وأخيراً كانت نتيجة « دار الشورى » هذه أن نفس هذا الشيطان الصغير أصبح مأموراً بذلك (ويأتي من نفس هذا الطريق وأمثاله إلى أغلب المتدينين) ، فجاء هذا الشيطان وتمثل بصورة الإنسان وفرش سجادته في الهواء مقابل هذا العابد واشتغل بالصلاة .

فشاهده العابد وتعجب من ظهور من هو أعبد منه حيث يقف في هذا المكان للصلاة ولا يحسّ بتعب أبداً .

وأخيراً قال : لأذهب إليه وأسأله ماذا صنع حتىٰ وصل إلى هذا المقام .

وكان هذا الشيطان مشغولاً فلم يكن يلتفت إلى العابد أبداً ، فبمجرد أن يسلّم من صلاة يبدأ بصلاة أخرى .

حتىٰ اضطر العابد لأن يقسم عليه أخيراً بأن لي سؤالاً واحداً فقط ، وأرجو أن تجيبني عليه ، فانتظر الشيطان ، فسأله العابد : ماذا صنعت حتىٰ وصلت إلى هذا المقام ؟

فقال : لقد وصلت إلى هذا المقام بسبب ذنب ارتكبته وتبت منه . والآن كلما تذكّرت ذلك الذنب أتوب وأشتدّ في العبادة ، وإنّي أرى أن صلاحك في ذلك أيضاً ، بأن تذهب وتزني ثم تتوب بعد ذلك لتصل إلى هذا المقام .

فقال العابد : كيف أزني وأنا لا أعرف الطريق إلى ذلك ، ولا مال لي ؟

فأعطاه ذلك الشيطان درهمين وأعلمه بمحلّ الفاحشة في المدينة .

ونزل العابد من الجبل ودخل المدينة وأخذ يسأل الناس عن مكان تلك الفاحشة ، فتصور النّاس أنه يريد أن ينصحها ، فلما دخل على تلك الزانية عرض عليها المال وطلب منها العمل الحرام .

وهنا تجلىٰ اللطف الإلهي في مساعدة ذلك العابد وألقىٰ في قلب الفاحشة أن تهديه .

فنظرت المرأة إلى وجه العابد فرأت فيه سيماء التقوى والزهد ، فلم يكن مجيئه إلى هذا المكان أمراً عادياً .

فسألته : كيف جئت إلىٰ هنا ؟ فقال : لا دخل لك فخذي المال وسلّمي نفسك .

فقالت المرأة : لا أستسلم لك ما لم تقل لي الحقيقة ؟
فاضطرّ العابد أخيراً أن يقص عليها ما حدث له .

فقالت المرأة: أيها العابد ، إنه وإن كان ذلك يضرني فاعلم أن ذلك الذي أرشدك إليَّ كان شيطاناً. فقال العابد ، لقد وعدني أن أصل إلى ذلك

المقام وليس كما قلت لي-فقالت : أيها العابد ، من أين تعلم أنك سوف تتوفق للتوبة بعد الزنىٰ أو أنه سوف تقبل توبتك ، إضافة إلىٰ ذلك فقطعة القماش السليمة أفضل أو تلك التي فتقت ورتقت بعد ذلك ؟!

إن الشيطان هو الذي أغواك .

فلم يقبل العابد وأخيراً قالت له المرأة :

ـ اني موجودة في هذا المكان ومستعدة لما تـريد ، ولكن ارجـع أنت فإذا رأيته في محلّه مشغولاً بالعبادة كما كان فارجع ، وإذا لم تعثر له على أثر فاعلم أنه شيطان .

وطبعـاً فإن اللص يهـرب عندمـا ينكشف أمره ، فبمجـرد أن يعلم المؤمن بأنها وسوسة الشيطان فإن الشيطان يختفي هرباً .

فعندما رجع لم ير أحداً ، فعلم بالمصيدة التي أراد هذا الملعـون أن يوقعه فيها .

ولهذا السبب فقد دعا تلك المرأة الزانية ، وقد روي أنها كانت الليلة الأخيرة من عمر تلك المرأة الزانية وماتت ، وفي الصبـاح أوحي إلى نبيّ ذلـك الزمـان أن اذهب لتشييع جنـازتها . فقـال إلهي إنها كـانت زانيـة معروفة ، فجـاءه الوحي : بمـا أنها أرجعت عبداً قـد هرب من بيتنـا ، وكانت السبب في نجاة ذلك العبد ، فلذلك أنقذناها نحن أيضاً .

وللوعظ أهميـة كبيرة . فعليكم أن تمنعـوا المذنب من المعصيـة مهما استطعتم واجعلوه يتوب ، فالله تعالى شكور ، وسوف يجازي على ذلك ، وكذلك طهّر نفسك أيضاً .

وأنا متحيّر ، فمن جهـة أنظر إلى مكـائد إبليس وضعفنـا ولا أعلم

عاقبة أعمالنا كيف تكون في آخر الأمر . فهل يمكن أن نسلم وننجو ، أو لا ؟! ولكن لو ساعدنا فضله ولطفه فهناك أمل في نجاتنا ، يا راحم كل ضعيف .

إذا رأيت مولاي ذنوبي فزعت ، وإذا رأيت كرمك طمعت . .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

١١ - ﴿ إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طـائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾

(سورة الأعراف الآية : ٢٠١) .

وسوسـات الشيطان للأنبياء

متحرك بتحريك الشيطان

كان الكلام في موضوع الاستعاذة.وهو أن الاستعـاذة تختص بأهـل التقـوى ، وإلاّ فإن غيـر المتّقين قد نفـذ الشيـطان في وجـودهـم حيث يتحركون بحركاته ، فمن أي شيء يريد الهرب ؟ فالهرب من الشيطان لمن يكون من أهل التقوىٰ حيث يطوف الشيـطان على جوانب قلبـه ، فيتذكر الله تعالى ويعلم أنها وسوسة الشيطان ، فيهرب منه .

ولما كان المتّقي حذراً فإنه لا يرتكب محرّماً ، ولا يفوته واجب ، فلو اقترب من قلبه طائف شيطاني فسوف يدرك مصيـدة الشيطان ويستعيـذ ويهرب بمجرد أن يرى المصيدة .

وأهل التقوى يتذكّرون الله تعالى بسبب وجود التقوىٰ ، ويدركـون بنور المعرفة والبصيرة أن هذه مصيدة .

وغرضي هو كلمة « مبصرون » يعني أنهم يفهمون أنها وسوسة ، فلمّا فهم ذلك انتهىٰ الأمر يعني أنه يهرب فوراً . والمهم هو أن الشخص سوف يكون فاهماً للوساوس سـواءً أكانت في بـاب العقائـد أو الاخلاقيّـات أو العبادات .

حتىٰ الأنبياء لم يتركهم الشيطان أيضاً

وهناك نوع من الوسوسة يكون في باب العقائد والتي لا ينقطع طمعه عنها حتى من الأنبياء ، إلاّ أنه لا يستطيع إليهم سبيلاً .

وقد روي أن الشيطان تمثّل أمام المسيح (ع) بينما كـان المسيح عـلى جبل ، وقال له : يا روح الله إذا سقطت من هذا الجبـل فهل يستـطيع إلهك أن يحفظك ؟ فقال : نعم .

فقـال : إذا كنت صادقـاً فاقـذف بنفسك ليحفـظك ربّـك . فعلم عيسى (ع) أن وسوسة هذا الملعون مغالطة ومخادعة ، فلذلك قال : أيها الملعون هل تشير عليّ بأن امتحن ربّي ؟ إن نفس هذا الكـلام هو غلـط وشيطاني ، فأنا على يقين من أن ربّي يستطيع ذلك ، فهـل أقذف بنفسي من أجل أن أمتحن ربّي وهل يستطيع أولا يستطيع ؟!

والشيء الآخر هو أن نفس ذلك الذي خلقني هو الذي نهاني عن هذا العمل ، فالانتحار وقتل النفس حرام . نعم ، إذا سقطت دون اختيارك وتعلقت إرادة الحق ببقائك حيّاً فإنه سوف يحفظك .

محادثة المسيح (ع) مع إبليس

وروي أنه قال مرة أخرى للمسيح (ع) : يا روح الله ، أنت ذلك الله الذي يحيي الموتىٰ ، وأنت ذلك الله الذي يخبر بالأمور الغيبية وو . .

وفوراً زجره المسيح (ع) قائلاً : ما تقول يا ملعون ؟ فأنا ذلك العبد الذي بدعائي يحيي الله عز وجل الموتىٰ و . .

وعندما ردّ عليه جميع وساوسه صرخ صرخة وهرب من أمام المسيح (ع) .

فالشيطان يلقي هذا النوع من الوساوس العقائدية في قلوب المتّقين لكنهم يفهمون بنور ذكر الله أنها وسوسة الشيطان . مثلاً : لماذا مات هذا الشاب ؟ لماذا أصبح متسولاً و . . وأمثال ذلك حتىٰ يوقع الشخص في الشك بالحكمة الإلهية ، إلى أن يصل به إلى الشكّ في المبدأ . ولكن عندما يتذكر المؤمن يقول : أستغفر الله . أنا أحقر من أن أدرك شيئاً من الحكمة الإلهية لا أن شيئاً خلق من دون حكمة لله في خلقه .

وسوسات الشيطان في قضية إبراهيم (ع)

وفي باب الأعمال أيضاً أن المتّقي إذا أراد أن يعمل خيراً فإن الشيطان يكون مستعداً لأن يعمل شيئاً حتىٰ يصدر منه ذلك الخير . وإذا صدر منه ذلك فإنه يسعىٰ في إفساده وإيقاع الشخص في العجب والرياء ، والخلاصة فإن العدو في سعي حثيث .

وكنموذج على ذلك سأتكلم عن الأنبياء أيضاً .

لقد سمعتم بقضية إبراهيم الخليل عندما جاءه الأمر بذبح ولده إسماعيل ، ذلك الشاب في سنّ الثالثة عشرة ، مع ذلك الجمال

الظاهري والمعنوي من الإيمان والمعرفة ، فجاء به إلى منىٰ ليذبحه .

وبدأ الشيطان سعيه الحثيث ، فواضح أن إبراهيم (ع) لو أدّى هذا العمل فسوف يصل إلى مقام الخلّة فكيف يتركه كذلك ؟

فأول ما عمله هو أنه بدأ يوسوس إلى هاجر وقال : لقد رأيت شيخاً وبيده شاب معه ، فماذا يكون منك ذلك الشيخ ؟ فقالت :

ـ هو زوجي.. فقال :

ـ ألا تعلمين ما يريد أن يصنع معه ؟ إنه يريد ذبحه !!

فقالت هاجر : إن إبراهيم لم يؤذ أحداً أبداً ، فكيف يمكن أن يقتل ولده ؟!

فقال إبليس : إنه تصور أن الله قد أمره بذلك . .

فلما فهمت هذه المرأة الجليلة أنها وسوسة إبليس قالت : اذهب يا ملعون ، فإذا كان أمر الله فلا بأس به .

إبليس من أجل تمييز المؤمن عن غير المؤمن

أجل ، فالشيطان لأجل الامتحان ، ولكي يعلم من هو القوي ومن هو الضعيف ، من يؤمن بالله ويوم القيامة ومن هو في شك من ذلك،كما جاء التصريح بذلك في القرآن الكريم :

﴿ . . إلّا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممّن هو منها في شك . . ﴾[1] .

أجل ، فهاجر كانت امرأة ، ولكنها بتلك القدرة والثبات فبالرغم من أنه كان ابنها الوحيد ومع كل ذلك الشباب والجمال وتلك المكارم

---

(١) السورة : ٣٤ الآية : ٢١ .

الأخلاقية ، فبالرغم من كـل ذلك وبمجـرد أن يكون اسم الله في البـين تقول : إذا كان أمر الله فإني راضية ، وسمعاً وطاعة .

يوسوس لإبراهيم (ع) أيضاً

وجاء إلى إبراهيم (ع) وقال : ما تريد أن تفعل ؟ فقال (ع) :

ـ أذبحه ، فقال : إنه لم يرتكب شيئاً . فقال (ع) :

ـ أمر الله .

فقال : يا إبراهيم (ع) إذا قتلت هذا الولد ألا تحتمل أن يكون ذلك سنة من بعدك ويفعل الآخرون كذلك أيضاً ؟!

فقال : أمر الله .

فقال : ألا تحتمل أن لا يكون ذلك أمر الله ؟

وهنـا قذفـه إبراهيم بـالحجر ، وأصبـح رمي الجمـرات سنّـة بهـذه المناسبة .

وهـذه نماذج من وسـاوس إبليس ، فيجب أن يكون المؤمن منتبهـاً حذراً من أن تضعفه وسـاوس إبليس خصوصـاً في موارد الإنفـاق حيث يسعى جاهداً أن لا يقع هذا الفعل .

إسماعيل (ع) يفهم ذلك أيضاً

ثم إن إبليس التفت إلى الشـاب ذي الثـلاثـة عشـرة سنـة وهـو إسماعيل (ع) عندما كان يسير خلف والـده وقال لـه : أيها الـولد ، ألا تعلم أين يأخذك أبوك ؟ فقال : لا

فقال : إنه يريد أن يذبحك . فقال (ع) :

ـ كيف يفعل ذلك أبي ؟ فقال :

ـ إنه يقول إنه أمر الله . فقال (ع) :
ـ إذا كان ذلك بأمر الله فإن روحي فداء لأمر الله .
ولما رأىٰ أنه لا يتركه استغاث بوالده قائلاً :
ـ يا والدي العزيز انظر من هذا الذي لا يتركني ؟
فقال (ع) : هذا الشيطان ، فرماه إسماعيل أيضاً .

هل رمينا الشيطان في بعض الأحيان ؟

أيها الحاج ، أنت الذي اقتديت بإبراهيم (ع) ورميت الجمرات يجب عليك أن ترمي الشيطان طيلة العمر ، لا أن ذلك مختص بمناسك الحج .

أين يوجد ذلك الإنسان الذي يرمي الشيطان في وقته المناسب ؟ من الذي يقف برجولة أمام الشيطان بحيث يلجم نفسه عند الغضب ، أو يمنع نفسه عن الحرام أثناء فوران الشهوة ؟ قد يحدث تارة أن الإنسان يريد أن يقوم بعمل خير ، ويقول له الشيطان بلسان آخر : إن العمل الفلاني أفضل ، فترون أن ذلك الإنسان يتوقف ولا يؤدي أيّاً منهما .

من الأفضل ؟

وروي أنه لما حضرا كليهما لإطاعة أمر الله تعالى ، الأب للتضحية بابنه ، والابن للتضحية بنفسه ووضع الأب وجه ولده الشاب على التراب ، ووضع السكين الحادة على رقبته ، تحيّرت الملائكة وقالوا مع بعضهم : أيهما أفضل الابن أو الأب ؟

الأب الذي استعدّ أن يضحّي بابنه وفلذة كبده ، أو الولد الذي استعد للتضحية بنفسه وهو في عنفوان الشباب ؟

لكن ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ لقد أدّى امتحانه ، وكان التقدير الإلهي بأن لا يقتل إسماعيل .

أنت أيضاً جاهد نفسك

أيها المؤمن : إنّ إبراهيم قد ضحّىٰ بولده ، وإسماعيل قد بذل نفسه في سبيل الله ، فامنع نفسك من مس الأجنبية والنظر الحرام واللقمة الحرام ، فالمقامات المعنوية والدرجات الإلهية لا تحصل بالمجّان : « لا يتم الحصول على الكنز بدون مشقة » (مثل فارسي) .

﴿ ليس بأمانيِّكم ولا أمانيِّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجز به . . ﴾[1] .

وهذا يتطلب عملاً ، ويتطلب جهاد وكفّ النفس لكي تصل إلى مقام عباد الله الصالحين ، وتصير جليس الأنبياء والمقرّبين .

إبراهيم يبكي

وروي أن إبراهيم (ع) عندما رأى أن سكينه غير حادة ولا تؤثر ، واتّضح أن الحكم قد نسخ تأثر بشدة وبكىٰ ، فنزل جبرائيل وسأله : ممّ تبكي ؟ فقال (ع) :

ـ اتّضح لي أنني لم أكن أهلاً لذلك . فقال له :

ـ كانت المصلحة في المقدّمات التي أدّيتها ونجحت في الامتحان ، وبعد ذلك ، ومن أجل أن يحزن قلبه ويكون له أجر التضحية بولده قرأ له مصيبة الحسين (ع) .

* * *

(١) السورة : ٤ الآية : ١٢٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

١٢ - ﴿ إن الذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾

(سورة الأعراف الآية : ٢٠١)

عجز الشيطان

حقيقة الاستعاذة في هذه الآية

لو أن أحداً يدقق النظر في هذه الآية الشريفة التي هي عنوان البحث ، ويتأمل فيها عدة دقائق فسوف يفهم بأن حقيقة الاستعاذة تكمن في هذه الآية الشريفة .

فالأشخاص الذين تركوا أهواءهم جانباً وعبدوا الله تعالى فقد هربوا من دار الشيطان ودخلوا إلى دار الرحمن .

أما الأشخاص الذين لا مكان للشيطان في قلوبهم بل هو خارج عنهم وبما أنهم في دار الرحمن فعندما يدور الشيطان حول قلوبهم ليسرق شيئاً فإنهم سيتذكرون الله تعالى ويضيء لهم نور منير فوراً ويفهمون أن ذلك وسوسة الشيطان فيتركوه .

حديث الإمام السجّاد (ع)

يقول الإمام السجّاد (ع) في دعاء الصحيفة السجادية :

« وإذا همنا بهمّين أحدهما يرضيك والآخر يسخطك ، فمل بنا إلى ما يرضيك » .

أجل ، فبمجرد أن ينبّه الله القلب ، فإن الشخص سوف يرجع .

لكن إذا لم يكن الشخص من أهل التقوى فإن الشيطان حاكم على قلبه ، فمثل هذا الشخص لا ينفع معه ذكر وتذكّر الله تعالى ، فالشيطان غالب عليه ، فكيف يسمح له بأن يفهم ماذا يصنع ؟

وأجد نفسي ملزماً بذكر حكاية لتوضيح الموضوع :

اللص الذي يطفىء الشموع

قيل إنه في الزمان القديم ، وعندما كان الناس يستضيئون بالشمع والدهن في بيوتهم ، كان أحد اللصوص قد نفذ إلى داخل أحد البيوت ودخل إلى الغرفة وبدأ بجمع الأشياء .

فسمع صاحب البيت صوت قدم ، فاحتمل أن يكون لصّ في البيت ، فنهض من مكانه وأراد أن يشعل الشمع ، فلما علم اللص بقيام صاحب البيت وقف خلف ظهره ، حتى إذا أراد أن يشعل الشمعة نفخ اللص عليها بهدوء وأطفأها .

وعندما أراد للمرة الثانية أن يضيء الشمعة وضع اللص إصبعه في لعابه وبلل به الفتيل كي لا يحترق بعد ذلك أبداً .

ولم يفهم صاحب البيت الجاهل بأن هناك شخصاً يفعل ذلك

الفعل ، وتصوّر أن ذلك كان نسيها منع من إشعال الفتيل ، وأخيراً وبعد أن رأى أن الشمعة لا تشتعل ولم ينبعث صوت أقدام ذهب ونام باطمئنان . واستمر اللص في إتمام عمله وذهب آمناً .

اللص في بيت القلب

واعلموا يقيناً بأن في عالم المعنىٰ كذلك أيضاً ، فلو أن الشيطان استقرّ في القلب فكيف يسمح للشخص بالتذكر ؟ فالتذكر لأهل التقوى،ولو لم تكن التقوى فإن ألف تذكّر لا ينفع في إبصاره .

ألا ترون في الجدال والمنازعات وحين الغضب أنه لو حدث له ألف تذكّر فإنه لا يفهم أنه واقع في مصيدة الشيطان ، وأن الشيطان قد استقرّ في قلبه ، ولا ينفع معه كلما ذكروا له اسم الله تعالى والنبي (ص) والإمام (ع) ، لأن الشيطان لا يسمح له بتذكّر الله تعالى لأنه غير متّقٍ ؟

اترك الجدال حتىٰ ولو كنت على حق

قال رسول الله (ص) : « من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة ، ومن ترك المراء وهو مبطل يبنىٰ له بيت في ربض الجنة »[1] .

متىٰ يستطيع الإنسان أن يترك الجدال ؟ عندما لا تكون عبادة الهوى ، والا فإن الشيطان لا يسمح بذلك ، ولو مات وهو على تلك الحال فهو في جملة عبيد إبليس .

وهذا نفسه في الصلاة أيضاً ، حيث نجده لا يعلم بأمر من يتحرك ؟ فأنت في البيت كنت تتحرك بأمر إبليس، وعندما جئت إلى المسجد هل

(١) بحار الأنوار المجلد ٢ ص : ١٣٨ . ربض الجنة بفتح الباء هو ما حولها .

يمكن أن يكون مجيئك بأمر الله تعالى ؟ فعندما ورد الأمر بترك الأنانية فى سبيل الله وترك الجدال ، لكي يحصل الإنسان على ملكة التقوىٰ ثم يكون ذلك سبباً في بصيرته ونجاته .

ذا الكفل يعاهد نفسه

وردت رواية في بحار الأنوار عن سبب تسمية ذي الكفل وهو من الأنبياء السابقين ، وقد ورد اسمه في القرآن الكريم أيضاً ، وقبره الشريف موجود قرب الحلة وهي :

كان هناك نبيّ قبله واسمه (يسع) والذي ورد ذكر اسمه أيضاً في القرآن الكريم ﴿ . . **وإليسع وذا الكفل** . . ﴾ .

وكان ذا الكفل من أصحاب وحواريي إليسع.فقال لأصحابه في آخر عمره : إنّ كل من يقبل العهد الذي أقيمه معكم بينه وبين الله تعالى فإنه يكون وصيّاً لي ، وعهدي هو أن تمسكوا أنفسكم عند الغضب ولا تتّبعوا الشيطان .

ولما كان ذو الكفل مطمئناً من نفسه فلذلك عاهد ووعد بأنّي لا أغضب غضباً شيطانياً أبداً .

وهكذا وصل إلى منصب النبوّة ، وقد مرّت عليه امتحانات عديدة واجتازها بصورة جيّدة .

واعلموا أيضاً أن كل من أراد الثبات على شيء فإن الشيطان سوف يزيد في ضغطه عليه . وبما أن ذا الكفل عاهد نفسه أن لا يغضب غضباً شيطانياً ، فإن الشيطان أخذ يهيّىء له أسباب الغضب أكثر ، لكن ذلك

الإنسان الجليل كان يقاوم كالجبل .

الشيطان يطلب المعونة

وفي أحد الأيام صرخ الشيطان فاجتمع أعوانه حوله فقال :

ـ لقد عجزت من ذي الكفل فكلّ ما فعلت لأغضبه وليحنث في عهده لم يفلح في ذلك .

فقال أحد الشياطين واسمه الأبيض : أنا مستعدّ وسوف أغضبه ، وأخيراً سلمت إليه هذه المهمة .

وكان من خصائص هذا النبي أنه لم يكن ينام في الليل أبداً ، وإنّما يشتغل بذكر الله وتسبيحه ، وفي النهار أيضاً يكون مشغولاً بأعماله الشخصيّة ومع الناس إلى ما قبل الظهر ، وينام قبل الظهر ويشتغل في العصر مرّة ثانية بأعمال الآخرين .

الشيطان يطرق الباب بشدّة

وبينما كان نائماً قبل الظهر طرق ذلك الشيطان الباب بشدة ، فقال الخادم : ما تريد ؟ فقال : لديّ شكاية . فقال له الخادم : تعال غداً صباحاً فإن ذا الكفل نائم الآن .

فرفع ذلك الشيطان صوته بأن طريقي بعيد ولا أستطيع أن أجيء في الغد .

وأخيراً استيقظ ذو الكفل من ذلك الصراخ وجاء إليه وقال بكل هدوء : اذهب وقل للمدعى عليه بأن يحضر غداً حتىٰ أنظر في قضيتكم أيضاً .

فقال : انه لا يحضر ، فقال :

ـ خذ إليه خاتمي هذا كعلامة ، وقل له إن ذا الكفل يطلبك .

ولم يتمكن ذو الكفل من النوم في ذلك اليوم .

وذهب ذلك الشيطان ورجع في الغد مرة ثانية في نفس ذلك الوقت الذي نام فيه ذو الكفل،وأخيراً استيقظ ذو الكفل مرة ثانية وتمكن من ردّه في غاية اللطف والبرود ، وكتب له كتاباً وأعطاه إياه كي يذهب ويأتي بالمدعى عليه .

فذهب الأبيض ، ولم يتمكن ذو الكفل من النوم في ذلك اليوم أيضاً ، وبقي مستيقظاً في الليل للعبادة أيضاً كعادته .

الشيطان الصغير يعجز أيضاً

أما في اليوم الثالث ، فالشخص الذي لم ينم ثلاثة أيام بلياليها ، فكم يكون مستعداً للغضب بطبيعة الحال .

وجاء ذلك الشيطان في نفس وقت نوم ذي الكفل وأخذ يتكلم ويقول : لقد أخذت إليه كتابك فلم يقبل بالحضور ، وكان يرفع صوته أمام ذي الكفل باستمرار لعلّه يثير غضبه ، وقال أخيراً : إذا أتيت بنفسك الآن فإن مشكلتي ستحلّ .

وورد في الرواية أن الشمس كانت محرقة إلى درجة أنه لو ألقيت قطعة من اللحم تحت حرارة الشمس لنضجت، فكم يجب أن يغضب الآن ؟!

ولكنه قال : حسناً لنذهب . . فلما سارا في ذلك الطريق مسافة ،

رأى ذلك الشيطان أنه يستحيل عليه أن يثير غضبه ، فعاط عيطة وهرب .

التذكّر في القلب العديم التقوى له تأثير عكسي

تارة يكون التذكر للقلب العديم التقوى أن يفسد أكثر ، ويظهر زندقته .

ألم تسمعوا بالملعون الشقي ابن زياد عندما أخذ الرأس المقدس لأبي عبدالله الحسين (ع) بيده فسقطت منه قطرة دم وثقبت فخذه ، فوضع الرأس على الأرض ، وتجاسر عليه بعصا كانت في يده .

فشهد زيد بن الأرقم قائلاً : يابن زياد ، لقد رأيت رسول الله (ص) مراراً عديدة وهو يقبّل هذه الشفاه (فهل يوجد تذكّر أكبر من ذلك) إلا أن هذا الشقيّ بدل أن يتذكّر ويتّعظ ، قال : مع الأسف إنك قد هرمت وخرفت وإلّا فإني كنت قاتلك ، وأخيراً أخرجوه من المجلس .

وهذا الأمر لا يختص بابن زياد ، فكل من كان أعمىٰ وأصمّ فهو كذلك ، والتذكّر يزيد في عماهم بدلاً من إبصارهم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

١٣ - ﴿ إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طـائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾
(سورة الأعراف الآية : ٢٠١)

الطريـق إلى التقوى

بالتمرين تحصل ملكة التقوىٰ

في أول يوم يضعون فيه الطفـل في المدرسـة لا يستطيـع أن يقرأ أو يكتب شيئـاً ، بل إن أوائـل العمل تكـون في منتهىٰ الصعوبـة والمشقـة بالنسبة له ، لكن بالتدريج ، وبعد أن يأنس بـالقراءة والكتـابة ويتعـود عليها تكون ملكة له وتزول صعوبتها .

ونفس هذه الحقيقة يمكن تطبيقها على معنىٰ التقوىٰ ، فالصيرورة من أهل التقوى متوقفة على ترك الذنب .

يجب أن يترك الإنسان الـذنب باستمـرار ، كالـطفل ، فكيف أنـه عندما أراد أن يكتب في البداية كان الأمر صعباً بالنسبه له ، ولكن بعـد التمرين يغدو سهلاً ويعتاد عليه .

وهكذا الإنسان إذا ترك الذنب بمشقة وكفّ نفسه ، فتدريجيّاً وبعد مدة من الممارسة يضيء الله تعالى نوراً في قلبه ، والذي يكون ترك الذنب من آثاره فيمسك لسانه عن الكذب بحيث لو اعطي العالم كلّه ليكذب لما فعل ذلك .

فنفس ذلك الذنب الذي كان تركه صعباً وشاقاً ، فإن الإتيان به قد أصبح في نهاية الصعوبة الآن بالنسبة له ، فسوف تحصل على قوة بحيث يمكنك أن تترك كل ذنب بسهولة . فيرتاح قلبك وتلتذ .

أجل ، فهو الله الذي ﴿ . . **كرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان** . . ﴾ .

حتى يصل به الأمر إلىٰ أن يكره الذنب بطبعه ، ويصل به حدّاً يكون فيه الذنب أشد مرارة عنده من كل مرّ ، وأقبح في نظره من كل قبيح أيّاً كان نوع الذنب ، وليس ذنباً بخصوصه .

وبتأثير التكرار والمواظبة تحصل عنده ملكة التقوى ، وهي ذات مراتب أيضاً .

ملكة ترك المشتبهات

ولما تحصل لديه ملكة ترك الحرام فإنه سيخطو خطوة إلى الأمام وتحصل عنده ملكة ترك المشتبهات ، يعني أنه لا يهرب من الحرام فقط بل يهرب من كل شيء يمكن أن يكون حراماً ، فهو يحتاط هنا فلعله يكون حراماً .

« أخوك دينك فاحتط لدينك »

فتارة يريد أن يقول شيئاً فيحتمل أن الله تعالى لا يرضىٰ بذلك فلعل هذا الكلام غير صحيح ، وهكذا تحصل عنده ملكة ترك المشتبهات .

ترك المكروهات هو المرتبة العليا للتقوى

وبعد ذلك يصل إلى أن يترك كل مكروه ويأتي بكل مستحب يتمكن منه ، فلا يقول حينئذٍ إن هذا مستحب أو إنه يجوز ارتكاب المكروه لأن النهي الكراهتي هو نوع من القذارة المعنوية وإلا فلا يرد النهي عنه ، وعلى كل حال فإنه وبسبب الممارسة تحصل لديه قوة ترك المكروه أيضاً .

ترك المباح لأجل ترك الحرام

بل إنه يصل به الأمر لأن يترك المباح خوفاً من أن يؤدي إلى ترك الواجب .

مثلاً : الجلوس إلى نصف الليل مباح ، وكذلك ملء البطن من الطعام مباح ، لكنه ومع هذا البطن المليء والجلوس إلى نصف الليل فماذا يكون مصير صلاة الصبح ؟ ألا تحتمل أنها سوف تفوتك ؟ وكيف ستكون محروماً ؟ يجب أن تحصل في نفسك قوة بحيث تترك المباح خوفاً من أن يفوتك واجب معين .

عشرة قروش يومياً لشهر رمضان

كان لي صديق يعمل خبازاً ويأخذ أجرته لكل يوم،وكان شهر رمضان في تلك الأيام يقع في الصيف ، فكان يقول : أنا أخبز الخبز في التنور وفي فصل الحر لا أستطيع أن أصوم إلى جانب التنور ، فلهذا فإني أوفر عشرة قروش كل يوم في الأحد عشر شهراً الأخرى لأجل شهر رمضان ، والذي أترك العمل فيه .

يعني أن إنفاق هذه العشرة قروش في كل يوم أمر مباح مثلاً ، لكن إذا كان الشخص متّقياً فإنه لا يرتكب هذا المباح لكي لا يفوته صيام شهر رمضان .

السفر الذي يؤدي إلى ترك الواجب

وخطرت على ذهني رواية ومضمونها أنه يسأل الإمام (ع) :

- إني قد سافرت إلى المنطقة الفلانية الباردة والتي تنزل فيها الثلوج ، فعندما كان الثلج يغطي جميع سطح الأرض ولم أجد ماءً للوضوء والصلاة ، ولم يكن هناك تراب لكي أتيمم به ، فكيف أصنع ؟

فعاتبه الإمام (ع) على ذلك بأنه لماذا تسافر مثل هذا السفر ؟ السفر الذي لا تتمكن معه من أداء واجب إلهي مهمّ ، فأنت كنت تعلم أنك إذا سافرت من هذا الطريق فسوف تفوت عليك الصلاة ، ينبغي أن تكون متّقياً ، يعني أن لا تذهب من هذا الطريق أبداً .

عندما يكون الذهاب إلى مجلس معيّن مباحاً لكنه يحتوي على خطر فيمكن أن تبتلىٰ بمعصية فكن حذراً من أول الأمر ، فالتقوى من أجل أن لا يصدر منك ارتكاب الحرام أو ترك الواجب بسبب هذا الفعل المباح أو حتىٰ المستحب .

فهذه الأمور للأشخاص الضعفاء وقليلي التقوى ، أما ذلك الذي وصل إلى مرحلة التقوى الكاملة فإنه لا يقع في هذه المصائد في أي وقت ، فعندما يريد أن يذهب إلى مكان فإنه ينظر إلى عاقبته وأين ينتهي ، فمن ينظر العاقبة فهو عبد مبارك .

الوسعة في الوضع المادّي

كثير من المباحات توقع الإنسان في المحرّمات ، فهو يلقي في قلبه أن يوسع في وضعه المادّي . أجل فهذا العمل مستحبّ أو مباح ، لكنّ أهل التقوى ينظرون إلى لوازمه ، ويفكّرون في أنفسهم بالـذي سوف يحـدث لهم جرّاء ذلك، ففي هذه الدار الوسيعة يكون الإسراف والتبذير أكـثر ، فبأيّ شيء تتلف عمرك ، وهكـذا تترك النفقـات الواجبـة ، ولا تعطي قريبك الفقير أيضاً ، وتقع في الديون والأتعاب ، وإضافة إلى كـل ذلك فإنه سوف يزول عنك حضور القلب في الصـلاة ، فأنت تفكـر دائماً في مشاكل هذه الدار .

وما ذكرته كان نمـوذجاً ، فنفس هـذا المباح يجـر إلى قطع الـرحم ، ونفس هذه الدار سواء كانت مستحبـة أومباحـة فإنها تـوقعه في القـرض الربوي ، وهو الحرام فوق الحرام .

ومثال آخر : المزاح حلال ، وتـارة يكون من أجـل هدف صحيـح ومستحب ، ولكن تشـاهـدون في بعض الأحيـان أنـه يؤدي إلى إزعـاج الطرف الآخر ، فهو يريـد أن يؤدي عملاً مستحبـاً ولكنه يجـر إلى إيذاء المؤمن وهو الحرام القطعي .

فعلىٰ هذا عليك أن تكون متّقياً ، يعني اترك هذه التوسعة في الأمور المادّية أو المزاح حتى لا تقع في الحرام وحذراً من إيذاء أحد .

إذن فالتقوى لها ثلاث مراتب : الأولى قوة ترك المعصية والثانيـة قوة ترك المشتبهات والمكروهات . والثالثة قوة ترك المباحات والتي يحتمل أن تؤدي إلى الفعل الحرام أو ترك الواجب .

* * *

الركن الثاني

التذكّر

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤ - ﴿ إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طـائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾
(سورة الأعراف الآية : ٢٠١)

التذكّـر عنـد المعاصي

التذكّر ـ الركن الثاني للاستعاذة

الركن الثاني للاستعاذة هو التذكر ، فالإنسان عندما يصبح متّقياً فإن ذلك يعني أن لا حكومة للشيطان في قلبه، وقد قلت إنه لو كان حاكماً فلا معنىً للاستعاذة عند ذلك ، ولو كان الإنسان متّقياً فـإن الشيطان يـدور حول قلبه ليجد له منفذاً فيه ، فيتذكر صاحب التقوى ، وبمجرد أن يتذكر فإن برق الرحمة الإلهية سوف يشـعّ ويكشف مصيدة إبليس ويحفـظه الله تعالى منها .

والآن لنـر ما هو المقصود من التذكر في هذه الآية الشريفة .

تخيّل المعصية وذكر الله

ما أكثر الروايات الواردة عن الإمام الصادق (ع) في تفسير هذه الآية

الشريفة حيث يقول (ع) : إذا ذكّرهم الشيطان المعاصي وحملهم عليها يذكرون اسم الله فإذا هم مبصورون[1] .

وذكر الله تعالى له مراتب أيضاً ويختلف بالنسبة إلى موارده ومصاديقه . ومن جملة ذلك أنه يجب عليه أن يعلم عند ما يهم بالذنب بأنه من إلقاء العدو وأن مخالفته واجبة عقلاً ، ألم يعهد إليَّ الله عز وجل أن لا أعبد الشيطان ، فلا ينبغي أن أكون خائناً ، فقد عاهدت أن أكون عبد الرحمن لا عبد الشيطان ، إذن فلو أردت أن أذنب فعليَّ أن أخالف عهدي لأنه إذا اتّبعت الخيالات الشيطانية فإنها لا تؤدي إلا إلى الهلاك والضلال .

﴿ ولقد أضلّ منكم جبلّاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾[2] .

ويصرّح في آية أخرى أكثر ويقول :

﴿ كتب عليه أنّه من يتولّاه فأنّه يضلّه ويهديه إلى عذاب السّعير ﴾[3] .

أجل فلو أنه اتّبع هذا الخيال الشيطاني واهتم بالوسوسة فإنه يضلّه ويجرّه إلى جهنم .

دفع الوسوسة بالتذكّر

عندما يوسوس إبليس فإنه يريد أن يفتح له مكاناً في القلب ، ولكن

---

(١) تفسير الصافي . سورة الأعراف .

(٢) السورة : ٣٦ الآية : ٦٢ .

(٣) السورة : ٢٢ الآية ٤ .

صاحب التقوى يتذكّر الوعيد الإلهي ، فإذا ارتكبتُ الآن هذا الذنب فماذا أصنع بعد ذلك مع الابتعاد عن رحمة الله تعالى ؟!

ويمكن أن يوسوس مرة أخرى بأنه سوف تتوب بعد ذلك فيجيبه من يعلم بأني سوف أوفّق للتوبة ، ومن يعلم بأن هذه التوبة مقبولة ؟ والخلاصة أن التذكّر لا يسمح للشيطان أن يحكم في قلبه .

تارة يلقي في قلبه أن هذا الذنب « صغيرة » لكن الشخص المتذكّر يجيبه بأن مخالفة أمر الله تعالى « كبيرة » في كل حال .

تارة يرد إلى مخيلة الشخص عن طريق التهديد بأنه لو لم تفعل هذا الفعل فسوف يحدث لك كذا وكذا ، أو أنه إذا فعلت ذلك فسوف يكون كذا وكذا : ﴿ **إنّما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه** . . ﴾ .

لكن الشخص المتّقي يتذكر بأن هذه الوسوسات من الشيطان فلا ينبغي التخوّف منه ، بل يجب الخوف من الله تعالى فقط ﴿ . . **وخافون إن كنتم مؤمنين** . . ﴾ .

ينفث الغرور في العبادة

وتارة عن طريق موالاة أهل البيت وإقامة المآتم أيضاً ومن هذا الطريق يدفع الإنسان إلى الغرور . نعم فأنت قد ذهبت بحمد الله عدة مرات إلى كربلاء ، وكم عملت من الخيرات و . . فحتماً يشفع لك الإمام الحسين (ع) .

فأجبه أنت أيضاً ، إذا ارتكبت معصية فإن الشفيع سوف لا يرضى عنّي ، فهذه المعصية سوف تكون حجاباً بيني وبين الحسين (ع) .

ويعلم الله أن الإنسان وبسبب ذنب واحد كم يبتعد عن شفعائه فأنا ـ وبسبب الغرور بالحصول على شفاعة الحسين (ع) ـ قد ارتكبت ذنباً بحيث يحرمني من شفاعة الحسين (ع) .

وطبعاً فإن هذه الأمور يقولها صاحب التقوى لنفسه لا أنه يكون محتاجاً إلى واعظ من الخارج ، فلا حاجة به للتأثر بالواعظ الخارجي عندما يكون للإنسان واعظ داخلي .

والإمام علي (ع) يقول : « السعيد من كان له واعظ في نفسه . . » .

ووسوسة الشيطان حين الغضب

تارة يحدث أن يغضب الشخص في نقاشه ، وقد يوجّه إليه المقابل كلمة خشنة ، فيوسوس له الشيطان بالانتقام ولكنه يتذكر على الفور فيقول عقله : لقد أساء ، فلو أني أسأت أيضاً وشتمته ، فإذن ما الفرق بيني وبينه ؟! لقد اتّبع هو إبليس ، فلو صنعت ذلك فإني سأكون مثله .

ويتذكر أن جواب السيّئة يجب أن يكون مطابقاً لما أمر الله تعالى به حين يقول : ﴿ . . **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** . ﴾ .

فلو تمكن بهذه التذكّرات أن يدفع عنه الشيطان فيها ، وإلاّ فإن كلمة من هذا وأخرى من ذلك ويحدث الاشتباك و . .

ابتلع تلك الكلمة من أول الأمر واسكت واختم المسألة .

وهكذا نرىٰ كيف أنّ الناس متورطون في حبائل إبليس وحتىٰ أولئك الذين يحسبون أنفسهم من أهل التقوى ، فعلىٰ فرض أنهم متقون إلا أنه لو لم يكن هناك تذكّر فإنهم يقعون في مصيدة إبليس .

يجب أن يكون في قلبك واعظ ينصحك،لا تكن مغروراً وجاهلاً إلى هذه الدرجة . فالرجل هو الذي ينـظر عواقب الأمـور ، فمثلاً في نفس مورد الغضب هذا ، فلو أنك انتقمت وأفرغت ما في قلبك وفعلت مـا تـريد ولكن كم تكـون قد أشعلت نيـراناً بسبب هـذا التفريـغ،وكم من الذنوب التي تحصل من جراء هذه اللحظة من إطاعة الشيطان ؟ .

يجب أن يكون لدىٰ كل مؤمن وسائل التذكّـر في نفسه . وقـد كان بعض السابقين يهيئون قبورهم ويقرأون فيها القرآن لكي يكون ذلك ذكراً لهم فيها بعد .

من أي شيء يعتبر حزقيل ؟!

روي أن داود بعد أن صدر منـه ترك الأولى وذهب إلى الصحـاري والجبال باكياً وحزيناً ، وصل إلى جبل فيه غار وكان يسكن فيه نبي عابد اسمه حزقيل .

وعندما سمع حزقيل صوت الجبال والحيوانات عرف أنه النبي داود (لأنه عندما كان يقرأ الزبـور كان كـل شيء يشاركـه في القراءة) فقـال داود :

ـ هل تسمح لي بالمجيء يا حزقيل ؟

فقال : أنت مذنب ! فبكىٰ داود فأوحي إلى حزقيل أن لا توبخ داود علىٰ تركه الأولى واطلب منّي العافيـة فإنّي مـا أوكلت أحداً إلى نفسـه إلا وارتكب خطيئة .

فأمسك حزقيل يد داود وأخذه معه ، فقال داود :

هل هممت بمعصية يوما يا حزقيل ؟

فقال : لا .

فقال : هل أصابك العجب يوماً ؟ فقال : لا .

فقال : هل خطر في مخيلتك يوماً الميل إلى الدنيا وشهواتها .

فقال : بلىٰ .

فسأله : وكيف تعالجه ؟ فقال : أدخل إلى داخل هذا الشق وأعتبر مما فيه .

فدخل داود في داخل الشق فرأى سريراً من حديد وعليه عظام نخره وقد وضعت لوحة من الحديد على مقربة منه .

وقرأ داود تلك اللوحة وقد كتب عليها : أنا ارواي بن شلم ملكت ألف سنة وبنيت ألف مدينة وتزوجت ألف بنت باكر ، وقد أصبح آخر أمري أن يكون التراب فراشي والحجر وسادتي ، والسحالي جيراني فمن رآني فلا يغتر بالدنيا(١) .

.. لتموتنّ وإنْ عمّرت ما عمّر نوح

فهذه حكاية السلطان وهذه نهايته ، أجل ، يجب على المؤمن أن يلقّن نفسه بأنه على فرض أني اتبعت كلام الشيطان والنفس والهوى وركضت خلف الدنيا ولذّاتها فإلى متىٰ يكون ذلك ؟ وهل أن الشخص الذي جمع من ملذّاتها الشيء الكثير لا يموت ؟ فمهما حاولت أن أحصل على اللّذات فسوف أصير السلطان مثل ذلك وها أنا أرى نهايته .

---

(١) عين الحياة للمجلسي الصفحة ١٧٢ .

فقصدي هو التذكّر ، فلو أن الإنسان أهمل نفسه ولم يذكّرها فسوف يتيه ، يجب أن يكون مثل الجبل لا مثل التبن بحيث يتّبع الشيطان بأدنىٰ وسوسة ، بل يجب عليه أن يغض النظر عن زخرفها وبريقها ويرى عاقبة أمره .

زيارة القبور لمصلحتك

وعلىٰ كل حال يجب أن يكون لـك واعظ من نفسك ، ولأجـل أي شيء ورد كل هذا التأكيد على زيارة القبور في الشرع المقدس ، خصوصاً قبر الوالدين ؟ عندما تقرأ الفاتحة من نفس هذا المكان فإنها تصل إليهما ، وفي الإمكان أن تتصدق فسوف ينتفعان بذلك ، لكنه يقول ، اذهب إلى قبر والديك فإنه مكان يستجاب فيه الدعاء .

إن أعظم الفائدة ترجع إليك بالذات حيث تتذكر بـأن والدك إذ لم يبق حيّاً فأنت أيضاً كذلك ، وسوف تلحق بـه عن قريب أو بعيـد ، لا تغترّ بأيّـام الدنيـا المعدودة ، ولا تسمـح للوساوس بـالنفوذ إلى قلبـك ، والخلاصة أن تكون متذكّراً .

الزهراء (ع) عند قبور شهداء أحد

جاء في أحوال الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) بأنها مرضت بعد وفاة الرسول (ص) نتيجة ما جرى لها من المصائب ومع ذلك كانت تستأذن أمير المؤمنين (ع) في أيام الاثنين والخميس وتذهب إلى قبر عمها حمزة وسائر شهداء أحد .

وكذلك رسول الله (ص) نفسه لمّا كان في مـرض الموت ، فمـع أنه

كان مصاباً بالحمى ولم يكن يستطيع السير إلا أنه كان يقول : أعينـوني على النهوض وخذوني إلى مقبرة البقيع .

إلهي : اجعلنا نحن أيضاً من أهل الذكر والتذكّر .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

١٥ - إنّ الـذين اتّقـوا إذا مسّهم طـائف من الشيـطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾
(سورة الأعراف الآية : ٢٠١)

الاستـخـارة

تـوضحت بعض المعاني عن الـركن الثاني من أركـان الاستعـاذة في الحلقة الماضية ، وفي هذه الحلقة نذكر معنىً آخر للتذكر في مقابل وساوس إبليس أيضاً .

فقد جاء في الحديث الصحيح المرويّ عن خاتم الأنبياء محمد (ص) والذي نقله رواة العامة والخاصة :

« الأمور ثلاثة : أمر بيّنٌ رشده ، وأمر بيّنٌ غيّه ، وأمر بين ذلك »

الأمور الحسنة يقيناً

الخواطر التي تطرأ على القلب لفعلِ شيء أو تركه لا تخرج عن هذه الأقسـام الثلاثـة : فإمـا أن يكون فعـلاً معلوماً حسنـه ، وهو الخـاطـرة الـرحمانيـة ويكمن فيها الـرشد والصـواب والصلاح ، فلو خـطرت على

القلب مثـل هذه الخـاطرة والتي لا يعتـريها الشـك أبدا فـاتبعها وطبّقهـا بتصميم جازم وهي نظير واجب من الواجبات .

الأمور السيّئة يقيناً

أو الخاطرة التي يطمئن الإنسان إلى أنها شيطانية ، فلو كانت كذلك فلا تردد في تركها ، يعني أن لا يريدها « تذكروا » ويفهم أنها من الشيطان فـلأنّه عـالم بالأحكـام الإلهية فسيفهم أنهـا ضلال فيـردّها ﴿ فـإذا هم مبصرون ﴾ .

ماذا نصنع في موارد الشبهة ؟

ولدينا قسم ثالث وهو الخواطر التي يتحيّر الإنسان فيها هل أنها من الرحمن أو من الشيطان ؟

أكـثر المباحـات لا يعلم الإنسان من أين ألقيت عـلى قلبه ، فمـاذا يصنع في مثل هذه الموارد ؟

الأشخاص الذين حصلوا على المرتبة الكاملة للتقوى وجودهـم نادر كالياقوت الأحمر ، ولهم قلوب منيرة تدرك بنور التقوى حيث تفهم أن هذا الفعـل حسن أو سيّيء فهـو « مبصر » ولا يخـالجـه الشـك أبـداً ، وهـو يشخص النور أو الظلمـة في ذلك الفعـل ، وبطبيعـة الحال فـإن وظيفة هؤلاء النفر الذين يعدّون بالأصابع معلومة .

الاحتياط طريق النجاة

ولكن أكثر الناس لم يصلوا إلى هذه المرتبة ولهم مراتب أُدنىٰ من ذلك فهؤلاء أيضاً « تذكروا » فما لم يتيقنوا بأن هذه الخاطرة رحمانيـة فلا ينبغي

عليهم ابتاعها مهما كان ظاهرها حسناً ، ولكن يمكن أن تحتوي على الفساد وتؤثر على إيمانه وتوقعه في الأخطار « قف عند الشبهة » فعندما لا تعلم أن هذه اللقمة حرام أو حلال ، أو أن هذه الخاطرة شيطانية أو رحمانية فاصبر حتىٰ تطمئن .

الأمور التي يكون فيها الإنسان على المحكّ

ومن أجل رفع الحيرة فقد ورد في الشرع المقدس عن أئمة الهدى (عليهم السلام) ، والذي ينبغي أن يصل إلى أسماع أهل التقوى ويعملوا به .

فالميزان الوارد هو : « إنّ كل عمل رأيته يوافق نفسك فاعلم أنه شيطاني ، وإلا فهو رحماني » .

فهناك بعض الأفعال التي تكون مصحوبة بميل النفس ، مثلاً : السفر الطارىء الذي لا تعلم أنه يرضي الله تعالى أو الشيطان ، تارة يكون مسروراً كثيراً لهذا السفر فليعلم أن أصل إلقاء هذه الخاطرة منبعث من جهة رديئة ، والتي تريد أن توقعك في الحرام في هذا السفر ، أو يفوتك أحد الواجبات .

ولكن إذا رأيت أن نفسك لا ترغب في ذلك فاعلم أنها رحمانية وأدّها فهي حسنة .

وضمناً اعلم أن هذا الميزان ليس هو بالشكل الذي يمكن أن يعمل الناس العاديون ، لأن أكثر الناس يمشون في طريق عبادة الهوى ، فما لهم ولهذه الحقائق .

الاستخارة ، مرشد عند التردد

وقد وردت روايات بأنك إذا كنت في مفترق طرق ولم تعلم بأن هذه الخاطرة رحمانية أو شيطانية فاطلب من الله تعالى بالاستخارة أن يوضح لك ذلك .

والاستخارة تعني طلب الخير « طلب الخيرة من الله » . إلهي أنا متحير ولا أعلم أن هذا الفعل يكون بمرضاتك أو لا ، فأنت أرشدني إلى رضاك .

وطبعاً فإن الدعاء لازم في هذه الحالة ، فالاستخارة في الحقيقة هي الدعاء .

سوء فهم الناس للاستخارة

ما أقبح هذه العادة التي حصلت عند المسلمين ، فعندما يريد أحد أن يقوم بالمعاملة الفلانية فإنه يستخير ، فإذا كان يستفيد منها ربحاً كثيراً فإنها تكون جيدة فهذه في الحقيقة ليست استخارة ، فقد قلنا إن الاستخارة هي دعاء بأن يرشده الله تعالى إلى ما فيه خيره .

استخارة الحسين (ع) عند قبر الرسول (ص)

وكما جاء أبو عبدالله الحسين (ع) عند قبر النبي (ص) وبعد أن بكىٰ كثيراً قال : « اللهم إني أحب المعروف وأنكر المنكر وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه إلا اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك رضى »(١) .

ثم إنه رأى رسول الله (ص) في المنام فعيّن له خيرة وقال : يجب أن

---

(١) مثير الأحزان للعلامة الجواهري .

تذهب إلى كربلاء .

والأحسن أن تقتدي بمولاك زين العابدين وسيّد الساجدين . اقرأ دعاء الاستخارة للإملام في الصحيفة السجادية حيث يقول :

« وإذا هممنا بهمّين أحدهما يرضيك والآخر يسخطك (ويرضي الشيطان) فمل بنا إلى ما يرضيك » .

الاستخارة بالسبحة أو بالقرآن

فلو لم ترتفع الحيرة بهذه الأمور فعندئذٍ ومن أجل رفع الحيرة لا مانع من الاستخارة بالسبحة أو القرآن كما ورد ذلك في الروايات ، ولكن بشرطين :

أحدها هو أن تحصل لديه حالة الدعاء ، يعني أن يكون حاله بهذه الصورة : إلهي ارفع الحيرة عني ببركة القرآن الكريم .

والشرط الأساسي الآخر هو فهم معاني وآيات القرآن ومناسبتها لموضوع الاستخارة .

قصة لطيفة في الاستخارة

ابتلي أحد العلماء بمرض الحصبة في أصفهان وبعد العلاج كان ينبغي عليه أن يبتعد عن المأكولات خصوصاً الإكثار من الأكل ، وإلاّ فإن الحصبة ستعود إليه .

وكان أحد أعيان أصفهان قد دعا بعض العلماء لضيافته ومن جملتهم هذا العالم أيضاً ، وكانت المائدة التي أعدوها مليئة بأنواع المأكولات المختلفة ؛ ففي هذه الحالة أخذ هذا العالم يتردد في ما يصنع ، فلو لم يأكل

فهو صعب عليه وقد يتأثر صاحب البيت أيضاً ، ولو أكل فإنه يخاف الضرر أيضاً .

وأخيراً استخار بالقرآن الكريم على الأكل فخرجت له هذه الآية الشريفة ﴿ ثم كلي من كلّ الثمرات . . ﴾ وهي وحي إلى النحل بالأكل من كل ثمرة .

فكان أن رفع هذا العالم كمّه واشتغل بالأكل من جميع المأكولات المختلفة وما أكثر ما أكل ، فالشخص الذي كان ممنوعاً لعدَّة أيام وقد وصل الآن إلى هذه المائدة الملوّنه ! . . وعلى كل حال فقد جاؤوا أخيراً إلى نفس ذلك المجلس بجنازة وأخرجوه بها ، فقد دفع روحه ثمناً لهذه المائدة .

ولما جرىٰ الحديث بعد ذلك بأنه ماذا كانت الاستخارة ، قال أحد العلماء ، إن الآية راجعة إلى النحل ، فانظروا كم يأكل النحل . فلو أن هذا الإنسان أكل من كل نوع ذرة لما أصابه أيّ ضرر .

فغرضي هو أن الاستخارة بالقرآن واستفادة المعنىٰ منه مشكل نوعاً ما ، نعم ، لو كانت عنده حالة الدعاء وفهم المعاني والقدرة على الاستفادة من الآيات بحيث يميّز الخير من الشر فإنه ممكن .

القرآن لم ينزل للاستخارة

لم ينزل القرآن الكريم للاستخارة طبعاً بل للمعرفة ، ويرشدنا إلى طريقة الحياة الصحيحة لا أن أرىٰ هل أنني أربح في هذه المعاملة ؟ أو هل أبدل ماء الحوض فهذا هو التفاؤل بالقرآن .

ولكنك تفهم ذلك الميزان الذي أعطي لك ولم تعمل به ، فالميزان الأول الذي قلناه هو أن كل ما كان ثقيلاً على نفسك فهو خير ورحماني ؛ فالنفس لا تقبل بالإنفاق في سبيل الله .

وطبعاً فإننا لا ننكر الاستخارة بالقرآن مع توفّر الشرطين المذكورين .

واقرأ بعد الصلاة في ضمن التعقيبات : « اللهم اهدني من عندك » لا أن تقرأه بقصد الثواب فقط ، كلا : بل يجب أن تطلب ذلك بقصد الإنشاء والمعنى : إلهي أرجو أن لا أقع في وادي الهلاك ، إلهي أنت احفظ قلبي وأن لا أتّبع الخواطر الشريرة التي تطرأ عليه .

التفاؤل بالقرآن خطأ

بعض أشكال الاستخارة والتفاؤل بالقرآن خطأ، وهي النظر لما يأتي ، مثلاً عندما تريد الأمّ تزويج ابنتها فتستخير لترىٰ ما سيحدث بعد ذلك فتذهب إلى بيت السيّد الفلاني ، فيقول غير جيّدة ، ولكن قلبها لا يطمئن بذلك فتذهب إلى مكان آخر ، فيقول إنها جيّدة فتقول عندئذٍ : كيف يمكن هذا فأحدهما يقول جيّدة والآخر يقول غير جيّدة .

ولكن أي رواية قد أمرتك بهذا العمل ؟ يجب أن تفهم أوامر الشرع ماذا تقول .

مؤلفات في الاستخارة

العلامة المجلسي (ره) غواص بحار علوم آل محمد (ص) كتب كتاباً مستقلاً في موضوع الاستخارة باسم مفاتيح الغيب وجمع فيه الروايات الواردة في هذا الموضوع ، وكذلك كتب بعض العلماء رسائل حول هذا الموضوع أيضاً ، ولكن الناس بعيدون عن حقيقة الأمر .

ويقول المرحوم المجلسي في أول كتابه المذكور بعد نقل عدة روايات في مدح ولزوم الاستخارة ، بمعنىٰ طلب الخير والصلاح من الله تعالى في جميع الأمور :

« فاعلم أن للاستخارة عدّة أنواع » :

الأول : أن يتوسّل إلىٰ الله تعالى في كل أمر يريده ويطلب منه ما فيه الخير له من ذلك الأمر . وبعد ذلك يكون راضياً ومسروراً من كل ما يحدث له من وقوع ذلك الأمر أو عدم وقوعه ، وأن يعلم بأن خيره في ما وقع .

الثاني : بعد أن يطلب الخير من الله تعالى ينظر إلى قلبه فكل ما خطر على قلبه يعمل به .

الثالث : بعد أن يطلب الخير من الله عز وجل فإنه يستشير أحد المؤمنين ويعمل بما يقوله ذلك المؤمن .

الرابع : الاستخارة بالقرآن أو السبحة أو الرقاع وغيرها بالتوضيح الآتي فيما بعد .

ثم يقول : إن أكثر أحاديث الاستخارة تدل على القسم الأول منها ، وبعض العلماء أمثال المفيد والمحقق وابن إدريس لهم تأمل في القسم الرابع ـ إلى أن يقول : والحق هو بما أن الأحاديث واردة في كل واحد منها فلذلك لا يمكن إنكارها . ولكن أهم الاستخارات هي الأقسام الثلاثة الأولى ، والمتروكة في هذا الزمان .

كثيراً ما يأتي بعض الشباب في أيام امتحانات المدارس ويقولون : مولاي خذ لي استخارة وانظر هل أنجح أو لا ؟

وعلى كل حال فإن ما نقوله موجود في الشريعة المقدسة وعليكم أن توصلوه إلى الغائبين ليتركوا هذا الأسلوب الخاطىء ولا يلوّنوا الدين بالخرافات .

التأكيدات الواردة في الاستخارة

الاستخارة من الموضوعات التي أوصىٰ بها خاتم الأنبياء محمد (ص) أمته كثيراً ، كما جاء في روايات العامة والخاصة بأن لا تتركوا الاستخارة في كل فعلٍ صغيراً كان أو كبيراً .

ويقول أمير المؤمنين (ع) : بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى اليمن فقال لي وهو يوصيني : يا علي ما حار من استخار ولا ندم من استشار[1] .

بل إن كلّ إمام أوصىٰ الإمام الذي بعده بالاستخارة وكذلك بقراءة القرآن .

ولكن يجب فهم معنىٰ الاستخارة

وهذه الاستخارة التي ورد كل هذا التأكيد عليها لا تعني أن تحسب حبات السبحة أو تفتح القرآن فقط ، بل تعني كما مر سابقاً « طلب الخيرة من الله » فكل عمل تريد أن تقوم به اطلب من الله تعالى أن يرشدك إلى ما فيه خيره ورضاه .

ثم إن هناك روايات مختلفة في كيفية الدعاء وحالة الاستخارة ، أحدها هو أن يقول في الأمور الجزئية سبع مرات : أستخير الله ، أو

---

(١) بحار الأنوار المجلد ٩١ ص ٢٢٥ .

أستخير الله برحمته خيرة في عافية ، وإن كان مهماً كالسفر مثلاً أو معاملة تجارية أو عملية جراحية أو أي شيء مهم فيقول ذلك مائة مرة وواحدة وإن كان ساجداً فأفضل ، والأفضل أن يكون في سجود نافلة الليل أو نافلة صلاة الصبح ، فالمهم هو حالة الدعاء .

وفي رواية أخرى أن الإمام زين العابدين (ع) كان عندما يريد أن يقدم على أمر جزئي يقول عشر مرات : أستخير الله برحمته خيرة في عافية ، أما في الأمور المهمة مثل السفر والعمرة وشراء غلام فإنه يقولها مئتي مرة كما ورد ذلك في عدة روايات .

والخلاصة:إنه قد ورد التأكيد على أن تطلب ما فيه صلاحك من الله تعالى في السجود ، وهي الحالة التي تكون فيها قريباً من ربّك ، والآن لو أن الشخص عمل بهذه الشاكلة ولم يكن متردّداً فليؤدّ ذلك العمل ، ولو كان متردداً فينبغي عليه في آخر الأمر أن يرجع إلى الطريق الذي عيّنه الشارع المقدس لرفع الحيرة والتردد .

المشورة لرفع الحيرة

وأهمها هي المشورة كما نص على ذلك القرآن الكريم : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ وطبعاً ليس مع كل أحد بل أن يكون ذلك الشخص عاقلاً أولاً ، وخبيراً وبناءً على ذلك تكون المشورة مع السفيه خطأ .

والثانية أن يكون متديّناً،فلا يمكن استشارة الشخص غير الملتزم في أمور الدين . فالشخص الخائن لربه كيف لا يخونك أيضاً ؟!

والشرط الثالث هو أن يكون محبّاً لك،إذن فلا ينبغي لك أن تستشير عدوّك أو الشخص الذي تكون محبتّه لك غير معلومة .

والرابع : هو أن تتمكن من إيداع سرّك عنده ، فهل يمكن أن تفشي سرّك لكل أحد ؟

فلو كانت هذه الشروط الأربعة متوفرة عنده فقل له ما عندك فإن الله الذي طلبت منه ما فيه خيرك سوف يفهمك صلاحك وخيرك على لسانه .

الأئمة (ع) كانوا يستشيرون

ورد في الرواية عن الإمام الرضا (ع) أنهم ذكروا أباه عنده فقال (ع) : كان عقله لا توازى به العقول وربّما شاور الأسود من سودانه ، فقيل له : تشاور مثل هذا ؟! فقال : إن الله تبارك وتعالى ربّما فتح على لسانه »[1] .

فبناءً على ذلك يجب التأسّي بالرسول (ص) والأئمة (ع) وهكذا أمر القرآن الكريم الصريح في الموارد التي يكون فيها الشخص متردداً .

استخارة ذات الرقاع

وفي حالة عدم التمكن من المشورة أو أنها جاءت متناقضة ، بأن سألت أحد الأشخاص (مع توفر الشرائط الأربعة السابقة لديه) فقال : نعم ، وقال آخر : لا ، فإن أفضل طريق لرفع الحيرة كما ورد في الروايات هو طريق الرقاع ، والمشهور أن الفقهاء كانوا يعملون به.وكيفيته هو أن تكتب على ست رقاع : « بسم الله الرحمن الرحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة » وتكتب اسمك واسم أمك بدل فلان بن

---

(١) مكارم الأخلاق ، ص ٣١٩ .

فلانة . ثم تكتب تحت ثلاث رقع منها « افعل » وفي الثلاثة الأخرى « لا تفعل » .

وتضع هذه الرقاع الست تحت السجادة وتصلي ركعتين ، وبعد التسليم (أو في السجود الأخير علىٰ رواية) تقول وأنت ساجد مائة مرة : أستخير الله برحمته خيرة في عافية ، وعندما تفرغ من ذلك اخلط الرقع بحيث لا تعلم بها ، ثم اسحب واحدة فواحدة فإذا خرجت لك « افعل » في ثلاث مرات متعاقبة فهي جيدة جداً ، ولو كانت « لا تفعل » ثلاث مرات فواضح أنها سيئة ، وإن خرجت غير مرتبة فاسحب منها خمس رقاع ، فإن ظهرت ثلاث منها « افعل » واثنتان لا تفعل فهي متوسطة الحسن ، وإن كانت ثلاث منها لا تفعل واثنتان افعل فهي المتوسطة السوء .

وطبعاً فإن الرقاع على أنواع ، ويكفي ذلك كنموذج .

ولو لم يسعه الوقت فلا مانع من الاستخارة بالقرآن لرفع الحيرة وتعيين الخير والصلاح مع حضور القلب والدعاء ، وكذلك فهم الآيات وتطبيقها مع مورد الاستخارة .

وقد روى الشيخ الطوسي في التهذيب أن إليسع بن عبدا لله القمي قال للإمام الصادق (ع) أريد الشيء واستخير الله فيه فلا أوفق فيه للرأي ، فقال الإمام (ع) : إذا قمت للصلاة فانظر ما يقع في قلبك فخذ به فإن أبعد ما يكون العبد عن الشيطان إذا وقف للصلاة ، إلى أن قال : افتتح المصحف فانظر إلى أوّل ما ترى فخذ به إن شاء الله[1] .

---

(١) الوسائل : ج ٤ ص ٨٧٥ .

إمكانية الاستخارة للآخرين

الشيء المتعارف في زماننا هو كتابة كلمة « جيدة » أو « غير جيدة » في أعلى الصفحة من القرآن ، أو يأتون إلى أحد العلماء ويقولون خذ لنا استخارة ، لكن العلّامة المجلسي يقول : ليست لدينا رواية واحدة كنموذج تقول بأن أحد الأشخاص من الشيعة جاء إلى الإمام (ع) فقال له : مولاي خذ لي استخارة بالقرآن ، فلم يكن البناء على قيامهم بهذا العمل مطلقاً .

ولذلك يستشكل بعض الفقهاء من الاستخارة للآخرين ، إلّا أن المرحوم المجلسي وبعض العلماء الآخرين كانوا يجوّزون فتح القرآن من قبل شخص آخر من باب الوكالة في الدعاء ـ لأنه لا يتمكن من ذلك ـ ومن باب إجابة طلب المؤمن إذا كانت لديه حالة الدعاء وكان يفهم معناها .

والكثير من الفقهاء لا يعتقدون صحة أصل الاستخارة بالقرآن الكريم ولو لم تكن متردداً فلا محلّ للاستخارة ، بل هو محلّ التوكل وأداء العمل ﴿ . . **فإذا عزمت فتوكّل على الله** . . ﴾ نعم إذا كنت متردداً بالشكل الذي ذكر فلا مانع من ذلك سواءً كان إلهاماً أو مشورة أو رقاعاً ، وفي المرتبة الأخيرة بالقرآن إذا كانت لديه حالة الدعاء والفهم أو بالسبحة أيضاً .

والملاحظة التي نؤكد عليها باستمرار هي طلب الخير من الله تعالى والذي هو حقيقة الاستخارة .

* * *

الركن الثالث

التوكل

بسم الله الرحمن الرحيم

١٦ - ﴿ إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون ﴾

(سورة النحل الآية : ٩٩)

وجـوب التوكّل على الله

التوكل من لوازم التوحيد الأفعالي

إن بحث التوكّل من البحوث المهمة في الدين الإسلامي المقدّس ، فإن حقيقة التـوحيد ـ يعني التـوحيد الأفعـالي ـ يلازمـه التوكـل على الله تعالى ، يعني أن الإنسان المسلم هو الذي يعتمد في الحصول على المنفعة ودفع المضرة على الله تبارك وتعالى وهو معنى :

« لا إله إلاّ الله ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم » .

ومفتـاح الجنة يكمن في الحـوقلة ، وهي التوحيـد الأفعالي بمعنىٰ أن يتيقّن بأن الأسباب غير مستقلة بدون إرادة الله تعالى . وأن يكون نـظره إلىٰ مسبب الأسباب ، ويتعرّف على خالق الأسباب وينظر إلى الأثر بما أنّه من المؤثر لا بالاستقلال عن السبب .

اتّباع السبب أو التوكّل على الله

علىٰ الإنسان أن يـذهب خلف الأسباب ولكن مع التوكـل عـلى المسبّب ، ويكون توكله في كـلا الأمرين من جلب المنفعـة ودفع المضـرة الدنيوية والأخروية وتكون قوة قلبه بالاعتماد على الله تبارك وتعالى . فلو أراد الله وتحققت المصلحة فإني سوف أحصل علىٰ هذا المال وإلاّ فلا، فأنا لي وكيل فما الذي يمنعني أن أعمل طبقاً لكل ما يقول ؟

فقد قال : اذهب في طلب العمـل ولكن لا على أســاس الحـرص والطمع ، اذهب وراء السبب ولكن لا تقترب من المحرّمات ، فكيف إذا قال لك وكيلك احضر إلى المحكمة وأحضر معك الوثائق فسوف تعمل بذلك ، لأن وكيلك قال ذلك ، فأنت ترى نفسك ضعيفاً فتتخـذ وكيلاً وتعمل طبقاً لما يقول .

يجب أن تتخذ وكيلاً

أيها الإنسان أنت عاجز ولا تستطيع اجتياز الدنيا والآخرة وحدك ، فلو كان لديك من تعتمد عليه في كل خطر وضرر وفي كل مشكلة فسوف لا يطرأ عليك التزلزل والخوف ، لأن لديك وكيلاً ومعتمداً .

ألم تقرأ في تعقيبات الصلاة « توكّلت على الحيّ الذي لا يموت » فقد أوكلت أموري إليه فهو نعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير .

الشيطان يهرب من المتوكلين

وقد روي أنه عندما يـريد الإنسـان أن يخرج من بيتـه صباحـاً فإن الشياطين تنتظره على الباب فعندما يخرج ويقـول : « آمنت بالله تـوكلـت علىٰ الله » فتهرب الشياطين .

ولا مانع من أن تقولها بالفارسية ، فالمهم هو القلب والروح ، ولو أنه كان يرجوه واقعاً فليعلم أن وكيله قوي وسوف يدفع عنه كل خطر وكل مشكلة قد تحدث . ويوصل إليه كل منفعة تكون في صلاحه ، فلا يوجد وكيل أعلىٰ من الله تعالى صاحب الرأفة والرحمة والقدرة اللامتناهية .

خروج ابن الزبير بعد واقعة كربلاء

وخطر على ذهني حديث شريف في أصول الكافي في هذا المجال وأذكره لكم :

كان عبدالله بن الزبير من ألدّ الأعداء لآل محمد (ص) بحيث إنه لم يكن يصلي على محمد (ص) في خطبة صلاة الجمعة ، فلمّا اعترضوا عليه ذلك قال : إن الصلوات على النبي (ص) بدون ذكر الله باطلة ، وإذا ذكرت آل محمد (ص) فعندها تقطع الرؤوس .

والخلاصة أنه خرج في مكة بعد قضية كربلاء ، وادّعى الخلافة وإمرة المؤمنين ، واتّبعه جماعة في العراق أيضاً حتىٰ استفحل أمره وشاع صيته .

وكان يزيد يتوقع أن لا يستطيع أحد أن يتنفس بعد قتل الحسين (ع)، لكنهم أخبروه بأن ابن الزبير قد استطاع أن يسخّر الحجاز .

فاضطرّ أن يبعث مسلم بن عقبة والحصين بن نمير مع جيش جرّار إلى جهة الحجاز، وأمرهم أن يسلكوا طريق المدينة وأن يقتلوا من فيها ويهتكوا الأعراض وينهبوا الأموال مهما تمكّنوا من ذلك .

الشبح الذي ظهر للإمام السجاد (ع)

فوجود فتنة ابن الزبير من جهة ، وجيش يزيد الجرار من جهة

أخرى ، وبينما كان الإمام زين العابدين (ع) راجعاً لتوّه من كربلاء ومأساتها الدامية فلذلك أحزنته هذه الأمور كثيراً ، حتى أنه قال يوماً لأبي حمزة الثمالي : خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط (والظاهر أنه كان سور المدينة) فاتكأت عليه فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان، ينظر في تجاه وجهي ثم قال : يا علي بن الحسين مالي أراك كئيباً ؟ أعلىٰ الدنيا ؟ فرزق الله حاضر للبر والفاجر قلت : ما علىٰ هذا أحزن وإنه لكما تقول ، قال : فعلىٰ الآخرة ؟ فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر ـ أو قال : قادر ـ قلت : ما علىٰ هذا أحزن وإنّه لكما تقول ، فقال : ممّ حزنك ؟ قلت : مما نتخوّف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس . قال : فضحك ثم قال : يا عليّ بن الحسين هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه ؟ قلت : لا . قال : فهل رأيت أحداً توكّل على الله فلم يكفه ؟ قلت : لا ، قال : فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه ؟ قلت : لا ، ثم غاب عني(١) .

تذكير من أجل تسكين الخاطر

يقول المجلسي عليه الرحمة : إن هذه الأمور لا تعتبر نقصاً في مقام الإمامة بل هي تذكرات من قبل رب العالمين من أجل تسكين وتقوية قلب الإمام ، ليكون ذلك مواساة له وتهدئة لخاطره ، والخلاصة أنه ليس لنقص في الإمام ؟

ومثله مثل من يقول لمن مات ولده : اصبر فإن ولد الحسين (ع) استشهد أيضاً و . . مع أنه إنسان عالم وفاضل ، إلاّ أن هذه الأمور هي

---

(١) أصول الكافي الجزء الثاني ، باب (التفويض إلى الله) .

مجرّد تذكير وموعظة وليس لها دلالة على صغر أو كبر الشخص المقـابل ، حتى لو كان القائل ناقصاً والسامع كاملاً فتارة يقول الطفل كلاماً بحيث يتذكر الإنسان من كلامه ويتنبّه .

كلام الحسين (ع) مع علي الأكبر (ع)

سمعتم أن أبا عبدالله الحسين (ع) في أحد منازل كربلاء قد أصابته وعكـة وتغير حـاله فقـال له عـلي الأكبر : أبـه ، مـا الـذي أحـزنـك ؟ فقال (ع) : سمعت منادياً ينادي أن هؤلاء يسيرون نحو الموت ، إنه سفر القتل والشهادة .

فقال : ألسنا على الحقّ يا والدي : فقال : بـلىٰ ، إنه طـريق الحق وإجابة الحق .

فقال : « إذاً لا نبالي بالموت » فإن كان هـو طريق الحق فـما أحسن الموت في طريق الحق ومن أجل الحق وبذكر الحق وباسم الحق .

وكان هذا الكلام بمنزلة الماء الذي نزل على قلب الحسين المشتعل ، وقد دعا له الحسين (ع) : جزاك الله خيراً يا ولدي .



بسم الله الرحمن الرحيم

١٧ - ﴿ إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون ﴾

(سورة النحل الآية : ٩٩)

التوكّل على الله رحمة

التوكل نتيجة العلم والحال والعمل

قال العلماء والمحققون في موضوع التوكّل : بأن التوكل يكون في ثلاثة أمور وهي العلم والحال والعمل ، وينبغي أن نتحدث عن كل واحد منها بالتفصيل :

أما العلم ، فما لم يصبح الإنسان عالماً لا يكون له نصيب من التوكّل ، ومتعلق العلم ثلاثة أشياء أيضاً : فالأول يجب أن يحصل له اليقين بقدرة الله تعالى الغير متناهية بأنه على كل شيء قدير ، وقادر على كل شيء بعد أن تعجز أي قوة وقدرة عن القيام بأي شيء،فلا شيء يقف أمام القدرة الإلهية (يا من العسير عليه سهل يسير) .

المعرفة والشفقة على العباد

والثاني أن تعلم بأن الله عز وجل عالم السر والخفيّات ويعلم كل

شيء ، فالجهر والخفاء بالنسبة له على السواء .

والثالث : أنه في « منتهى الشفقة على عباده » بـأن يتيقن بأنّ الله تعالى يحب عبده ، فالمؤمن عزيز الله ، فكم تحب الأم ولدها ؟ إلا أنّ هذا الحب من الله أيضاً وأكثر منه آلاف المرات بل إن محبة الله تعالى لك أكثر من ذلك بما لا نهاية ، فهو الرب الذي ربّى المخلوقات فهـو يحب مخلوقه ومربوبه ، والشـواهد على ذلـك كثيرة وأذكـر لكم رواية مختصرة من كتاب حياة القلوب بالمناسبة :

يكسر جرار نوح

بعد أن دعا نوح على قومه وغرق الكفار جميعاً ظهر أمـامه ملك من الملائكة .

وكان نوح فخّاراً حيث كان يصنع أوعية الفخار من الطين ويبيعهـا بعـد تجفيفها ، فكـان الملك يشتري هـذه الأوعية من نـوح واحدة بعـد الأخرى ويكسرها .

فتألم نوح كثيراً واعترضه قائلاً :

ـ لماذا تفعل ذلك ؟ فقال : وما أنت وذاك ، لقد اشتريتها وأنا أحق بها ، فقال نوح :

ـ نعم ولكني أنا الذي صنعتها .

فقال الملك : لقد صنعت هذه الأوعية الفخارية ولم تخلقهـا ، وتتألم عندما تراني أكسرها ، فكيف دعوت على كل هؤلاء الخلق وأهلكتهم ؟!

فبعد ذلك ، وكما جاء في علل الشرائع ، فإن نوحاً بكى بعد هـذه الحادثة حتى سمي نوحاً .

نبي الإسلام لم يلعن أبداً

وغرضي هو شفقة الله تعالى ، فالربّ يحب مربوبه ، والله تعالى يعاقب نبّيه المقرّب بأنه : لماذا دعوت على كل هؤلاء الخلق وأهلكتهم ؟

ومما تظهر فيه عظمة شأن خاتم الأنبياء محمد (ص)أنه لم يدع على قومه بشكل عام من أول بعثته وحتىٰ آخر لحظة ، لأنه كان رحمة للعالمين ، مع أنه لو كان يتكلّم بكلمة واحدة لأهلك جميع المشركين .

نموذج من رحمة الله

وحتىٰ في ذلك اليوم الذي ضربوه بشدّة حتىٰ أغمي عليه ووقع على الأرض والدم يسيل من رأسه ووجهه ، فأخبروا خديجة بأنها قد لا ترى محمداً (ص) بعد الآن حياً ؛فنزلت عليه الملائكة وسألوه عن حاجته فلم يطلب منهم إهلاك المشركين مطلقاً ، بل دعا لهم « اللهم اهدِ قومي » والأعجب من ذلك أنه اعتذر لهم أيضاً « إنهم لا يعلمون » إلهي إنهم لا يعلمون بأني رسولك . وهم جهلاء فلا تغضب عليهم. وهذا نموذج من العطف الإلهي .

الناس هم الذين يذهبون إلى جهنم

لا تقل : إذا كان كذلك فلماذا خلق النار ؟ ولكن هذا لا ينافي اللطف الإلهي . فالإنسان هو الذي يهرب من ذلك اللطف ويسلك طريق جهنم .

ومن شدة حبه لهم أنه كثيراً ما أنذرهم في القرآن الكريم بأن لا ينخدعوا بحيل الشيطان ، وأن الدنيا دار الغرور ، وأن الشيطان لكم عدو .

والخلاصة أنه ما لم يتيّقن بأن الله تعالى قادر وعالم ويحبّ كل الكائنات فإنه لا يكون متوكّلاً .

الشفقة على القطة الصغيرة

جاء في تفسير روح البيان : أن أحد الأخيار شاهدوه في المنام بعد موته وسألوه عما جرى له فقال : لقد نفعني أحد الأعمال كثيراً ، فقد كان ذلك اليوم شتاءً وكان البرد شديداً والمطر يهطل بغزارة ، فرأيت قطة صغيرة تبحث عن مأوى وهي جائعة وضعيفة ، فرق قلبي لها فوضعتها في كمي وأخذتها إلى البيت ، فأطعمتها ثم تركتها بعد ذلك ، وقد جزاني الله تعالى ثواب ذلك في هذا اليوم .

إذن فكيف مع المؤمنين ؟

هذه محبة الله تعالى للحيوانات ، وهي المحبة والشفقة العمومية للخالق فكيف لو وصل الأمر إلى المحبة والشفقة الخاصة بأهل الإيمان والتقوى؟ فهي محبة أسمى من هذه الكلمات حيث يعبّر عنهم في القرآن الكريم بالمحبوبين له ، ويقول : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه ﴾

ومقصودي هو العلم بمحبة وشفقة ربّ العالمين ، فيجب أن تكون على يقين بأن الله تعالى يحبك .

هل لدينا أحسن من الله ؟

ولما كان الأمر بهذا الشكل ، إذن فلماذا لا تعتمد على ربّك ؟ هل لديك من هو أحسن منه ؟! هل هناك ربّ أعلم وأقدر وأشفق من الله عزّ وجلّ ؟! ومن كان لديه مثل هذا الربّ الرحيم العطوف فلماذا يتعلق قلبه بغيره ، ويتوكل على من سواه ؟

إلهي : اجعل قلوبنا قوية حتى تكون أنت أملنا ورجاءنا ، فنقول في كل خطر يا الله ، ونقول في كل وسوسة يا رب ﴿ **وعلى الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

ما علاقة الشيطان بالمتوكّلين ؟

إذا حصل عندك الاطمئنان القلبي بربّك ، وأصبحت من أهل التوكّل فإنّ الشيطان لا يستطيع النفوذ إلى قلبك ، كما في المثال الذي ذكرناه سابقاً ، فالخيمة الملكية منصوبة وعلى بابها كلب الحراسة يطرد الغرباء عنها ، ولكن إذا كانت للشخص معرفة مع السلطان فبمجرد أن يصيح خارج الخيمة : يا صاحب الخيمة إن هذا الكلب يؤذيني ، فسوف تبعده صيحة زجر واحدة منه .

نعم ، فلو أن أحداً ارتبط مع صاحب عالم الوجود هذا ، وكان به مسروراً ، يعني قد توكل عليه ، فإن استعاذته تكون حقيقية واقعاً ، وليس للشيطان طريق إليه .

لا خوف على أولياء الله

وللإنسان أعداء كثيرون في أي مقام كان حتىٰ يصل إلى المنزل المقصود عند مليك مقتدر ، فليس من السهل طرد كل هؤلاء الأعداء . والطريق الوحيد إلى ذلك هو التوكّل على الله . فاجعل توكّلك عليه قوياً ، يجب أن يكون اعتمادك الوحيد عليه فإنه لن يعتريك أي خوف بعد ذلك ﴿ **ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون** ﴾

مثل التبن في كل جهة

والمسكين هو ذلك الذي لا مولىٰ له ولا معين ، وليس لديه من يأوي

إليه ، فهو كالتبن الذي يتحرك مع كلّ نسيم ويندفع إلى كل جهـة ولن يتركه الشيطان حتىٰ يهلكه ، وعلى العكس من ذلك فالقوي هو الشخص الذي كان اعتماده على القوي المطلق .

لقد مضىٰ علينا عمر فأرجو أن لا نكون محرومين من التوكّل .

لنتوكّل على الله في العقبات البعدية

وكما يجب التوكل على الله في الدنيا أمـام كل خـطر وشدّة ، فهنـاك عقبات تواجهك بعد الموت ، فتوكل على الله في كل مكان ، وهو الذي تأتي منه جميع شؤونك وترتبط به ، فاجعله وكيلك في جميع أمـورك ، في القبر ، والبرزخ ، ومواقف القيامة وغيرها جميعاً ، وأن يكون من تتوكل عليه هو الذي جاء بك إلى هذه الأماكن ، وقد خلقك من العدم ، وتولى إيصالك إلى كمالك من المبدأ إلى المعاد .

﴿ وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب ﴾ .



بسم الله الرحمن الرحيم

١٨ - ﴿ إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون ﴾
(سورة النحل الآية : ٩٩)

مراتب التوكّل على الله

التوحيد في التوكّل

اعتماد وتوكّل المؤمن يكون على الله فقط ﴿ . . وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ . فاللازم للتوحيد هو أن يكون التوكّل عليه فقط ، أن لا يخاف من أي شخص ومن أي شيء إلّا من الله ، وأن لا يرجو أحداً أو شيئاً سوى الله عزّ وجلّ .

وإذا كان توحيده صحيحاً فإنه لا يخاف الفقر أبداً ، فهذا الخوف الذي يسدّ عليه الطريق ناتج من ضعف الإيمان ، وإلّا فالمؤمن لا يتزلزل من أي كلام أو حدث ، لأن اعتماده وقوة قلبه هما من الله فقط .

وعلى كل حال فإن نتيجة التوحيد في الأفعال هي التوحيد في الخوف والرجاء والتوكّل وسائر الجهات الأخرىٰ .

التوكل على الله واجب عقلاً

ووجوب أن يكون المؤمن متوكلاً هو أمر عقـلي ، فالتـوكل عـلى الله واجب عقلاً لأن جميع الأمور بيد الله تعالى ، إذن فالتوكّل يجب أن يكون على الله أيضاً. ويحتاج هذا الأمر إلى الحقيقة، لا أن يقـول بلسانـه فقط « توكلت على الله » أو « أفوّض أمري إلى الله » بـل يجب أن يكون معـه حضور القلب ، وسرّ الإنسان هو توكّله . وقلنا بأن ذلك يظهر من العلم والحال والعمل ، فأساس التوكّل هو العلم ، وحقيقته هي الحـال الذي هو نتيجة العمل ، وآثاره العمل .

ماذا نصنع لنكون متوكّلين

مـا هي حقيقة التـْوكـل ، ومـاذا يجب عمله لكي يكـون الشخص متوكلاً ؟

التوكّل من مـادة الوكـالة ، والـوكالـة لها طـرفان : مـوكِّل ومـوكَّل فالشخص الذي يتخذ لنفسه وكيلاً يقال له موكِّل ومتوكِّـل ، كما أن من أعطيت له الوكالة والذي يُتوكل عليه يقال له الوكيل والمتوكَّل عليه .

فاتخِذِ الله وكيلاً وفوّض أمرك إليه لا إلى غيره ﴿ فاتخذه وكيلاً ﴾ .

اليقين بالتوحيد الأفعالي لازم

قلنا إن التوكّل يكون من العلم والحـال والعمال ، وأصله العلم ، والمقصـود من العلم هنا هـو اليقين بـالتوحيـد الأفعـالي ، يعني أن يعلم بشكل كلّي وجزئي بأن وصول كل منفعة ودفع كل مضرة إنمـا يكون من الله تعـالى ، يجب أن يتيقّن أولاً بهـذا المعنى بـالأدلـة العقليـة والنقليـة ويصحح أساس توحيده الافعالي .

هل يمكن أن يتصور أحدٌ خيراً من غير الله ؟ فكل خير ـ سواء كان بواسطة أو بدون واسطة ـ هو من الله تعالى دون شك ، فالطعام واللباس والزوجة والحياة المادّية إلى النعم والخيرات المعنويّة كلها من الله تعالى .

لاحظوا شرب الماء

عندما يعطيك أحد قدحاً من الماء ، فمن أين جاء هذا الماء ؟ وممن ؟ ومن الذي خلقه ؟ وما هو ذلك الخالق ؟ وما هو المخلوق ؟ ومن الـذي أعطاه تلك القدرة حتى استطاع أن يأتي بالماء ، ومن الذي جعله مسخّراً لإرادتك و . . .

فالغرض هو أن قدحاً واحداً من الماء لو حسبت لرأيت أنه جميعاً من الله .

اللباس من الله أيضاً

واللباس الذي نلبسه من بدايته وحتى في الوقت الذي يكون فيه قابلاً لـلاستفادة ، فهـل له مصـدر غير الغيب ؟ من الـذي أوجد الصـوف ؟ وهكذا ترجع إليه جميع الأيدي التي عملت على غزله وحياكته والحق أنه ﴿ . . ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله . . ﴾ .

ودفع الضرر منه أيضاً

ودفـع الضرر أيضـاً هـل يكـون إلّا منـه ؟ مثـلاً من الـذي يشـافي الشخص المريض ؟ هل أن المشافي هو الدكتور والدواء أو أن حقيقته من الغيب ؟ . من الذي أعطىٰ هذا العلم للدكتور ؟ من الذي خلقه ، ومن الذي يدبر أمور حافظته وتشخيصه للدواء ؟ أجـل ، فتشخيص الطبيب

الصحيح من الله أيضاً ، وأذكر لكم قضية ذلك الدكتور المرحوم والتي شاهدتها بنفسي :

طبيب حاذق يقتل ولده

في الأيام التي عم فيها مرض الحصبة في شيراز كان هناك دكتور مشهور بالحذاقة وكان ابنه في الثامنة عشرة من العمر وقد ابتلي بالحصبة ، فأشرف الدكتور على علاجه ومداواته بنفسه ، فالمسألة واضحة : فالطبيب هو الأب ، والمريض هو الابن ، فكم يجب أن يهتم ويعتني في تشخيص المرض حسب القاعدة ، وأخير يشخّص المرض بالملاريا اشتباهاً،وأعطى لهذا الولد المسكين الأقراص المخصوصة بمرض الملاريا بدل الحصبة وقتله .

أجل ، فإنه متوقف على إرادة الله ، فالطبيب قد قرأ بعض الأمور ولكن عند تطبيق تلك القواعد فإن هناك إرادة أخرى مؤثرة على أي حال ، فلو أراد الله الشفاء لهذا المريض فإن التشخيص يكون صحيحاً والدواء مؤثراً.أجل ، فما لم تستقر هذه المعاني في الذهن ويحصل بها العلم فمن المحال أن يصل الشخص في المعارف إلى مرتبة معينة فلو أنك رأيت السبب مستقلاً فهذا يعني أنك لم تقل « لا إله إلا الله » حقيقةً ، لأنه لا فاعل مستقلاً ولا معبود سواه ، وأمّا البقية فهي وسائله ووسائطه .

إرادة الله في جميع الامور

إذن فالخير الواصل من الطبيب أو الضرر الذي يدرأ عنك أو أي خدمة تصل إليك هي كلها من الله . مثلاً : الشخص الذي يدفع لك قرضك ، من هو؟ هو مخلوق الله . من الذي دفعه إلى هذا العمل ؟

ومن هو المسخّر للإرادة ؟ الله . من الذي أخرج المال من قلبه غير الله ؟ « إنما سمي المال مالاً لأنها تميل إليـه القلوب » فالمـال ملتصق بالقلب ، فنفس ذلك الذي أراد أن يصل إليك طلبك هو الذي سخّر قلبه لذلـك أيضاً .

لا نقول اترك طلب الوسيلة

وطبعاً فإن ذلك لا يتنافى مع تحصيل الوسائل ، وسوف نشرحه فيما بعد ، والمقصود هو أنه يجب أن يكون اعتمادك وقوة قلبك بـالله فقط ، وسيأتي شرحه في القسم الثالث وهـو العمل ، والكـلام فعلاً عن العلم حيث يجب فهم هـذا المعنى من القرآن والأخبـار بأن كـل مـوجـود ليس مستقلاً بنفسه في إيصال النفع إليه ودفع الضرر عنه .

حال التوكل نتيجة العلم

ولو حصل لديه هذا العلم واقعاً فسوف تكون نتيجته هي الحصول على حالة التوكل ، بمعنى أن يكون الإنسان مع ربه كالموكّل مع وكيله .

وقد قلنا لو أن أحداً ابتلي في المحكمة بمشكلة عـويصة ورأى نفسـه عاجزاً في إثبات حقّه فإنه يبحث عن وكيل له عارف بالقوانين المـربوطـة بـالقضية بشكـل كامـل ، فيسأل من هـذا وذاك عن الـوكيـل الأفضـل والأفهم ،ثم إنه يبحث عن الوكيل الذكي والشجاع لأنه يمكن أن يكون الوكيل عالماً بالقوانين إلا أنه جبان ويفتقر إلى الإقدام فهو غير نافع أيضاً .

والشرط الثالث هو أن يكون عطوفاً بـالموكِّـل ويريـد أن يأخـذ حق موكِّله ولا يسمح بوقوعه في مشكلة ، فلو لم يكن عطوفاً بل كان شخصاً

مخادعاً فيحتمل أن يأخذ من خصمه أموالاً أكثر ويلقي بالحكم على موكِّله .

أمّا لو وجد وكيلاً وقد توفرت فيه هذه الشروط الثلاثة فإنه سيكون مسروراً لذلك ، ويرى نفسه مرتاحاً بعد الآن ، لأنه قد أوكل بقضيته إلى من له اللياقة الكاملة ؛ فعلى أيّ شيء يحزن ويخاف ؟ ويقال لهذا : حال التوكل .

نعم الوكيل

هل نجد بهه الشروط الثلاثة وكيلاً أليق من الله تعالى ؟

بالنسبة إلى المعرفة بمصالح ومفاسد الأمور ، هل هناك من هو أعلم بأمور حياتي وكيفية إدارة أعمالي وكيفية إصلاح أمر دنياي وآخرتي من الله عزّ وجلّ ؟

هل نجد من هو أقدر من الله في جلب الخير ودفع الشر وأقوى منه ؟ في حين أنه ﴿ . . وهو على كل شي قدير ﴾ ﴿ . . وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ .

وهل هناك من هو أرحم من الله بمخلوقه ، فلا شك أن كل محبة هي من الله ، وأصل الشفقة والمحبة منه ، ومحبة الأب والأم وكل محبة في العالم ما هي إلاّ قطرة من محبة الله اللامتناهية .

إذا اتخذت الله وكيلاً إذن فلماذا . . . ؟

والآن لو أني توكلت على الله بالنسبة لهذا الخير الذي أريده ، وقلت حقيقة : إلهي أنت وكيلي . فلا شك أنه سوف يحصل الاطمئنان والارتياح في القلب بعده ، أو بالنسبة إلى المشكلة التي واجهتني فلو أني

توكلت على الله واقعاً في دفعها فـلا ينبغي أن أكون كئيبـاً لأن لي ربي ، ويعني أن لي كلّ شيء .

إذن فهذه الاضطرابات والوساوس وعدم الاطمئنان علامة على عدم التـوكّل ، حتى لـو قلت بلساني آلاف المرات ﴿ .. **عليه تـوكّلت وإليه أنيب** ﴾ .

المتوكل لا يخاف غير الله

أهل التوحيد هم : ﴿ **الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشَوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ .

هؤلاء هم الذين توكلوا واقعاً لا ذلك الذي نقوله بألسنتنا ونقرأه في القرآن ، فالقـرآن لم ينزل لأجـل القراءة فقط ، بـل تجب قراءتـه وفهمه والحصول على الحقيقة منه ، يعني أن نحصل على حال وحقيقة التوكّل ، أليس من القبيح أن نقرأ هذه الآيات لسنين طويلة من العمر ومع ذلك لم نتخذ إلهنا لحد الآن بمقدار ما يكون لوكيل عادي تتوفر فيه هذه الشروط الثلاثة المذكورة ؟! والآن هل اتخذنا الله وكيلاً في جلب الخير أو دفع الشر بشكل عام حتى يصل الأمر بعد ذلك إلى أن لا نتخذ سواه وكيلاً ؟

من يأمل غير الله يخب أمَله

ورد في عدة الداعي وأصول الكافي أن محمد بن عجلان ابتلي بدين ثقيل ، وفكر في الذهاب لدى حاكم المدينة في ذلك الوقت الحسن بن زيد ليستفيـد من نفوذه ، وفي أثنـاء الطريق يـرى محمد بن عبـدالله بـن زين العابدين فيسأله عن مشكلته فيقول : أريد الذهاب عند الأمير ليصلح لي أمري .

فقال : إني سمعت من ابن عمي جعفر بن محمد الصادق (ع) . . . ويذكر حديثاً قدسياً طويلاً إلى أن يصل إلى هذه الجملة والتي هي محل الشاهد هنا : « وعزّتي وجلالي لأقطعن أمل كل مؤمل غيري باليأس . . إلى أن يقول : ما لي أراه لا هياً عني . . أفيراني أبداً بالعطاء قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب سائلي . . »

هل أنت قلت إلهي أريد عيناً ، أريد أذناً ، ألم يعطك هذه الأشياء التي أنت بحاجة إليها بحسب التكوين ، فهل أنك إذا طلبت منه ما تريد لا يعطيك ؟!

وقال محمد بن عجلان : اقرأه لي مرّة أخرى ، فقرأ الحديث عليه مرة ثانية ، فطلب منه للمرة الثالثة أن يقرأه عليه ، فقرأه ، فلما أثّر الحديث فيه جيداً قال : لا والله ما أسأله حاجة بعدها ، توكّلت على الله وأفوّض أمري إلى الله .

فلما قال ذلك انصرف مرتاحاً
وجاء في آخر الرواية أنه لم تنقض فترة إلا وقضيت حاجته .

الأسباب أعمتنا وأصمّتنا

ومقصودي أننا لم نصل لحد الآن إلى ذلك الإيمان والتوحيد الذي نتوكل فيه على الله لا غير .

ونقرأ في دعاء كميل « يا من عليه معوّلي » ولكن هل صدقنا في هذا الكلام ؟ أجل ، فالأسباب الظاهرية لا تسمح للإنسان أن يكون صادقاً مع ربه ، ويحصل على حقيقة « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وقد سمعتم أن الحوقلة (الكلمة الشريفة لا حول ولا قوة إلا بالله) مفتاح الجنة وكم من الثواب الجزيل لمن يقولها ، فهل أن هذا الثواب وهذا المفتاح للجنة يعود إلى اللفظ فقط ، كلا ليس كذلك ، فلو أن أحداً قال واقعاً وبصيغة الإنشاء : « لا حول ولا قوة إلا بالله » فإن أبواب الجنة تفتح له من الآن ولكن أمامه طريقاً طويلاً لكي يصل إلى حال الإنشاء وتحصل عنده الحقيقة .

يرى نفسه صاحب القوة

الشيء المتعارف هو أن الإنسان يرى نفسه ويرى الأسباب هي صاحبة الحول والقوة ، بالرغم من قوله بلسانه « لا حول ولا قوة إلا بالله » ولكنه يقول بحسب الحال والحقيقة « لا حول ولا قوة إلا بي وبالأسباب » .

فالمقصود هو حال التوكّل ، فينبغي أن نقوم بعمل يؤدّي بنا إلى أن نسير في طلب الإسلام الحقيقي والتوحيد الواقعي ، وهذه هي نتيجة العمر وهي التفقّه في دين الله ، يعني أن تكون إنساناً .

للتوكل مراتب أيضاً

وفي الأثناء يجب أن تعلم أن ما قلناه من أنّ التوكل يعني أن يكون الإنسان مع ربه كالوكيل والموكل هو أول مراتب التوكل ، ويجب عليه أن يرتقي فوقها بمراتب كثيرة .

وتأملوا في توكل الطفل على أمه إذا أردتم التوكّل الصادق والحقيقي التكويني ، لا التوكل الاكتسابي والفعلي .

إن كلّ توكّل الطفل يكون على أمه سواء في جلب المنفعة أو دفع الضرر ، فإنه يرى أمه في أية حالة ، فعندما يجوع ، أو يقع على الأرض ، أو أراد طفل أن يضربه فإن جميع إحساساته تكون مع أمه ، وعندما ينادي أمه فإن حالته كذلك لا أن تكون كلمة : أماه ، أماه على لسانه فقط .

فلو تحققت هذه الحالة عندنا فقد حصلنا على المرتبة المتوسطة للتوكّل ، حتىٰ يصل إلى المرتبة الثالثة ويكون مثله « كالميت بين يدي الغسّال » وهناك مجال لشرح ذلك ، وإنما ذكرت ذلك من أجل أنه لو شمل التوفيق الإلهي حال أحدنا ووصلنا إلى مرتبة من مراتب التوكّل وحصلت فينا رائحة من التوكل ، أن لا يصيبنا الغرور وأن نعلم بأن هناك مراتب أخرى أعلىٰ بكثير ولم نصل بعد إلى شيء منها .

الاستمرار في حالة التوكل لازم

والملاحظة الأخرى هي أنه يجب استمرار حالة التوكل هذه ودوامها . وإلا فإنه لا يكفي أن يكون الشخص في بعض أوقاته متوكلاً وفي البعض الآخر غير متوكل ، فيجب أن يكون الحال بحيث يكون متوكلاً على الله باستمرار لا على غيره ، وإلى أن يصير الحال دائمياً يحتاج إلى وقت طويل .

ألم تشاهدوا الطفل عندما يحسنون إليه فإنه ينظر إلى أمه ؟ يعني يا أمي أنت اشكريه على ذلك ، فإنه أحسن إليّ من أجلك . لأنه لا يرى غير الأم في الإحسان ودفع الضرر ، فلو أن شخصاً آخر أعطىٰ له شيئاً فإنه يرى ذلك من أمه أيضاً ، ألم يحن الوقت لأن نكون مع ربنا مثل الأطفال الصغار مع أمّهاتهم على الأقل ؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

١٩ - ﴿ إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون ﴾

(سورة النحل : الآية ٩٩)

التوكّل والإيمان

الله الذي أضحك وأبكى

إن ما يلازم التوكل هو أن يعلم أن ﴿ لله ملك السماوات والأرض . . ﴾ و ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ فكل شيء ملك لله ، والملك لا يعني الملكية فقط بل إن كل جزئي وكلّي والصغير والكبير تحت تربيته وإرادته حتى أنّه قد نسب إلى نفسه بعض الأفعال الجزئية أيضاً حيث يقول في سورة « النجم » : ﴿ وأنّه هو أضحك وأبكى ﴾ يعني أنه هو الذي هيأ أسباب الضحك والبكاء ، ﴿ وأنّه هو أغنى وأقنى ﴾ .

يجب أن تعلم بأن الفراش الذي تحت قدمك منه أيضاً ، والبيت الذي تسكنه ، ورأس مالك وكل أشيائك وأمورك منه ، فيجب أن يكون لك علمٌ بهذا المعنى .

عدم الإمكان بدون علم التوحيد الأفعالي

وما دمت غير متيقّن من هـذه المعاني لا يمكنـك أن تدرك معنى « لا حول ولا قوة إلا بالله » يجب أن يرى الإنسان جميع الـوسائـل والأسباب الكلية والجزئية من الله تعالى ، وأن يؤمن بهذا المعنى لكي يفهم أن « لا حول » تعني عدم وجود أي قوة فـ « لا » لنفي الجنس ، يعني لا توجد أي قوة أو قدرة إلا بالله ومن الله وملك الله .

ولا يوجد هناك مؤثر مستقل في أي مرتبة من مراتب الوجود ، كلمة واحدة وحركة لسان واحدة منه أيضاً وبإرادته .

تفتح فمها فلا ينغلق

قبل مدة جاؤوا بامرأة من اصطهبانات للعلاج حيث كان فكّهـا قد تعلّق فقالت : إني تثاءبت فلم يرجع فكّي مرة أخرى إلى مكانه السابق .

أجل ، فانطباق الفم من الله أيضـاً . والخلاصـة أن رأينا هـو نفي استقلالية الأسبـاب في التأثـير ، يجب أن نفهم ذلك لا أن نتـرك العمل بها .

الأسباب مسخرة للغيب فهي معلّقة على ما يريده غيبك وطالعك . ولأجل إدراك هذا المعنى يجب التفكر والتدبر مهما أمكن ذلك .

لماذا كل هذه الأهمية لسورة التوحيد ؟

إن ثلث القرآن تقريباً يدور حول التوحيد ، ولذلك اكتسبت سورة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ هذه الأهمية الكبيرة حتى ورد في مضمون الروايات أن ثوابها يعادل ثلث القرآن ، بمعنى لو أنّ أحداً أراد أن يقرأ ثلث القرآن باختصار فنفس سورة التوحيد تشتمل على ثلث القرآن بشكل مختصر .

ولكن هذا الثواب لمن ؟ إنه لذلك الإنسان الموحّد حيث يحصل على ثواب ثلث القرآن بقراءة سورة ﴿ قل هو الله ﴾ مرة واحدة ، ومع قراءتها ثلاث مرات فإنه يحصل على ثواب قراءة جميع القرآن .

وكما قلنا بأن الحوقلة مفتاح الجنة ، فكذلك بالنسبة لمن كان لديه توحيد أفعالي فإن مفتاح الجنة يكون هو العلم بهذا المعنى ، وإلا فإن الشخص الجاهل والذي لا يُعلم بأي شيء يفكر كلما قرأ لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها لا تؤثر فيه أثرها .

إبراهيم الخليل فخر المتوكّلين

أول درجات التوكّل هي أن لا يكون اعتقاد المسلم بربّه أقل من الوكيل الظاهري ، والمرتبة الثانية كما قلنا أن يكون مثل الطفل لأمه ، حيث يرىٰ أن جميع أموره منها ، وكذلك جلب الخير ودفع الشرّ عنه لا يكون إلا بها ، إلىٰ أن يصل إلى المرتبة الثالثة والتي قد تكون لبعض الكبار ، وهي أن لا يكون في نفسه شيء سوى إرادته تعالىٰ ، ولا يريد إلا ما يريده تعالىٰ .

وكما كان كذلك فخر المتوكلين إبراهيم خليل الرحمن (ع) عندما أرادوا أن يلقوه في النار ، فقال له جبرائيل : هل لديك حاجة ؟ فقال : أمّا لك فلا ، فقال : إذن قل ما عندك ، فقال : « حسبي عن سؤالي علمه بحالي » .

هل صدّقنا مرة واحدة ؟

كم مرة قلنا حتّى الآن « حسبنا الله ونعم الوكيل » فهل جعلناه وكيلنا حتّى الآن ؟ سواءً في الأمور الدنيوية أو الأخروية ، والكلّية والجزئية ؟ هل

عملنا بما أمر به القرآن الكريم حيث يقول : ﴿ **فاتّخذه وكيلاً** ﴾ فإن كان كذلك إذن فلماذا هذه الاعتراضات والاضطرابات والتخوفات ؟ كن على يقين أنها من عدم التوكل ، وهي أيضاً من ضعف التوحيد واليقين بالمعارف.والخلاصة.من قلة الإيمان .

المتوكل غير حريص

وأما في مقام العمل فلو أصبح الإنسان متوكلاً فإن لوازمه ستظهر من خلال أفعاله وأعماله ، ومن جملتها أنه لا يحرص بعد ذلك .

وقد ورد في كتاب عدة الداعي أن رسول الله (ص) في حجة الوداع أمسك بحلقة باب الكعبة والتفت إلى أصحابه وقال : إن روح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها (يعني ما لم يأكل آخر سهم من رزقه لن يموت) فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب (حتى لا تقعوا في الحرام بسبب الحرص) .

أما لو كان توكل الإنسان على الأسباب فكل ما يصل إلى يده فكأنه لم يحصل على شيء .

وأكرر أيضاً بأنه ليس المقصود أن لا تذهب في طلب الأسباب بل اذهب وأنت ترجو الله لا السبب .

إطاعة أمر الوكيل

فكّروا جيداً في هذا المثال في الجمع بين التوكل والتمسك بالأسباب ، في باب الوكالة : إذا كانت تنتظرك محاكمة صعبة ولم يكن بإمكانك النجاح فيها قلنا إنك لا بدّ وأن تذهب في طلب وكيل ذكي

وعارف وشغوف ، فلا تفعل شيئاً إلا بأمر الوكيل مثلاً : السند الفلاني أو صورة عن الجنسية أو الشهادة وغيرها ، فكل ما يأمرك به فأنت تطيعه ، وليس فقط أن هذا الأمر لا يتنافى مع الوكالة بل هو لازم لأن نفس الوكيل قد قال ذلك ، وهذه الأعمال إنما كانت بأمره لا أنها مخالفة له ، والوكيل يريد أن يصلح له أمره من هذا الطريق والسبب .

فلما اتّضح من خلال هذا المثال أن التمسك بالأسباب التي أمر بها الوكيل لا منافاة لها مع التوكل فنقول : إن الله تعالى يصلح أمر كل شخص أيضاً ولكن عن طريق الأسباب « أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها » .

الله هو المشافي لكنه أمر أيضاً بالذهاب إلى الطبيب وتحصيل الدواء والتساهل في ذلك خطأ أيضاً ، وكذلك تقول في أمر الآخرة أيضاً، « توكلت على الله في الذهاب إلى الجنة » فإن كنت صادقاً فإن وكيلك يقول إن ذهابك إلى الجنة متوقف على عملك ﴿ وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعىٰ ﴾ ولكن لا تجعل اعتمادك على عبادتك بل اجعل توكلك في هذا الأمر أيضاً على الله ، ولا تنظر إلى عملك فتهلك ، ولكن بما أن المولىٰ قد أمر بذلك فنعم .

في دكان خال بأمل الله

ولذلك عندما يخرج الكسبة من البيت يقولون « إلهي منّا الحركة ومنك البركة » وهذه كلمات توحيديّة والتي يكون الشخص معها موحداً بالتكرار والتمرن عليها .

وهناك رواية بأن أحد الأشخاص جاء إلى الإمام الصادق (ع) في

المدينة وشكا له الفقر ، ومضمون الرواية أن الإمام (ع) قال :

ـ عند رجوعك إلى الكوفة اكترِ دكّاناً واجلس فيه .

فقال : مولاي لا مال عندي . فقال (ع) : لا عليك . (عليك أن تطيع ما يقال لك) .

ويفعل كذلك ، فما أن جلس في الدكان حتى جاء إليه شخص ببضاعة وقال : هل تشتري هذا ؟ فقال : لا مال لديّ ، فيجيبه صاحب البضاعة : ادفع ثمنه بعد أن تبيع البضاعة وتأخذ لك حق عملك .

ويأتي إليه آخر ببضاعة جديدة ، ومن جهة أخرى يأتي المشترون أيضاً وبعد فترة يحصل على المال وينجح في عمله .

إن الله يبغض الشاب الفارغ

عندما يسمع البعض بوجوب التوكل على الله يغالطون ويقولون : نعم ينبغي أن يتوكل الإنسان بأن يضع يديه الواحدة على الأخرى ولا يعمل شيئاً ، فهل هذا هو معنى التوكّل ؟ نحن نقول بأن عليه أن يعمل ولكن بأمر الوكيل والمولى لا أن العمل هو الرازق ، أو أن الإدارة هي الرازقة ، فالمسلم الحقيقي هو الذي تكون جميع أعماله امتثالاً وإطاعة لأوامر الله . لأن الله تعالى يكره الشخص العاطل عن العمل ، كما جاء في مضمون الرواية:« إن الله يبغض الشاب الفارغ » فيجب عليه أن يسعى إلى العمل والحصول على السبب .

رزق طلبة العلم من حيث لا يحسبون

ولا يشكل أحد : إذن فلماذا لا يذهب طلبة العلم للتكسب ؟ فإن شغل طلب العلم في هذا الزمان بصورة يتنافى مع سائر أشكال

التكسب ، يعني لا يمكنه أن يشتغل بالمشاغل المختلفة وفي نفس الوقت يكون فقيهاً بالمعنى الكامل ، بل يجب أن يخصص كل وقته في طلب العلم ، ويوصل الله إليه رزقه ﴿ من حيث لا يحتسب ﴾ كما هو مضمون الروايات الواردة: « بأن الله قد جعل رزق كل أحد في أسبابه إلّا طالب العلم » ، لأنه لا سبيل له إلا بأن يجعل شغله مختصاً في الشؤون الدينية .

لا يتأثر من وجود وعدم الأسباب

قلنا إن أحد آثار وعلامات التوكل هو عدم الحرص ، والآخر هو عدم تغيّر حاله في حالة العطاء والمنع ، فتارة يتصوّر الإنسان أنه من أهل التوكل وأن توكله على الله في حين أنه في مقام العمل يتألم عندما يطلب أحد الأسباب ولا يحصل عليها ، فيتّضح أن توكّله كان على ذلك السبب ، لأنه لو كان توكّلك على الله فإن الله لم يرد أن تصل إلى مرادك من هذا السبب ، فإن رأى ما فيه صلاحك فإنه يقضي حاجتك من طريق وسبب آخر . ومن جهة أخرى فلو حصل على ما يريد فإنه يشكر الواسطة أكثر من اللازم بمعنىٰ أنه يحبّه ويشكره ويثني عليه بصورة مستقلة ، وهو شاهد على أن توكّله واعتماده كان على ذلك السبب لا على مسبب الأسباب .

الكلام دليل على ضعف الإيمان

إن أكثر مدح وذم الناس للأسباب دليل على انعدام التوكل ، وهو بدوره دليل على عدم الإيمان والتوحيد أو ضعفهما ، فهذه كلها مرتبطة ، فلو صحّ توحيده فإن توكله يصح أيضاً ، ولو صحّ توكله فإن ذلك يظهر في أعماله وأقواله ومدحه وذمّه ، فإذا وصل إليه خير من سبب معين فمدحه بصورة مستقلة فهو مشرك ، وكذلك لو يئس من هذا السبب وذمه

لأنه لم يتفق مع هواه فيتضح من ذلك أن معبوده هو نفس هذا السبب ، وقد كان أمله منعقداً عليه ، والآن يئس منه فذمه ، وهذه الأمور موجودة بين الناس بشكل اعتيادي .

والشيء الغير موجود هو الأمل بالله ، فلو كان أمله بالله وطلبه عن طريق ذلك السبب ولم يحصل عليه لكان يقول إن الله لم يرد ذلك ،ولو حصل عليه فإنه يرىٰ ذلك من الله أيضاً ويشكره ويثني عليه بصورة مستقلة ، أما الأسباب فلا تقع مورداً للمدح أو الذم بشكل مستقل ، إذن فهذه الأمور ناشئة من عدم التوكل والإيمان والتوحيد أو ضعفها .

تحصيل التوكل واجب

والكلام الآن هو أن تحصيل التوكل واجب ، فإذا لم يهتم الإنسان بذلك فقد ترك واجباً، وكما يجب على الإنسان أن يكون موحداً فكذلك يجب أن يكون متوكلاً . وفي الحقيقة إنه لو كان موحّداً واقعاً فإنه متوكل أيضاً ، فالتوحيد يعني رؤية جميع الأمور من الله ، إذن فلا بد وأن يكون أمله به أيضاً ، وخائف منه أيضاً ، ويكون متوكلاً عليه كذلك .

يقول المحقق الأردبيلي في زبدة البيان بالنسبة إلى خطاب « توكل » والذي هو أمر لمحمد (ص) بالتوكل فيقول : إنه لا يختص بالنبي (ص) وهكذا الآية الشريفة ﴿ . . **فاتخذه وكيلاً** ﴾ . فهي للعموم أيضاً والدليل على ذلك آيات أخرىٰ والتي تخاطب العموم نظير هذه الآية ﴿ . . **وعلى الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

فالمقصود هو عمومية التكليف . ويمكن أن يقال إن هذا القسم من أوامر القرآن هي أوامر أخلاقية ، ولكن إن كان كذلك فإنّ « لا إله إلّا

الله » كذلك أيضاً ، معنى « لا إله إلّا الله » هو أن الرب والمعبود والمدير والمدبر ومن يكون جديراً بالعبادة ، ومن بيده الخلق والأمر هو الله ولا غير ، فهذا هو التوحيد الأفعالي ، فلو أن أحداً لم يقبل به فهل يترك دون حساب ؟ إذن فكذلك الأمر في سائر مبادىء ومباني التوحيد أيضاً .

الاستشارة مع التوكّل على الله

ويقول المحقق الأردبيلي أيضاً في ضمن شرح الآية الشريفة ﴿ **وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾ : بأن كل عمل يقوم به المؤمن يحتاج إلى المشورة ، لكن يجب أن لا يجعل اعتماده على تلك المشورة ، فإن الأصلح والأليق لحاله هو الاعتماد على الله ، لأن الله هو الذي يجري الأصلح والأليق بحاله على لسان مشاوريه .

وإذا انتهى العمل لصالحك بتلك المشورة فلا تقل إن نجاح ذلك العمل كان بإرشاد هؤلاء المشاورين لي ـ بل يجب أن تعلم بأن ذلك كان ببركة الإلهام الإلهي للمشاورين وإن لم يكن كذلك فاعلم أن الله لم يرد ذلك .

والخلاصة أنه لا يكون توكلك على المشورة فقط ، سواءً كانت من رأيك أو رأي الآخرين بل شاورهم وأملك متعلق بالله ، فما صحّ من رأيك أو رأي مشاوريك فلا يكون دون إرادة الله وما هي عليه حقيقة الأمر .

من لا توكل له لا إيمان له

بل ويقول أيضاً : إن كل عديم التوكّل عديم الإيمان أيضاً لأن الله تعالى يقول :

﴿ . . وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ إذن فمع عدم التوكّل لا يوجد إيمان أيضاً ، وهو كذلك في الواقع ، فحقيقة الإيمان تعني أن يعتقد بأن الله هو مسببُ الأسباب لا غير ، فإذا كان كذلك فإن لازمه هو التوكل عليه لا على آخر ، إذن فلو اعتمدت على رأيك أو رأي شخص آخر فقد تركت الله جانباً ، فكيف تكون متوكلاً في حين أنك عديم الإيمان في هذه الحالة .

المغرور يفتضح

كان أحد الأشخاص يقول بأنه أستاذ في كل العلوم ، خصوصاً في علم الطب،فمن جملة كلماته أنه كان يقول : إنني وبسبب اهتمامي بصحتي ومزاجي طبقاً للموازين الطبية فإني سوف أبقى سالماً لأربعين سنة أخرى ، وكانت سنّه في ذلك الوقت ستين سنة .

وفي الغد وبينما كان يأكل الخيار مع اللبن (وكان هذا المؤمن عديم الأسنان بالطبع) أصابه وجع في بطنه وبدل أن يفهم أنه من البرودة تصور أنه بما أن اللبن له خاصية مضادة للصفراء ، وأن الصفراء فيه غالبة وكان اللبن ضعيفاً في دفعها فلذلك أمسك بقنينة ماء الليمون الحامض وشربها لكي يتعادل مزاجه حسب تصوّره ، ويكفي أن تعلموا أنهم أخرجوا جنازته عصر ذلك اليوم نفسه .

إذن ، لا تعتمد على فهمك

إن كل من اعتمد على فهمه فذلك يعني أنه لا مدبر ولا قدرة فوقه ولا إرادة فوق أرادته ، فكل من كان على هذه الشاكلة فإنه لا إيمان له في تلك الحالة ، بل ينبغي عليك أن تتوكل على الله في كل عزم وتصميم

تتخذه سواءً كان برأيك أو بمشورة الآخرين ، بمعنى أن لاتنظر إلى السبب بشكل مستقل فهو معلق على إرادة الله وما يعلمه من صلاحك في ذلـك الأمر . .

وعلى كل حال فإذا انعـدم التوكـل انعدم الإيمـان أيضاً ، والتـوكل يطلق على الاعتماد على الغير ، فالذي يتوكل على الله يعني أنـه قد فهم عجزه وعجز الآخرين وجميع الأسباب وفوّض أمره إلى الله ، ولو لم يكن متوكلاً فذلك يعني أنه تصور القدرة في الجميع مـا عدا الله ـ أعـاذنا الله وإيّاكم .



بسم الله الرحمن الرحيم

٢٠ - ﴿ إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾

(سورة النمل : الآية : ٩٩)

الأمـر بيـد الله

﴿ . . وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على الله ﴾ .

(السورة : ٣ الآية : ١٥٩)

كنا نتكلم حول التوكل وكلام المحقق الأردبيلي في وجوب التوكل ، وقلنا بأن المحقق يقول في الآية الشريفة **﴿ . . وشـاورهم في الأمر فـإذا عزمت فتوكّل على الله ﴾** بوجوب التوكل على الله عندما تعزم على شيء ، سواء كان من رأيك أو من رأي الآخرين ، فهو الذي يعين لك كـل ما يكـون في صلاحـك . فـلا ينبغي لـك أن تـرىٰ الصـلاح في رأيـك أو مشاوريك ، بل يجب عليك لأجل التوصل إلى الأصلح والأليق أن تجعل أملك بالله ليعينّ ما يريد وما يشاء .

الأسباب مخلوقات مثلكم

ويقول : يجب عليك أن تتوكل على الله في جميع الأعمال التي تريد القيام بها من تحصيل الخير أو دفع الشر ، أما لو كان توكّلك على مساعدة ورأي شخص آخر فهو أيضاً مخلوق وعاجز مثلك ﴿ **إنّ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم** . . ﴾ ولكن يجب أن يكون اطمئنان القلب بالله لا بـالآخرين وإلّا فـإن كل شخص مخلوق ومحـاط ومحـدود وليس لـه علم بالواقـع ، فلا تعتمـد على شخص أبـداً . ولا نقول لا تشـاور أحداً ولا تعمل ما يكون صلاحاً في نظرك أو نظر الآخرين بل نقول لا تعتمد على تفكيرك أو تفكير الآخرين وليكن أملك بالله ، واطلب من الله أن يجري صلاحك على لسانهم فيقولون لك ذلك ، ولهـذا قالـوا : « ما حـار من استخار » لأنه يطلب الخير من الله دائماً « اللهم خر لي في أمرك » .

استخارة الإمام السجاد (ع) والتوكل

وقد ورد في أحوال الإمام السجاد (ع) أنه كلما أراد القيام بعمل مهم من شراء بيت أو زواج أو سفر فإنه يقرأ « أستخير الله برحمته في عـافية » مئتي مرة كما سبقت الإشارة إليه ثم يفعل ما يكـون في نظره المبـارك مع التوكل والاعتماد على الله .

ويقول المحقق : إن الواجب على جميع المسلمين من التوكل على الله وتفويض الأمر إلى الله ليكون ما يريد ويعطي ، فمثلاً عندما يبذر الفلاح البذور يكون ذلك برجاء إلى الله وعطائه ، ويجب عليه أن يعتقد أنه لو قام بعمل ونجح فيه فليعلم أن الله أراد ذلك ولست أنت بلسانك أو بقلمك أو نفوذك وإلا فإنه شرك .

يجب أن تعتقد بأنك لا شيء وإنما أنت مجرّد آلة ومحل ووسيلة فقط ، فأنت تعمل ولكن النتيجة ليست بيدك ، وعملك هو الذهاب إلى الدكان والتعامل مع الأسباب ، أما الرزق وزيادته ونقصانه فلا يكون بيدك وباختيارك.ويجب على كل شخص مهما كان عمله أن يعتقد بذلك ، بمعنىٰ أن يعلم بأن التوفيق في العمل ونتيجته من الله لا غير .

جعل النفس كالمعدوم

أما معنى التوكل الوارد عن العظماء فهو كما قال الطبرسي أيضاً في تفسير مجمع البيان : إنه يفوّض أمره إلى الله بأن يجعل نفسه كالمعدوم ، فمثله مثل الزارع كيف يترك الزرع بعد بذره وسقيه ويرى أن جميع الأعمال ونتائجها بيد الله ﴿ **إن الله هو الرّزّاق** . . ﴾ فيجب على الجميع أن يكونوا مع الله كذلك في جميع الأمور .

الأمر بيد الله

فكما أن الزارع يجب أن يعلم بأن حصاد الزرع ليس هو نتيجة عمله فقط ، فكم من المزارع التي لم تنتج شيئاً أو أصابتها الآفات الزراعية ، فكذلك يجب على التاجر أن يعلم بأن هذا الربح ليس هو نتيجة تجارته أو رأس ماله ولكن الله هو الذي جعل النمو في البذرة والربح في رأس مال التاجر ، فأنت وما تملك ملك لله ، فكل شيء من الله وهو المدير والمدبّر والمعطي والمانع ، ولولا مشيئة الله لم يبق شيء للزارع والتاجر سوى المشقّة والتعب ، إذن فيجب أن يتوكل الإنسان على الله وإلا فلا يستفيد إلا التعب وضياع العمر .

دفع الخطر بالتوكّل على الله أيضاً

والنجاة من الخطر منه أيضاً . بمعنىٰ أنه يجب عليه الاستعداد و تهيئة السلاح في مقابل العدو ، ثم يدافع بالاتكال على الله عن ماله أو عرضه ، وأهم من ذلك كله عن دينه إذا وقع في خطر .

إذن فالتوكل لا يعني أن لا يحرّك ساكناً في مقابل تحصيل النفع أو دفع الضرر،وقد ذكرت هذا الأمر مراراً كي لا يشتبه الأمر على بعض الأذهان فعندما يقول الوكيل بنفسه بأني أدبّر لك أمورك بواسطة الأسباب فيجب عليك أن تسعىٰ للحصول علىٰ الأسباب والوسائل ، وتهيىء السلاح في مقابل العدو ، ولا تتخيل أن نفس امتلاكك للسلاح هو كل شيء ، بل يجب أن يكون أملك بالله .

عقارب سامرّاء والتوكّل الأحمق

قبل عدة سنوات امتلأت سامرّاء بالعقارب ، بمعنى أن العقارب أخذت تظهر في كل مكان ، فهرب طلاب المدرسة الدينية في سامراء . إلّا أنّ أحد الطلبة استخار على البقاء فخرجت الخيرة بحسن البقاء ، فبقي في غرفته ونام هناك فلدغه العقرب ومات .

من الحماقة أن تلقي بنفسك بين يدي العدو وتتوكل على الله بل يجب الهرب من العدو متوكّلاً على الله لا أن تجلس قابعاً في مكانك وترجو الله .

وكما أن التوكل واجب فتحصيل المعاش واجب أيضاً ، وإلقاء النفس بالتهلكة حرام ، فإن الله سبحانه وتعالى قد أجرى الأمور بأسبابها ،

بالرغم من أنه قد يبطل تأثير الأسباب في بعض الأحيان ، وقد يجعل أمراً من دون سبب ليفهم الجميع عجزهم وقصورهم .

الإمام الصادق (ع) يطرد الأسد

بينما كان الإمام الصادق (ع) مسافراً مع إحدى قوافل الحج وقد خرجوا من الكوفة إذ خرج إليهم سبع قاطعاً عليهم الطريق ، فلم يجرؤ أحد على التقدم .

فتقدّم الإمام (ع) لوحده وأشار إلى السبع فابتعد عن القافلة . فقال الإمام (ع) لولا الذنوب لكنتم كذلك ، (يعني أن الوحوش تكون مطيعة لكم) .

ويقول المحقق الأردبيلي : إن الإمام (ع) قد ألهم في هذا المورد أن الله تعالى سوف ينقذهم مباشرة ومن دون واسطة ، وعلم أن هذا المورد من الموارد الاستثنائية ، فلذلك لا ينبغي أن تؤخذ هذه القضية على أنها كليّة وتقاس على موارد أخرىٰ .

المعاني الأخرى للتوكل

قلنا إن التوكل الواجب هو عبارة عن التمسك بالأسباب مع الاعتماد على الله ـ ويمكن أن يطرأ إشكال في الذهن وهو أن الموجود في كتب الأصحاب هو أن التوكل معنىٰ آخر غير الثقة والاعتماد على الله من قبيل « عدم الخوف من غير الله » فهل أن التوكل الواجب هو أن لا يخاف من العدو والذئب ، وكذلك عدم الخوف من الفقر والمرض أيضاً ؟

وورد في رواية أخرى أن معنى التوكل هـو : « أن يعلم بأن النـافع والضار هو الله فقط » .

وفي رواية أخرى أن معنى التوكل هو أن لا يرجو أحداً سوى الله ولا يسأل أحداً سوى الله .

فماذا يكون معنى التوكل في هذه الصورة ؟

ينبغي عدم رؤيته مستقلاً

يقول المحقق الأردبيلي : إنه ينبغي تأويل هذه الروايات بـأن يكون المعنى أن لا يطلب شيئاً من أحد بصورة مستقلة ، فلو أراد خبزاً فعليه أن لا يتصور أن الخباز أو المال هو الرازق ، فهذا النوع من الطلب المستقل يجب أن يكون من الله لا من المخلوق ، وإلا فإنه سيكون شركاً .

وقـد أشيع في هـذه الأيام أن بعض الأشخـاص يروّجـون المـذهب الوهّابي ، فمن جملة ما يقولون هو أن قـول : يا محمـد ويا عـلي شرك ، ودليلهم هو هذه الآية الشريفة : ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله عبـادٌ أمثالكم** . . ﴾ و﴿ . . **فلا تدع مع الله أحداً** ﴾ .

ويتضح أن القائلين لهذا الكلام هم من الأمّيّين والعميان الحقيقيين الذين لم يفهموا لحدّ الآن معنى « الدعاء » .

لا تدع غير الله بصورة مستقلة

الدعاء يعني الطلب والإرادة ، وليس مطلق الإرادة مـورداً للنهي ، بل إن الطلب المستقل من الله لا ينبغي أن يكون بنفسه من العبد أيضاً ، فالمهم في الموضوع هو الاستقلال الذي لو طلب من غير الله بتلك الصورة

لكان شركاً ، بمعنى أن تطلب الشفاء من الله فإن كنت ترجو ذلك من الدواء والطبيب بتلك الصورة فإنه سيكون شركاً ، أما لو كان الاعتماد على الله تعالى وكنت ترجو من الطبيب تشخيص المرض ووصف الدواء فأي مانع لذلك ؟

وهكذا الأمر بالنسبة للتوسّل بأهل البيت (ع) ، نعم لو أن أحداً طلب من أبي الفضل العبّاس مثلاً مثلما يطلب من الله مستقلاً لكان ذلك شركاً ، ولكن من الذي يفعل ذلك ؟ وهذا النوع من الطلب إنما هو صرف التوسط والاستشفاع إلى ساحة الحق تعالى ، يعني أنه لا يرى غير الله معطياً بالاستقلال ، بل إن الجميع مسخرون لإرادته ، فاعتماده وتوكّله على الله فقط . ثم إن هذا القائل بأنه لماذا تقولون يا محمد ويا علي ألا يدعو بنفسه غير الله عدة مرات في الليل والنهار ؟!

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

٢١ - ﴿ إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون ﴾

(سورة النحل الآية : ٩٩)

التوكّل والتوحيـد

التوكّل ملازم للتوحيد

وتكفي في أهمية التوكّل أنه من اللوازم القطعيّة للتوحيد ، وأول مـا دعا إليه الأنبياء هو التوحيد ، والقرآن يدعو إلى التـوحيد من أوّلـه إلى آخره . والعلم الذي يجب تحصيله على الجميع هو علم التوحيد : « أوّل العلم معرفة الجبار وآخر العلم تفويض الأمر إليه » .

فيجب على من يريد أن يكون عـالماً حقيقيـاً أن يصحّح تـوحيده ، ويكمله لا أن يقـول ألسنا جميعـاً مسلمين ومـوحدّين ؟ لأنّ الميـزان هـو الاعتقاد القلبيّ بحيث يفهم ماذا تعني كلمة « لا إله إلا الله » وأن يعتقد بالتوحيد الأفعالي بـأن كل مـا يقع ويحـدث في عالم الـوجود هـو من الله

تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله . . ﴾ فيجب أن يكون اعتقاده القلبي كذلك واقعاً وليس باللسان فقط .

اللفظ يختلف عن الحقيقة

نحن نصلّي خمس مرات في كل صباح ومساء ، ونتلفّظ بكلمة رب العالمين عشر مرات على الأقل ولكن هذا التلفّظ لا يكون إيماناً بربوبية ربّ العالمين ، فهو أمر قلبي بأن يعتقد المسلم واقعاً بأن الخالق له ولجميع الكائنات واحد ، فعلىٰ هذا لا تكون الألفاظ مقصودة بالذات ، لأن صلاحية لفظ المسلم هو أن يحكم بطهارة بدنه وتجري عليه أحكام الإسلام ، أما بالنسبة إلى الحقيقة فإن الشخص لا يكون مسلماً واقعاً إلّا بعد أن يصدّق ويتيقّن بربّ العالمين وبأن المدبّر لجميع الكائنات من الدودة وحتىٰ الفيل وغير ها من الإنسان والجن والملائكة هو واحد ، فاليد المربّية لجميع ذرّات الوجود واحدة منذ بداية خلقها وحتىٰ إيصالها إلى الكمال،فكما أنه ربّي فهو ربّ الجميع أيضاً ، وهو الواهب والرازق لجميع الموجودات ، فما لم يحدث هذا المعنى في القلب فإن إيمانه وإسلامه ليس حقيقياً ، ولا نقصد أن يصل إلى مرحلة الشهود ، ولكن لا أقل من الاعتقاد القلبيّ من جهة الاعتقاد بالقرآن .

تفويض الأمور إلى مالكها

هل أنّ القرآن كلام الله ، أو لا ؟

فإن كان كذلك فأكثر ما يتحدث القرآن هو عن التوحيد وأن الألوهيّة والربوبية والمالكية والمدبريّة و . . . هي لله ، فتدبير الأمور كلها الجزئية والكلّية بيد الله ، وجميع ذرات الوجود هي ملك لله مطلقاً ، فيجب أن

يعتقد بذلك ، فإذا علم بأن المالك هو الله فإنه سوف يحول الأمور إلى مالكها .

يقول أحد العلماء : « التوكّل كِلَةُ الأمر كلّه إلى مالكه » ويعني أن يفوّض الإنسان جميع أموره الجزئية والكلّية إلى مالكها ، فإن كنت تؤمن بأنك عبد مملوك فلا ينبغي أن تجعل لنفسك كياناً في مقابله ، بأنّي أريد الشيء الفلاني أو لا أريد ، بل تقبل كل ما يعطي وكل ما يفعل وكل ما يريد .

وطبعاً فإن ذلك لا يتنافى مع التمسك بالأسباب كما ذكرنا ذلك كراراً ﴿ وأن ليس للإنسان إلّا ما سعىٰ ﴾ لا أن يكون توكّله على هذه الأسباب بل من جهة أن المالك والوكيل لي قال بأنّي أرزقك دائماً ولكن عن طريق هذه الأسباب ، فليست هذه الأسباب بالأمر المهم .

التدبّر في آيات التوحيد

اهتمّوا بأمر التوحيد أكثر من أي شيء آخر ، تدبّروا كثيراً في آيات التوحيد في القرآن الكريم حتى تدركوا عدم استقلالية الأسباب أكثر خصوصاً في الأسباب التي تسقط عن سببيّتها أي أن الغرض المرجوّ منها لا يكون عملياً حيث يتضح أن هناك قدرة أعلى من ذلك .

ولعلكم سمعتم بقصة أفلاطون عندما ابتلي بمرض الإسهال ولم تنفع معه جميع الأدوية ، فلامه تلامذته بأنك أستاذ في الطب بل متخصص في مثل هذه الأمراض فكيف لا تستطيع معالجة نفسك ؟ فأمر بأن يأتوا له بالمسحوق الذي صنعه بنفسه وألقاه في سائل ومزجِه ثم قال لتلامذته بأني

أكلت من هذا المسحوق ولكنه لم يكن ليؤثر شيئاً ما دام القضاء الإلهي موجوداً .

قصّة من صدر الحكماء

فتارة يرى الإنسان أنّ أمراً قد حدث من دون توسّط شيء ، أو أنه حصل من شيء لا يصلح أن يكون سبباً .

وأتذكّر ما حدّثني به المرحوم صدر الحكماء قبل ثلاثين سنة ونيف ، وكان طبيباً متديّناً وشريفاً فكان يقول بأني عندما كنت شاباً كنت أقوم بمعالجة الناس في مدينة جهرم،وفي أحد الأيام جاؤوا بمريض من إحدىٰ القرى وهم يحملونه معهم ، فرأيت أنّه مصاب بأمراض عديدة في الكلية والكبد والقلب ، والخلاصة أنه لم يكن قابلاً للعلاج وموته حتمي ، فقلت لهم : أنا لا أصف له دواءً ، فالتنس إليّ أصحابه وأخذوا يطعنون في طبابتي وقالوا : لقد اتّضح بأنك لا تفهم شيئاً من علم الطب ، فتأثرت لذلك وقلت مستهزئاً بهم اذهبوا وأطعموه تبناً (طعام الحيوان) . وقد قلت ذلك ردّاً على إهانتهم لي .

وبعد مدة جاءني في أحد الأيام نفس ذلك المريض مع رفقائه ، وجاؤوا معهم بخروف مع مقادير كبيرة من السمن والصوف واللبن وقالوا : لقد عوفي بسبب ذلك التبن فلماذا لم تصف لنا ذلك الدواء منذ البداية ؟

أجل ، فتارة نجد أنه يبطل السبب عن التأثير ، وأخرى يجعل التأثير في شيء لا يصلح للسببية . فمسبّب الأسباب يعني أنه خالق للسبب ، فهو يجعل القدرة على التأثير في الشيء الفاقد لها ، فيجب أن يعلم

الإنسان عند تمسكه في جلب النفع ودفع الضرر وبقيّة الأمور بأي سبب كان بأنّ ذلـك السبب ليس شيئاً يـذكر ، وأن الفـاعل الحقيقي هـو الله فقط ، فإن تعلقت مشيئته بـذلك فسيكون السبب مؤثراً .

حتىٰ أنه تعالى خاطب موسى (ع) بأن اطلب منّي كل شيء حتى ملح طعامك أيضـاً . وهذا لا يعني أن يجلس في مكـانه ويقـول : إلهي ضع ملحاً في حسائي بل يجب أن تسعىٰ في طلب الملح بالتوكّل على الله ، فلو أن الدنيا كانت مليئة بالملح ولم تتحقق مشيئة الله فإنه لن يصـل إلى يدك مطلقاً .

الفقيه هو البصير في العقائد والأحكام

فما لم يصل التوحيد إلى درجة اليقين فلا يمكن أن يصير الإنسان عالماً وفقيهاً بمعنى أن يكون بصيراً في الدين ، والعلوم الاكتسابية هي مقـدمة لنـور اليقين ، فيجب أن يكتمـل اعتقاده جيّـداً لكي يتسنىٰ له أن يفهم الأحكام الشرعيّة ، إلا أن أكثر الناس في شرك حيث يعتقدون باستقلالية الأسباب في التأثير .

أينما تنظرون تشاهدوا عبـادة المادة والتعلّق بـالأسباب ، حبّ المـال وعشق الجاه والمقام ، وتارة يكون معبـوده نفس المحراب والمنبـر ، فكل شخص من الأشخاص يرى استقلالية السبب في التأثيرَ فهو شرك .

علم التوحيد من طريق التقوىٰ

يجب أن نصل إلى درجة يكون توحيدنا فيها يقينيّاً ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله** ﴾ والـطريق إلى ذلك هـو التقـوى « ﴿ .. **واتّقـوا الله ويعلّمكم الله** .. ﴾ فعندما يصبح إيمانكم قوياً فإن الله سوف يرزقكم العلم بحيث

تكونوا على يقين من لا إلـه إلا الله ولا حول ولا قـوة إلا بالله . فيصلح دنياكم بذلك ، وأيضاً فعندما تذهبون من هذه الدنيا تأخذون معكم نور العلم والإيمان واليقين ، فدرجات الآخرة تتعلق بهذا النور ، وأيضاً فإن الأعمـال مؤثـرة طبعـاً ، ولكن إذا أردت أن تكـون من المقــربـين وهم السابقون فيستحيل ذلك ما لم تدخل عالم اليقين .

علائم الإيمان الحقيقي

وعن الإمـام الباقـر (ع) أنه قـال : بينا رسـول الله (ص) في بعض أسفاره إذ لقيه ركب ، فقالوا : السلام عليك يا رسول الله (ص) .

فقال : ما أنتم ، فقالوا : نحن مؤمنون يا رسـول الله ، قال : فـما حقيقة إيمانكم ، قالوا : الـرضا بقضـاء الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمره . فقال رسول الله (ص) علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء ، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا مالا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون واتّقوا الله االذي إليه ترجعون[١] .

يعني أنتم العلماء وأنتم الحكماء ، تلك الحكمة الذي من أوتيها فقد أوتي خيراً عظيـماً ، فأنتم الـذين أحطتم بـأسرار عـالم الوجـود ووجدتم الطريق إلى الغيب وتجاوزتم المادّيات ، وأنتم الذين اقترب مقـامكم من مقام النبوّة ، بينما يعيش جميع الناس في عالم المحسوسات .

إذن فيجب أن نسعىٰ لنكون علماء ، أي نصل إلى درجة نكون فيها مؤمنين وموقنين ومسلّمين ومفوّضين إن شـاء الله ، ويكون « آخـر العلم تفويض الأمر إليه » من نصيبنا ، يعني أن نكون قد توكّلنا وفوّضنا أمرنا .

(١) أصول الكافي ـ باب حقيقة الإيمان واليقين .

إذن ، فلا معنى للحرص

فأنتم الذين تقولون نحن رضينا بقضاء الله وتوكلنا وسلمنا أمرنا إليه ، فإن كنتم صادقين في ذلك فلا تحرصوا ، ما معنى أن تطلب بيتاً بعد آخر ودكاناً بعد آخر ، ألا يعني أنك تخاف النقصان وتحتاط للمستقبل ؟ فإن كنت متوكّلاً على الله فلماذا تخاف من الفقر في المستقبل ؟ فهذه شواهد على أنّ هذا الادّعاء كذب ، فالشخص الذي لا قناعة له والحريص دائماً لا يرى المسبِّب ويتصور أن السبب هو المؤثر والفاعل ، وإلاّ فلماذا الحرص والطمع ؟ لماذا تبني بيتاً لا تسكن فيه وتجمع ما لا تأكل ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر . .** ﴾ .

إحدى النساء كانت تقول : بأني جمعت بعض المال لكفني وقبري ، فقلت:إنك تقولين ذلك لأنك لا ترغبين في إنفاقه ، وإلا فمن بقي دون كفن ؟ وهكذا تتصور أن المال هو قاضي الحاجات ، وقد رتبت مكانك واعتنيت به فأنت لا تنوي الموت .

الرجوع إلى الله

والعلامة الأخرى حين قوله :﴿ . . **وله الحكم وإليه ترجعون** ﴾ فأنت الذي تعتقد بأن رجوعنا إلى الله ﴿ **إنّا لله وإنّا إليه راجعون** ﴾ . فكم يجب عليك أن تحذر من ارتكاب ما لا يليق ، فما أقبح رجاء غير الله ، فالإنسان يرجع في النهاية إلىٰ من كان يرجو ، فكم رجونا غيره طيلة عمرنا !

الإمام الحسن (ع) كان يبكي عندما يذكر الموت والقبر والبعث ، ولكنه كان يغشى عليه عندما يذكر العرض على الله والوقوف بين يديه ،

لماذا ؟ لأنه على يقين ، حيث يستولي عليه الخوف عندما يتذكـر الحضور والوقوف بين يدي الله .

حبيب بن مظاهر فقيهاً

العلماء والحكماء هم آل محمد (ص) ، وكل من حصل على المعرفـة والعلم فهو من نورهم ، وقصدي أن لا تستصغروا هذا الأمر ، فمعرفة هذه الحقائق واجبة ، يجب أن نكون من العلماء في نظر آل محمد (ص) لا في نظر الناس .

الإمام الحسين (ع) أرسل في طريق كربلاء رسولاً إلى الكوفة وأرسل معه كتاباً إلى حبيب بن مظاهر ومطلعه : أيها الرجل الفقيه ، وواقعاً كان حبيب فقيهاً وعارفاً بالله وبالإمام ، وبصيراً بالمبدأ والمعاد وعالماً بـالحلال والحرام ، فأساس الفقه عبارة عن التوحيـد وبقية المعـارف ، فلا تضلّوا الـطريق ولا يهلككم الغـرور ، احـذروا أن يصيبكم الجهـل المـركّب فتتصوروا أنكم علماء أيضاً .



بسم الله الرحمن الرحيم

٢٢ - ﴿ إنّه ليس له سلطان علىٰ الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون ﴾

(سورة النحل : الآية : ٩٩)

حَد اليقين هو التوكّل

التوكل من لوازم الإيمان

التوكل من لوازم وشرائط الإيمان بدلالة الآيات الواردة وشهادة العقل والوجدان ، فالقرآن الكريم يصرّح :
﴿ . . وعلى الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ .

والشيء الآخر هو أنه كلما ورد الأمر بالإيمان ورد معه أمر بالتوكل ، « آمنوا بالله » وهذا الأمر لا يعني أن تنوي في قلبك بأن لك ربّاً ، بل يجب أن تؤمن يقيناً بأنّ لهذا العالم ربّاً وخالقاً وأنه عالم وقادر.وآمنوا بالله:يعني أن تعتمد عليه من جهة ألوهيته بأن لا ترى الأسباب الأخرى مستقلة وأن يكون خوفك منه ورجاؤك إليه ، إذن فالشخص الذي يرى الأسباب

مستقلة في التأثير يكون ذلك دليلاً على عدم إيمانه بالله ، فالذي يرى المال والطبيب والدواء والمنصب و . . أنها مؤثرة بشكل مستقل فهو كافر بالله في هذه الصورة .

تأثير الأسباب يكون بمشيئة الله

الكفر في اللغة من الستر ، وهو ستر الحقيقة ، فعندما يرى السبب مؤثراً يعمىٰ عن رؤية المسبب ، فهو يؤمن بأن الطبيب الحاذق هو الذي بإمكانه تشخيص المرض ، فهو الآن مؤمن بالطبيب ، ولا علاقة له بربّ الطبيب الذي يكون تشخيصه للمرض وعدم اشتباهه أيضاً متعلقاً بمشيئته .

أمّا المؤمن بالله فهو عارف بهذه الأمور ومعتقد بالله فبالرغم من أنه يستعمل هذه الأسباب إلّا أن اعتماده على المسبّب ، إذن فكل من يرى الأسباب مستقلة في التأثير فهو كافر ، ومقصودي هو الكفر الحقيقي طبعاً ، لا ذلك الكفر الذي يقابل الإسلام والذي يكون فيه الشخص مسلماً بإظهار الشهادتين وتجري عليه أحكام الإسلام ، فالمقصود هو أنه فاقد لذلك الإيمان الذي يوصله إلى النجاة والسعادة ، فهو لحدّ الآن تائه وضالّ لأنه لم يفكر جيداً حتىٰ يفهم بأن هذه الأسباب مسخّرة من الأعلى وغير مستقلة .

تدبّروا أكثر في قصص القرآن

الحوادث التي يذكرها القَرآن هي من أجل العبرة ، تأمّلوا جيداً في انشقاق البحر لموسىٰ وبني إسرائيل ، فالماء يقتضي السيولة بطبعه ، ولكنه يخرج عن طبعه الذاتي فجأة ويظهر فيه اثنا عشر طريقاً والمياه متراكمة فوق

بعضها ، ويجف قعر البحر إلى درجة أن الغبار يتصاعد منه بسبب مرور العربات فوقه .

وإذا أراد الله تعالى أن يرفع العطش فإنه يستطيع ذلك حتىٰ مع عدم الماء ، وأما إذا لم يرد ذلك فسوف لا ينفع شرب الماء الكثير أيضاً ، كما يلاحظ ذلك في الشخص المبتلىٰ بمرض الاستسقاء .

عبد الملك ومرض الاستسقاء

ذكروا أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ابتلي بمرض الاستسقاء فقال طبيبه الخاص : إن علاجك الوحيد هو أن لا تذوق الماء أبداً لمدة يوم أو يومين وإلا فإنه يقتلك لا محالة .

واستولىٰ عليه العطش فأمر أن يسقوه الماء وقال : « اسقوني ريّاً وإن كان فيه حياتي » وأخيراً شرب الماء بالرغم من علمه بأنه سوف يموت ومات بالفعل .

أجل ، فالماء هو سبب في إدامة الحياة ، ولكن إذا لم يرد الله فإنّه لا تنعدم فيه سببية الحياة فحسب بل ويكون قاتلاً أيضاً .

وذكروا عن معاوية أنه ابتلي بداء الجوع بعد أن لعنه رسول الله (ص) ، فكان لا يشبع مهما أكل من الطعام .

أصحاب الفيل وبداية التاريخ

ويخبرنا القرآن الكريم في سورة الفيل عن هذه الحادثة العجيبة : وهي قصة أبرهة الذي كان قادماً على الفيل لهدم الكعبة ، حيث ظهرت طيور السنونو في السماء تحمل كل واحدة منها ثلاثة أحجار صغيرة في فمها

ورجليها ، وجاءت حتى ألقت بها فوق رؤوسهم ، فكان كل حجر يصل إلى أحدهم يخرقه من رأسه حتى يخرج من بطن الفيل فيقتل الفيل وصاحب الفيل معاً .

نعم ، فإنّ الله تعالى إذا أراد أن يخرق ويهلك إنه يستطيع ذلك حتى بالحجر الصغير أيضاً .

وهذه الحادثة كانت مهمة إلى درجة أنها كانت مبدأ للتاريخ في جزيرة العرب ، فكانوا يقولون إن ولادة خاتم الأنبياء (ص) في سنة عام الفيل ، وولادة أمير المؤمنين (ع) في السنة الثلاثين من عام الفيل ، وإن بعثة الرسول الأكرم (ص) في السنة الأربعين من عام الفيل ، وبقي ذلك تاريخاً للعرب إلى أن جعلوا التاريخ الهجري للمسلمين .

أو قصة عدم تأثير السكين في رقبة إسماعيل (ع) فكما تعلمون أن إبراهيم (ع) كان يسحب سكينه الحادة بقوة على رقبة ابنه سبعين مرة إلا أنها لا تذبح .

فيجب أن يتيقّن الإنسان بأن قدرة الله وإرادته هي المؤثّرة ليكون مؤمناً.ثم إنّ من اللوازم القطعية لذلك هو التوكل .

حدّ اليقين هو التوكل

ولذلك روي أنهم سألوا أمير المؤمنين (ع) : « ما حدّ الإيمان ؟ قال : اليقين . قالوا وما حدّ اليقين ؟ قال (ع) : التوكّل على الله » .

وهذه هي نتيجة فهم السبب والمسبّب ، فإذا تيقن الإنسان أن سببيّة الأسباب منه تعالى فإن من آثار هذا اليقين هو التوكل بمعنى أن يكون

اطمئنانه وتوكّله واعتماده على ذلك المسبّب وتفويض أمره إليه لا إلى السبب ، فعندما ينقطع من التعلق بالأسباب فسوف لا يهتم بها بعد ذلك ، ويكون وجود السبب وعدم وجوده عنده سيان .

ازدياد الثقة بالله

روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال :

« لا يصدق إيمان عبد حتىٰ يكون بما في يدي الله أوثق ممّا في يده».

بمعنى أنه في وقت يكون صادقاً عندما يكون أمله بالله وبإرادته أكثر من أمله بنفسه وبالأسباب،فلو حدث له حادث فبأي شيء يكون تعلقه واطمئنانه ؟ هل يكون بماله الموجود في المصرف أو بمنصبه أو بأقربائه أكثر أو بالله وإرادة الله ؟ فإيمانه مرتبط بما اطمأنّ قلبه إليه ، أو في صورة المرض مثلاً ، هل يكون رجاؤه الطبيب أو الله ؟ فإن كان كل همّه وتوجّهه إلى الأسباب فأين الله وتدبيره ؟

ألم يحن الوقت الذي نتمسك فيه بالله لا بالأسباب ، ونعتبر مما حصل لنا أو للآخرين من بطلان الأسباب وعدم تأثيرها .

الباشق وخدمته للأسير

ويذكر السيد الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية : بأن سبب تنبّه أحد الحكّام هو أنه خرج يوماً من قصره لطلب الصيد ، وقد هيأ الخدم ووسائل السفر ، حتى انتصف النهار ووصلوا إلى سفح جبل فجلسوا لطعام الغداء فأحضروا للحاكم طيراً مشوياً ، فلما أراد أن يأكل منه إذا بباشق يهبط عليه من الجو ويلتقطه ويطير به ، فغضب الحاكم وأمر أن يركب الجميع ويتبعوا هذا الطائر ، فركبوا وأخذوا يتبعون الباشق حتى

رأوه يجتاز أحد الجبال ، فنزلوا عن خيولهم وصعدوا إلى أعلى الجبل ونزلوا من الجهة الأخرى فرأوا رجلاً مقيّد اليدين والرجلين وهو ممدد على الأرض بينما كان الباشق يقطع اللحم بمنقاره ويضعه في فمه ، ثم طار ورجع بعد أن ملأ منقاره بالماء وأخذ يسقيه منه .

اقتربوا منه وسألوه عن حاله فقال : أنا أحد التجار حيث كنت ذاهباً في تجارة فاعترضني قطاع الطرق في هذه المنطقة وأخذوا أموالي وأرادوا قتلي أيضاً ، فتوسّلت إليهم أن لا يقتلوني ، فقالوا : نخشىٰ أن تذهب وتخبر أهل المدينة عنّا ، فكان أن أوثقوني في هذا المكان وانصرفوا ، وفي اليوم التالي جاء هذا الطائر ومعه خبز فأطعمني ، واليوم جاءني بهذا الطير المشويّ ، وهكذا كان يطعمني في اليوم مرتين .

فذكروا أن الحاكم تغيّر في نفس ذلك المكان وأخذ يقول : الويل لنا لغفلتنا عن هذا الربّ الذي يدير أمور عباده بهذا الشكل ، ثم إنه ترك كرسي الحكم وأصبح من عبّاد ذلك الزمان .

فالغرض هو العبرة ، والعبر كثيرة ، إلا أن من يعتبر بها قليل ، كما قال أمير المؤمنين (ع) : « ما أكثر العبر وأقل الاعتبار » .

أكثر المسلمين مشركون

يقول الإمام الصادق في تفسير هذه الآية الشريفة : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون** ﴾[1] في جواب من سأله كيف يكون الرجل مؤمناً ويشرك بعد ذلك ؟

---

(١) سورة يوسف الآية : ١٠٦ .

فقال (ع) : هو الرجل يقول : لولا فلان لهلكت ولولا فلان لأصبت كذا وكذا ، ولولا فلان لضاع عيالي ، ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه ، قيل : فيقول لولا أن منّ الله عليّ بفلان لهلكت ؟ قال (ع) : نعم لا بأس بهذا[1] .

وعلى كل حال فالتوكّل لا يعني رفع اليد عن الأسباب بل هو أمر قلبي مرتبط بالعلم وبأن تأثير السبب من الله تعالى ﴿ . . الذي بيده ملكوت كلّ شيء ﴾ من دون استثنا، فجميع الموجودات والكائنات من الذرّة إلى الجبل ، ومن الدودة إلى الفيل والأرض والسماء والمجرّات كلها ، وكلها بيد الله .

بشرط أن لا يفشل في مقام العمل

يجب آن يكون مؤمناً بذلك فإن كان كذلك فينبغي أن لا يفشل في التطبيق ، فإن كان لديه هذا اليقين فلماذا يعترض على القضاء والقدر ؟ فالتساؤل والإعتراض ـ في صورة ما أذا حصل أمر على خلاف رغبته ، أو لم يتحقق ما كان يريده ويبتغيه ـ هو دليل على كذب ذلك الادّعاء .

فالغرض هو أن الإنسان تارة يتصور أنه مؤمن ، وأنه متوكل ، وقد وصل إلى مقام الرضا والتسليم ، إلاّ أن حقيقته تظهر بامتحان واحد ، وقد تشتبه عليه الأفعال الإنسانية بظاهرها « ولا تفضحني بخفيّ ما اطّلعت عليه من سرّي » .

نسأل الله بفضله أن يستر علينا وأن يرزقنا صفة التوكل حتى نعتمد ونتوكل عليه .



(١) تفسير الصافي ، سورة يوسف .

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٣ - ﴿ إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون ﴾

(سورة النحل الآية : ٩٩)

التوكّل في أمور الآخرة

التوكل في أمور الآخرة

عندما يدور الحديث حول التوكّل فإن الأذهان تنصرف إلى التوكّل في الأمور الدنيوية وتفويضها إلى الله عادةً ، في حين أن المؤمن يتوكّل على الله في جميع أموره الدنيوية منها والأخروية ، **فهو لا** يختص بالأمور الدنيوية ، بل إن وظيفة الإنسان هي التوكل على الله في تأمين كلتا الحياتين ، خصوصاً الحياة الأخروية لأنها أبديّة وأهمّ من الدنيوية .

فكما يجب أن يتوكل على الله في جلب النفع ودفع الضرر المادي وأن يرىٰ بأن الله تعالى هو المؤثّر في كل سبب يتمسك به دون أن يكون للسبب استقلالية في التأثير وإلّا فسيكون مشركاً ، فكذلك في الأمور المعنوية أيضاً ، فعندما يطلبها من أسبابها ينبغي أن يكون توكّله على الله تعالى .

أسباب السعادة المعنوية

أسباب السعادة المعنـوية عبـارة عن تهذيب النفس وتحصيـل العلم والمعارف والأعمال الصالحة ، وغيرها من الأمور التي تقرّبه من الجنة ومن الله تعالى ، وتبعده عن جهنم وعن كل ما يبعده عن الله ويجب أن يذكر الله دائماً في مثل هـذه الأسباب ، فمثـلاً إذا أراد الشخص أن يكون من أهل الجنة فإنه لا بد من العمل الصالح وإلا فسوف يكون من التمنّيات الفـارغة ، ولكن يجب عليـه أن لا ينظر إلى الصـلاة أو الحج أو الصـوم والإنفـاق على أنها مستقلّة في التـأثير وإلا فسيبـطل ذلـك العمـل فـوراً ويصاب صاحبه بالعجب والغرور ، فتكون النتيجة عكسيّة ، إذن فماذا يصنع ؟ يجب أن يجعل أمله بالله ، فإنه إذا شاء أن يرتب بفضله أثراً على هذه الصلاة (والتي تكون صلاة ظاهرية في الغالب) فسيتحقق ذلـك ، فعلىٰ هذا الأساس يكون الذهاب إلى الجنة من الغرور ويتصور أنه بعيد عن النار مع كثرة ذنوبه ، ولكن ذلك ليس باختيارك أنت فإن من عمل سوءاً يجز به ، وكذلك من عمل الخير أيضاً ، ومثله مثل الدواء ، فلو أنّ أحداً تناول الدواء وأراد الله شفاءه فسيكون له ذلك ، فكذلك الحج مثلاً فهو يجعل الإنسان من أهل الجنة إذا شاء الله تعالى .

الاعتماد على العمل مهلك

فلو أنه اعتمد على عمله فإنه هالك لا محالة ، فكل من نـال النجاة فـإن الله رزقه ذلـك لا العمل ، ولا شـك في أنه هـو الـذي قـام بتلك الأعمال ، إلا أنّ الله هو الذي رتب عليه الأثر ، فبدون مشيئة الله يكون ذلك محالاً .

وكما قلنا في الأمور الماديّة إنه لا يصح أن يقول إني بذكائي وقدرتي وبيان قلمي وفصاحة لساني ، فكذلك في المعنويات أيضاً ، فالاعتماد على الصلاة والصوم ، وكذلك الخوف في غير محلّه خطأ ، يجب أن يعلم الإنسان أنه إذا نال النجاة من النار فإن ذلك ليس بسبب ورعه بل لأن الله أعانه على ذلك ، وأن الله هو الذي أبعده عن جهنم ، وعندما يكون من أهل الجنّة فينبغي أن يعلم بأن الذي وفقه إلى العمل ورتّب عليه الأثر هو الله .

قد يتصوّر الإنسان تارة بأنه قد عمل جبالاً من الأعمال الصالحة ، ولكنه في الحقيقة لم يعمل بمقدار ذرّة ، إذن فيجب أن لا يتكّل على الأسباب أبداً سواءً في الأمور المادية أو المعنوية ، بل يكون توكّله على الله فحسب .

العمل يؤثر إذا كان مصحوباً بالرحمة

وكان رسول الله (ص) يقول في آخر خطبة له : والمذكورة في المجلد ٦ من البحار إنه :

« لا يدّع مدّع ولا يتمنّ متمنّ ، والذي بعثني بالحق نبيّاً لا ينجي إلا عمل مع رحمة » .

فلذلك لا ينبغي أن يتصور الإنسان بأنه سيدخل الجنة حتماً بمجرد أن يخطو خطوة في طريق الله وإلا فإنه سيدخل النار ، فهذا التصور خطأ ، بل يجب التوكل على الله في كل الصور ، فكما أن الزارع عندما يبذر البذرة يكون أمله معلقاً على فضل الله ورحمته ، فكذلك يجب على طالب العلوم الدينية أن يطلب الفهم من الله ، لا أن يكون مجرّد الدرس هو

الذي يعطيه الفهم ، وهكذا في العلوم الدنيوية التي لا يمكن تحصيلها من دون تعب فلا يكفي فيها العمل فقط ، فكم من الأشخاص الذين يدرسون بجدّية بالغة ولكن لا يصلون إلى شيء . وهذا لا يعني ترك الدراسة ، بل هي ضرورية ، ولكن الخطأ هو الاعتماد على الفهم والحافظة والمطالعة والدراسة .

الأستاذ الذي أصبح أمّياً

قبل أربعين سنة تقريباً كان في إحدى حجرات مسجد مشير الملك الشيرازي أحد الأساتذة يدرس كتاب القوانين والمطوّل ، ولا أحبّ أن اذكر اسمه ، وكان هذا الشخص مشهوراً بكثرة العلم وقوّة الحافظة ، إلا أنه عندما استيقظ في أحد الأيام من نومه وجد نفسه وقد نسي كلّ شيء ، حتىٰ أنه عندما أراد أن يصلّي الصبح نسي سورة الحمد أيضاً ، وهكذا وبعد سبعين سنة من إقامة الصلاة لم يتذكر شيئاً منها . ففتح القرآن ليقرأ فوجد أنه لا يستطيع القراءة ، والخلاصة فقد فَقَدَ ذاكرته بصورة تامّة بحيث إنه لم يكن يميّز الألف عن الباء ، وبقي على ذلك الحال إلى أن مات .

الشخص الذي فقد القدرة على النطق

فيا من يدّعي ويقول : كلامي وبلاغتي ، بالأمس جاء أحد الأشخاص من خرمشهر ، وكان يقول بأن أحد الفضلاء المحترمين ـ والذي أعرفه أنا أيضاً ـ قبل شهرين فقد القدرة على التكلم بسهولة ، وأصبح يتحدث بصعوبة بالغة كالأطفال المبتدئين بالكلام ، وقد تألم لذلك إلى درجة أنه كان يحذر من التكلّم مطلقاً ، وسافر إلى طهران ، فتقرر دخوله المستشفىٰ لمدة شهرين لعله يرجع إلى حالته السابقة .

وأذكر لكم هذه الأمور كي لا يشتبه الأمر على أحد ، ويلتفت إلى خطئه أن كان غافلاً ، ويراقب الله في كل حال . إذن فتلخّص مما ذكرنا أنه تجب الدراسة والمطالعة حتى في تحصيل العلوم الكسبيّة ولكن يجب أن يكون أمله بالله بأن يفهمه تلك العلوم .

نور اليقين ليس اكتسابيّاً

وقد ورد في الحديث الشريف أنه : « ليس العلم بكثرة التعليم والتعلّم بل هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء أن يهديه » . وهذا هو اليقين والعلم بالله وبأسمائه وصفاته ، والعلوم المتعلقة باليوم الآخر التي يحصل عليها الإنسان بالإفاضة الإلهية ، وإلّا فإنه لا يستطيع أن يحصل على اليقين مهما سعىٰ في طلبه ، فهو عطاء محض يرتبط بمدىٰ استعداد الشخص وقابليته على الاستفادة من ذلك الفيض الإلهي .

فيجب أن لا تنسوا الله في جميع أفعالكم ، وكونوا على يقين من أن ذلك سيترك أثراً في نفس أعمالكم أيضاً ، وما أحلىٰ قوله في دعاء الافتتاح : « وأعطنا فوق رغبتنا » وفوق ما نتصور من الفضل والعناية الربّانية إن شاء الله . فعندما يصلّي الإنسان جماعة ، وعندما يحجّ أو يؤدي أي عمل من الأعمال يكون ذلك بالتوكل على الله وفضله ، ولكن لو أنه بمجرد أن حج أو صلىٰ جماعة قال بأني إنسان متديّن وأصلي صلاة الجماعة باستمرار ، أو أني قد حججت عدة مرات ، فإن ذلك سيكون إفساداً لعمله .

هل الثواب بمقدار العمل ؟

ورد في الروايات أنّ شبراً من الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها ، فهذه

الجنـة ليست كما تتصـور ـ بأنـه يمكنـك شـراؤهـا بهـذا العمـل الجـزئي المصحوب بالعجب والغرور والجهل وهـل يكون من العـدالة أن تكـون الجنة في مقابل أعمالك حتىٰ لو كانت جبالاً متراكمة ؟ وأساساً فإنك وكل ما تملك وكذلك توفيق الطاعة هي كلّها منه تعالى ، وعلى فرض أنها منك وتكون قابلة للمعاوضة فإنها لا تكون متناسبة مع ذلك الثواب العظيم .

إذن فيجب الاعتماد والتوكـل على الله لا عـلى العمل ، اللهم بحق محمـد وآل محمد (ص) اجعلنـا من المتذكّـرين وأعنّا عـلى ذلك ، اللهم اجعلنا من أهل التوكّل والإخلاص .



الركن الرابع

الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٤ - ﴿ قل كلٌّ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ﴾

(سورة الإسراء الآية : ٨٤)

ليس للإنسان إلاّ ما سعى

قيمة العمل بالنية الخالصة

إذا كانت هناك قيمة حقيقية فهي للنيّة الخالصة ، « إنما الأعمال بالنيات » فإذا كانت النيّة خالصة لله وكان العمل لله فقط فسوف يوصله إلى المقامات العالية ، ولكن لو كان العمل بنيّة شيطانية أو كانت نيته مخلوطة من شيطانية ورحمانية فإنها لا قيمة لها وسيأتي غداً صفر اليدين مهما لقن نفسه أنه قربة إلى الله تعالى ، ومهما كان حسناً في الظاهر . فلو صدقت النية وكانت خالصة لله فسيصلح كل شيء تبعاً لها .

ماذا تعني الشاكلة ؟

بمناسبة الشروع في بحث الإخلاص ذكرنا هذه الآية : ﴿ قل كلٌّ يعمل على شاكلته . . ﴾ .

والآن ماذا تعني الشاكلة ؟

الشاكلة تأتي بمعنى السجيّة ، فيكون المعنىٰ أن الإنسان يعمل وفقاً لما تكون عليه ذاته وحقيقته ، فإن كان رحمانيّاً كانت أعماله كلها خيراً ورحمة ، وتكون مقبولة لدىٰ الحق تعالى مهما كانت قليلة ، وأمّا لو كانت الشاكلة فاسدة وشيطانية ، وكانت مادية ودنيويّة دنيئة فإن كل عمله وكلامه باطل وفاسد ، لأنها نابعة من مصدر فاسد ، إذن فيجب إصلاح هذه الشاكلة قبل كلّ شيء حتىٰ يقع العمل المطابق لها صحيحاً ولكن بأي شيء يمكن إصلاح هذه الشاكلة ؟ وبعبارة أخرى : كيف يمكن أصلاح الذات الإنسانية لتكون ذاتاً إلهية ؟

وسنذكر هذا الموضوع المهم ببيان يسير .

على مفترق طرق

كل إنسان في بداية خلقته وتكوينه يقع بين طريقين . وهذا يعني أنه لم يكن هناك شيء في ذاته في البداية ، ثم بعد ذلك يجد نفسه وقد اختار أحد الطريقين ، فهو كاللوح النظيف الذي لم يكتب عليه شيء ، فهو قابل لأن ينقش عليه أحسن الخط وأجمله ، كما أنه قابل لأن يرسم عليه أقبح الأشكال والرسوم ، وكما يمكن كتابة المواضيع الجيدة والنافعة عليه يمكن كتابة المواضيع الضارّة أيضاً .

وهكذا يكون الإنسان في بداية أمره بين طريقين : رحماني وشيطاني ، دنيوي وأخروي ، مادّي وروحاني . فعليه أن يختار أحدهما وترتبط سجيّته وشاكلته في الطريق الذي يختاره ويسير فيه ، فتكون جميع حركاته الصادرة عنه وكل نظرة من عينه أو سمع بأذنه ، وحتىٰ اللقمة التي يأكلها تكون مؤثرة في الشاكلة وصانعة لها ، وهكذا كل كلمة ينطق بها تخلف في

شاكلته أثراً ، وتتأثـر بها ذاتـه وحقيقته ، فـأول آثارهـا تقع عـلى نفسك مباشرة .

ليس للإنسان إلا ما سعىٰ

عندما تنطق بكلمة بذيئة وتشتم أحداً تتصور أنك قد ألحقت الأذىٰ بالطرف المقابل ، ولكن الأمر ليس كما تتصور ، بل إنك بهذا العمل قد أبعدت نفسك عن الحق والحقيقة ، وخلّفت في ذاتك أثراً سيئاً ، فحتّى لو أقمت الصلاة وعبدت الله فإنها لن تقع عن نيّة صادقة حيث إن الشاكلة فاسدة .

عندما تأكل لقمة الخبز فهل تمرّ هـذه اللقمة دون أن تخلّف أثـراً في حقيقتك ، سواءً كـانت طاهـرة أو نجسة ، وسـواء كانت من حـلال أو حرام ؟ هيهات . ليس الأمر كذلك ، بل إنها سوف تؤثّر في شاكلتك ، وبـالتدريـج تصير الشـاكلة شيطانيّـة ، وبعدهـا تصـير جميـع أعمـالـك شيطانية .

أسفلِ سافلين أو أعلى علّيّن :

وعلىٰ كل حال فإن ذلك الشيء الذي يتحرك البدن على طبقه ليس بالأمر المهم في البداية ، ولكنه يبدأ بالنموّ من حين البلوغ ، فإن لم يكن لسانه وعينه وأذنه وبطنه مقيدة ، وكان يـطيع أوامـر النفس والهوىٰ فـإنّ شاكلته ستصير شيطانيّة ، وعندما يموت يكون أحد شياطين عالم الملكوت حيث يكون مصيره في أسفل سـافلين .

أمّا لو أصلح نفسه وراقب أعماله حتى الجزئية منها ، وأمسك لسانه ولم يستعمل عينه أو أذنه إلاّ في رضا الله تعالىٰ فإن عاقبته ومصيره سيكون

في أعلىٰ علّيين ، وهو المكان الذي تفتخر الملائكة بخدمته .

كل هذه الإرشادات لأجلكم

عندما يقولون : أيها المسلمون لا تتّبعوا أهواءكم وشهواتكم ، فهل أنهم يريدون بذلك أن لا تكونوا فرحين وسعداء ؟ كلا ، ولكنهم يعلمون أن ذلك يضر بشاكلتكم ويجرّكم إلى أسفل سافلين . .

كل نظرة إلى برامج التلفزيون الخليعة أو إلى أفلام السينما المثيرة سوف تخلّف أثراً فيك حتّى تصير شيطاناً فيما بعد، فإن تعجّلت بإصلاح نفسك فهو جيّد جداً ، وإلاّ فإن إصلاح الشاكلة بعد أربعين سنة صعب جدّاً .

قرّة عين الشيطان

لعلكم سمعتم بهذه الرواية الشريفة التي تقول بأن الشخص الذي بلغ من العمر أربعين عاماً ولم يصلح شاكلته فإن الشيطان يقبّله من جبهته ويقول مرحباً بمن لا أمل في صلاحه . وطبعاً أنا لا أقول إن ذلك محال ، ولكنّه صعب جداً إلاّ من شمله الله تعالى بلطفه . إذن فارحم نفسك وذكّر الآخرين أيضاً بأن لا يتّبعوا الأهواء والشهوات ولا يظلموا أنفسهم ﴿ **ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون** ﴾ .

وقد يصل فساد الشاكلة إلىٰ أن تكون عباداته وزيارته للمشاهد المشرفة وإقامته العزاء كل ذلك في سبيل الشيطان والنفس ، فيكون مجلس العزاء من أجل التظاهر والأهداف المادّية الأخرى ، أو يكون سفره لزيارة العتبات المقدسة من أجل التفريح والسياحة ، والخلاصة أنه لا يصدر منه عمل خالص بعد ذلك .

الجهاد الأكبر مع النفس الأمّارة

إذن فليس الأمر اتفاقياً إن ورد كل هـذا التأكيـد على جهـاد النفس ومخـالفة الهـوى ، وقد سمعتم عـدّة مرات الحـديث الشـريف عن أمـير المؤمنين (ع) أن رسول الله (ص) بعث سرية فلما رجعوا قال : مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر . قيل يا رسول الله ، وما الجهاد الأكبر ؟ قال (ص) جهاد النفس[1] .

أجل فهو جهاد أشدّ وأصعب من قتال الكفار وتحمّل جراح السيوف والسهام ، وطبعاً فإن أثره وثوابه أعظم أيضاً .

وأحياناً يكون الشخص ضعيفاً مع نفسه إلى درجة أنه لا يتمكن أن يمنع نفسه من لقمة حرام أو نظر إلى أجنبية ، فكيف يستـطيع مثـل هذا الشخص إصلاح شاكلته ؟! وهل يمكن إصلاح الشاكلة بالانفلات واتّباع الشهوات ؟ أنت تريد أن تحرر قلعة حصينة وتـريد أن تصـل إلى عرش الـرحمن « قلب المؤمن عرش الـرحمن » فيجب عليك الاجتنـاب عن كل حـرام بل حتى عن المكـروهات ، وتعمـل بجميع الـواجبات بـل وحتى المستحبات أيضاً (بشرط أن لا يؤدي إلى ضدّه) .

إرشادات الشريعة هي الطريق لإصلاح الشاكلة

ومن الصعب طبعاً إصلاح الشـاكلة ، ولكن إذا تعوّدنـا على اتّبـاع أوامر الشريعة منذ البداية ،ومنذ انعقاد النطفة ، ومن ثم تربيـة الطفـل فسوف نكون قد يسّرنا طريق النجاة إلى حدّ كبير .

---

(١) سفينة البحار باب الجهاد .

فمثلاً يجب على الأب والأم أن يعتنوا بالحليب الذي يطعمونه للطفل ، فلو اتخذوا له مرضعة فاللازم أن تكون عفيفة ومؤمنة لكي يمكن تعليمه على الآداب والتعاليم الصحيحة قبل بلوغه ، ومن جملتها أن لا تتكلموا أمام الطفل بكلام قبيح ، أو الإتيان بفعل ينافي العفة أمامه ، وحتى لو غضب الأب على أهله يوماً فلا ينبغي إظهار ذلك أمام الطفل ، لأنه سوف يؤثر على نفسية الطفل ، فيجب أن لا نسمح بوصول كلمة قبيحة إلى أسماع الطفل منذ البداية،ولا نجعله يصادق طفلاً سيئاً ، بل اصحبه معك وحافظ عليه .

وعندما يكبر الطفل علِّمه على الإنفاق ليتعوّد على الكرم حتى لا يتكالب غداً على مال الدنيا ، ولا تجعل الأموال واللباس الجديد وما أشبه ذلك من الأمور مهمة في نظره ، بل اجعله يدرك أن اللباس لرفع الاحتياج ، ولا فرق في ذلك بين الجديد والقديم .

لا تطعم الطفل غذاءً نجساً ولا تقل إنه طفل غير مكلّف ، والويل لو كان طعاماً حراماً ، لعنة الله على الوالدين اللذين يضعان كأس الشراب أمام الطفل ، ولا أعلم ماذا سيجيبان غداً عن ذلك ، هل أن اللذين يصحبون أطفالهم إلى دور السينما ومراكز الفحشاء قد أدّوا مسؤولياتهم ؟! المسؤولية التي تعلقت بذمتهم في تربية الطفل وإصلاح شاكلته ! كل منظر ينافي العفة سوف يؤدي إلى تقليل حياء الطفل ويجعله رذلاً وفحّاشاً ، فعندما يكبر هذا المسكين كم سيلاقي من الصعوبات لإزالة الآثار السيّئة التي حصل عليها من والده العديم الوجدان .

وعندما يبلغ الطفل من العمر ثمان سنوات اهتموا بصلاته ، وعند العاشرة لا ينبغي له أن ينام في فراش أخيه أو أخته ، فلو بلغ الثانية عشرة

ولم يصلّ فاللازم تأديبه حتى لو استلزم ذلك الضرب ، ولكن يجب أن لا يكون الضرب إلى درجة يستلزم معه الدّية ، وهكذا ستصبح شاكلة الطفل رحمانيّة بهذه التعاليم .

يجب مراعاة آداب الجماع

بل ينبغي مراعاة أوامر الشارع منذ المواقعة ، يجب أن لا يأكل الأب والأم لقمة حرام فتؤثر في النطفة ، والشيء الآخر هو ذكر الله حين المواقعة، وألا يتركا «بسم الله» حتى لا يشاركهما الشيطان في النطفة، وأن يكون الوالدان رحمانيّين حين المواقعة حتى تكون شاكلة الطفل مستعدة أكثر لتكون رحمانية في المستقبل ، فلو كان الأب شيطانياً حين انعقاد النطفة فسوف يؤثر ذلك على النطفة ويصعب بعد ذلك إرجاع شاكلة الطفل إلى الرحمانية ، إذن فكلما كان الوالدان رحمانيّين كان ذلك أفضل .

الأسوة في انعقاد نطفة الزهراء (ع)

تأمل في الروايات الشريفة الواردة في حق الروح المجسَّدة ، يعني الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) ، وفي العناية الفائقة في انعقاد نطفتها المباركة ، فقد ورد في كتاب البحار للعلاّمة المجلسي رحمة الله عليه : بينا النبيّ (صلى الله عليه وآله) جالس بالأبطح ومعه عمار بن ياسر والمنذر بن الضحضاح وأبو بكر وعمر وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) والعباس بن عبد المطلب وحمزة بن عبد المطلب رحمه الله ، إذ هبط عليه (ص) جبرئيل (ع) في صورته العظمىٰ ، وقد نشر أجنحته حتىٰ أخذت من المشرق إلى المغرب ، فناداه :

ـ يا محمد ، العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ، وهو يأمرك أن تعتزل عن خـديجة أربعـين صباحـاً ، فشقّ ذلك عـلى النبي (صـلّى الله عليـه وآله) ، وكان محباً لها وبها وامقاً ، قـال : فأقـام النبي (صلى الله عليـه وآله) أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل ، حتّى إذا كان في آخر أيامه تلك ، بعث إلى خديجة بعمار بن ياسر وقال : قل لها يا خديجة لا تظنّي أنّ انقطاعي عنك هجرة ولا قلى ولكن ربّي عزّ وجلّ أمرني بذلـك لينفّذ أمره ، فلا تظني يا خديجة إلّا خيراً ، فإن الله عز وجل ليباهي بك كرام مـلائكته كـل يوم مـراراً ، فإذا جنّـك الليل فـأجيفي البـاب ، وخـذي مضجعك من فراشك ، فإني في منزل فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ، فجعلت خديجة تحزن في كل يوم مراراً لفقد رسول الله (صـلى الله عليه وآله) .

فلما كان في كمال الأربعين ، هبط جبرئيـل (ع) فقال : يـا محمد ، العليّ الأعلى يقرئك السلام وهو يأمرك أن تتـأهب لتحيّته وتحفتـه . قال النبي (صلى الله عليه وآله) : يا جبرئيل ومـا تحفة رب العـالمين ؟ ومـا تحيّتـه ؟ قال : لا علم لي ، قـال : فبينا النبي (ص) كـذلك ، إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطّى بمنديل سندس ، أو قال : استبرق ، فوضعه بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله) ، وأقبل جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله) وقال : يا محمد ، يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام .

فقال علي بن أبي طـالب (عليه السـلام) : كان النبي (صـلى الله عليه وآله) إذا أراد أن يفطر ، أمرني أن أفتح الباب لمن يرد إلى الإفطار ،

فلما كان في تلك الليلة ، أقعدني النبي (صلى الله عليه وآله) على باب المنزل وقال : يا بن أبي طالب إنه طعام محرّم إلاّ عليّ . قال عليّ (عليه السلام) : فجلست على الباب ، وخلا النبي (صلى الله عليه وآله) بالطعام وكشف الطبق فإذا عذق من رطب وعنقود من عنب ، فأكل النبي (صلى الله عليه وآله) منه شبعاً وشرب من الماء ريّاً ومدّ يده للغسل ، فأفاض الماء عليه جبرئيل (عليه السلام) ، وغسل يده ميكائيل (عليه السلام) ، وتمندله إسرافيل (عليه السلام) ، فارتفع فاضل الطعام مع الإناء إلى السماء ، ثم قام النبي (صلى الله عليه وآله) ليصلي ، فأقبل عليه جبرئيل ، فقال : الصلاة محرّمة عليك في وقتك حتى تأتي إلى منزل خديجة فتواقعها ، فإنّ الله عزّ وجلّ آلى على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذريّة طيبة ، فوثب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى منزل خديجة .

قالت خديجة رضوان الله عليها : وكنت قد ألفت الوحدة ، فكان إذا جنّني الليل غطّيت رأسي وأسجفت ستري وغلّقت بابي وصلّيت وردي وأطفأت مصباحي وأويت إلى فراشي ، فلما كان في تلك الليلة لم أكن بالنائمة ولا بالمشبهة إذ جاء النبي (صلى الله عليه وآله) فقرع الباب ، فناديت من هذا الذي يقرع حلقة لا يقرعها إلا محمد (صلى الله عليه وآله) ، قالت خديجة ، فنادى النبي (صلى الله عليه وآله) بعذوبة كلامه وحلاوة منطقه : افتحي يا خديجة فإني محمد (ص) ، قالت خديجة : فقمت فرحة مستبشرة بالنبي (صلى الله عليه وآله) وفتحت الباب ، ودخل النبي (صلى الله عليه وآله) المنزل ، وكان إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهر للصلاة ، ثم يقوم ، فيصلي ركعتين يوجز فيهما ثم يأوي إلى فراشه .

فلما كان في تلك الليلة ، لم يدع بالإناء ولم يتأهب بالصلاة ، غير أنه أخذ بعضدي وأقعدني على فراشه ، وداعبني ومازحني وكان بيني وبينه ما يكون بين المرأة وبعلها ، فلا والذي سمك السماء وأنبع الماء ، ما تباعد عني النبي (صلى الله عليه وآله) حتىٰ حسست بثقل فاطمة (عليها السلام) في بطني[1] .

والمرويّ أنها لما حملت بفاطمة (سلام الله عليها) كانت فاطمة (عليها السلام) تحدثها من بطنها ، وتصبرها وتحمد الله وتسبّحه[2] . وطبيعي أن هذه الأمور ليست من الأمور العادية ، بل هي صرف مواهب إلهية .

ـ ومن مسمّيات مذهبنا أن الزهراء (عليها السلام) يكون لها الشفاعة الكبرى يوم القيامة .

« ولها جلال ليس فوق جلالها   إلا جلال الله جّل جلاله »

* * *

(١) بحار الأنوار ـ في ولادة الزهراء (ع) .

(٢) الأمالي للصدوق (ره) عن الصادق (ع) .

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٥ - ﴿ قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين * إلاّ عبادك منهم المخلَصين ﴾

(سورة ص الآيتان : ٨٢ ـ ٨٣)

صدق النيّـــة

لا يصح العمل من دون نيّة

أساس الدين هو إخلاص النيّة ، فلو لم يكن هناك إخلاص فالعمل لغو محض ، ولا عبودية في ذلك ، فلو عمل جبالاً من الخيرات ولكن لم يكن ذلك عن إخلاص فإنه لا يساوي شيئاً ، وذلك بنص القرآن المجيد حيث يقول : ﴿ **وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين** . . ﴾[1] .

وقد وردت أحاديث شريفة متواترة بين السنّة والشّيعة ، ومنها ما ورد في أصول الكافي عن خاتم الأنبياء محمد (ص) حيث قال :

« لا عمل إلاّ بالنيّة » ، وفي حديث آخر يقول (ص) :

(١) سورة البيّنة ، الآية : ٥ .

« إنما الأعمال بالنيّات » فلا فائدة في عمل بدون نيّة ، بل إن كل تأثير يكون تابعاً للنيّة ، فإن كان لله فهو نافع ، وإلا فلغو . وأما لو كان للآخرين فإنّه سيكتب له ذنباً في صحيفة أعماله .

قصد القربة في كل عبادة

تعلمون جيداً أن العبادة بدون نيّة تقع باطلة ، فيجب قصد القربة في بداية كل واجب من الخمس والحج والزكاة والصوم والصلاة.والنية لا تكون باللسان أو بالإخطار في القلب ، بل هي ميل القلب واندفاعه إلى العمل ، سواء جعلت ذلك في قلبك أم لا ، وسواء أقلته بلسانك أم لا ، فعندما تتحرك نحو حنفية الماء لكي تتوضأ يكون ذلك هو النية سواء قلت بلسانك أو أخطرته بقلبك أم لا .

والآن لنر من الذي دفعك للقيام بهذا العمل ، إذا كان أمر الله عزّ وجلّ فقد صارت النية مصحوبة بالقربة،وطبعاً لا مانع أن يقولها الإنسان بلسانه أو يجعلها في قلبه . إلاّ أنّ حقيقة النية هي نفس الدافع والمحرّك إلى ذلك الفعل .

إذا لم يكن الداعي هو التقرب إلى الله

أما لو كان الداعي إلى ذلك الفعل شيئاً آخر فعملك باطل ولغو حتىٰ لو قلت بلسانك قربة إلى الله ألف مرة .

إذن فيجب أن يكون هناك ميل قلبي أولاً ، ثم أن يكون لله تعالى ثانياً ، ولا يجعل في ميله القلبي شريكاً مع الله لأنه لا يؤخذ في حضرته المقدسة سوى ما كان صادقاً ، فلو كان معه مقدار رأس إبرة من الرياء والكذب فهو باطل ولغو .

عندما يؤذن أحد الأشخاص فإن كان قصده أن يعرّف الناس على جميل صوته ، أو يريد إفهامهم أنه مؤمن مثلاً فذلك باطل في نظر الشارع ولغو ، إضافة إلى أنه يحسب عليه ذنباً إذا قصد منه الرياء ، وتارة يشتبه الأمر على نفس الشخص هل أنه عمله لله أم لنفسه الأمّارة .

تستطيع أن تختبر ذلك بنفسك، فلو أن أحداً منعك من الأذان وأذّن هو ، فهل تتأثر من ذلك وتغضب ؟ فعند ذلك يكون معلوماً أن هناك خللاً في نيتك ، وأن هدفك من الأذان ليس هو ذكر الله وإعلاء كلمته وإلا فالغرض حاصل وهو الأذان لهذه الجماعة من دون فرق بينك وبينه ، وقد حصل الأذان من ذلك الشخص وليس منك .

كثيراً ما نقع الأذكار والأدعية بدون نية ، ويتوهم الشخص خيراً لنفسه ، والأفضل أن نذكر ذلك من خلال رواية شريفة :

دعاء الرسول (ص) لنزول المطر

ورد في أصول الكافي عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : لّما استسقىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسُقِي الناس حتّى قالوا : إنّه الغرق ـ وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده وردَّها : اللهم حوالينا ولا علينا ، قال فتفرق السَّحاب ـ فقالوا : يا رسول الله استسقيت لنا فلم نسق ثم استسقيت لنا فسقينا ؟ قال : « إنّي دعوت وليس لي في ذلك نيّة ، ثم دعوت ولي في ذلك نيّة » .

يقول المجلسي ـ عليه الرحمة ـ في شرح الكافي في معنى قوله (ص) : « ولم تكن لي نية » : إنه لعلّه كان لتطييب قلوب أصحابه حيث إنهم طلبوا منه أول الأمر فدعا (ص) فلم ينزل المطر ، ثم دعا مرة أخرى

فاستجيب له ، فلم تكن نيّته الأولى بصورة جديّة وأما في الثانية فكانت كذلك .

فعلىٰ هذا اتضح آن اللازم هو النية الحقيقية في القلب وليس باللسان فقط ، بل لو كان اللسان مخالفاً لما في القلب كان نفاقاً ومبغوضاً .

المجاملات الكاذبة

المجاملات المتداولة بين الناس قد تكون باللسان فقط ، فمثلاً أنت تعلم أن الشخص الفلاني عدوّك اللدود ، ولكن عندما يظهر لك المحبّة بلسانه ويقول بأنه يحبّك ومخلص لك أفلا تنزعج لنفاقه ؟ الجميع لا يرضىٰ بالتظاهر والخداع ، فكيف تريد أن يرضىٰ الله تبارك وتعالى بذلك ؟ والله تعالى يعلم السر والعلن . . عندما تقول : الله أكبر ، لن يكون ذلك التكبير حقيقياً إلّا عندما تدرك عظمة الحق جل جلاله وأنه أكبر وأقوى من كل شيء ، فعند ذلك يكون ذلك تكبيراً أو ذكراً ودعاءً وأما لو كان غير ذلك . . . ؟

شكر النعمة بنية الشكر

«الحمد لله» لا تكون حمداً حقيقياً إلّا عندما يريد إظهار الحمد من صميم قلبه بأن يرى الخير من الله عزّ وجلّ ، ثم يقول : الحمد لله ، ولكن أحياناً يقول : الحمد لله دون أن تساوي هذه الكلمة شيئاً ، كما لو نطق ذلك على سبيل المجاملة مع الله تعالى ، فهل أنت ترى أن المنعم هو الله تعالى لا غير؟إذن فلماذا كل هذا التملّق لزيد وعمرو ؟ إذا كان الله تعالى هو المنعم والمستحق للحمد فلماذا تحمد نفسك أو شخصاً آخر تراه جديراً بالحمد ؟! ولهذا عليك أن تعلم أن حمدك لله غير حقيقي . والله سبحانه وتعالى يعلم ما في قلبك أكثر مما تعلمه أنت عن نفسك .

الادّعاء الكاذب مرفوض

إذا قال لك ابنك بأنني مطيع لك يا أبي وممتثل لما تقول ، ولكنك تعلم أنه ولد شرّير وعاقّ ، وأنك لو أمرته بشيء لما أطاعك ، فهل أنك ترضىٰ بهذا الولد الذي يكون لسانه شيئاً وقلبه وواقعه شيئاً آخر ؟ طبعاً لا ، ولو قال لك إنّ كل ما أملك هو لك وتحت اختيارك ، ولكنك عندما تحتاج وتطلب منه مائة تومان فسوف يعتذر لك بشتّى المعاذير فهل تكون راضياً عن ذلك ؟! وهل أن الله تبارك وتعالى يرضىٰ منك كل هذا النفاق والخداع ؟! هيهات

حلويات بدون سكّر

أحد الأخيار كان يقول : أنت لا تحب التظاهر في المعاملات الدنيوية ، فلو كلّفت أحد المهندسين ببناء بيت جيد ومناسب من كل جهة ، ولكن عندما تسلّمت البيت وجدت أنه بناء ركيك في الواقع ، وقد استعمل فيه الخشب بدل الحديد ولكن ظاهره جيد وملوّن بألوان زاهية ، فسوف لا ترضىٰ بذلك ، وتعدّه من الخداع .

ومثال أوضح : وهو أنك لو أوصيت بأن يصنعوا لك بعض الحلوى ، فلما صنعوا لك ذلك وجعلتها في فمك وجدت أنها غير حلوة ، فهي تحتوي على كل شيء إلا الحلاوة ، فحتىٰ لو كان ظاهرها حسناً إلا أنك لا ترضى بها لأنك تريد منها الحلاوة .

أجل ، فأنت لا ترضىٰ لنفسك إلّا ما كان جيداً في الواقع والباطن في أمور الدنيا ، فهل تتوقع أن يقبل منك الله عز وجل التظاهر في أعمالك من دون باطن حسن .

المصيبة هي أننا غير مستعدّين لتفهمّ عيوبنا بل نحبّ المديح فقط . . نحبّ أن نسمع من يكذب علينا ويقول : إنـك إنسان جيـد وواقعي ، ونرتاح إلى ذلك . فقد تكون نفس الإنسان سخيفة إلى درجة أنه يرتـاح من الكذب ويتألم من الصدق .

إصلاح القلب والنيّة

العاقل هو الذي يدرك عيبه ومن ثم يسعىٰ لعلاجه ، وإلا لهلك إذا بقي على جهله ، ولا بأس إذا تألم في طريق إدراك العيوب وإصلاحها ، لأنّ عليه أن يفهم أنّ الحضرة الإلهية لا تقبل منه سوى النية الصادقة:« إن الله ينظر إلى قلوبكم لا إلى صوركم » إذن فعليك أن تصلح القلب وميوله حتىٰ لا ينزلق في ميوله إلى طلب الدنيا ، واحذر أن يكـون صميم قلبك مليئاً بحبّ الذات والأنانية .

إذن فالمهم هو ما عقد عليه القلب ، فلو صلحت النية ولكن أخطأ اللسان فلا بأس ، وهذا وارد حتى في المسائل الفقهية ، فلو كنت مصمماً على أن تصلي المغرب ولكنك قلت بلسانك سهواً أصلي صـلاة العشاء ، فلا بأس ، لأن الميزان هو القلب والنيّة .

حرب الجمل وأصحاب علي (ع)

ورد في الرواية أن أحد أصحاب الإمام أمير المؤمنـين (ع) في حرب الجمل تأوّه متحسّراً وقال : يا ليت أخي كان معنـا (وكان أخـوه شيعياً ولكن لم يوفّق إلى الالتحاق بجيش أمير المؤمنين (ع)) فسأله الإمام (ع) :

ـ أهـوى أخيك معنـا ؟ (أي هـل أن نيتـه وميله القلبي معنـا) .

فقال :

ـ بلى والله فقال (عليه السلام) : هو معنا .

وقال (ع) أيضاً : سيأتي أناس لا يزالون الآن في أصلاب آبائهم وأرحام أمّهاتهم ولكنهم يشاركوننا في هذا الموقف (مضمون الحديث) .

كل ذلك باعتبار النية والميل القلبي ، أرجو أن يكون قد اتّضح المقصود من النية ، لنتحدث بعد ذلك عن الإخلاص في النيّة .

اللهم ارزقنا صدق النية

نسأل الله سبحانه وتعالى صدق النية ، ولنقتد بإمامنا صاحب الزمان حيث يقول في دعائه : « اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية وصدق النية » ، بأن نكون صادقين في أعمالنا ، فتارة يكون الإنسان مشتغلاً بالعبادة إلا أنّ المحرك لذلك هو النفس، فهو وإن كان عمله حسناً إلا أنّ المحرّك لذلك ، أي النية ، تكون نابعة من النفس والأهواء ، ويتصور بعد ذلك أنه كان قربة إلى الله تعالى في حين أنه قربة إلى الشيطان . اللهم خلّصنا من مكر إبليس وخداع النفس .



بسم الله الرحمن الرحيم

٢٦ - ﴿ قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين * إلاّ عبادك منهم المخلصين ﴾

(سورة ص الآيتان : ٨٢ ـ ٨٣)

الإخـــلاص

الشيطان وسرقة الإيمان أو العمل

كان البحث حول الإخلاص ، وقلنا إنه الحصن الإلهي الحصين.فإذا أراد الإنسان أن يبقى محفوظاً من شر الشياطين فلا بدّ له من سلوك طريق الإخلاص ، فما لم يصبح مخلصاً فهو الشيطان يحاول دائماً سرقة إيمان الشخص ، فإن لم يتمكن من ذلك فلا أقل من إبطال عمله وإتلاف زاده ومتاعه للعالم الأخروي ، ﴿ إنّ الشيطان لكم عدوّ فاتّخذوه عدواً . . ﴾ وهذا العدوّ قوي ويحاول جاهداً الوصول إلى قلبك وسرقة النيّة الخالصة ، فيجب أن نكون مخلصين حتىٰ لا نكون لعبة بيد الشيطان .

كمال التوحيد في الإخلاص

يقول أمير المؤمنين (ع) في أول خطبة له في نهج البلاغة : « أول

الـدين معرفتـه ، وكمال معـرفته تـوحيده ، وكمـال توحيـده الإخلاص له . . . » فأساس الدين الاعتقاد بالمبدأ والمعاد الذي هو أسـاس لجميع الأديان السماويـة ، وكمال المعـرفة أن نـوحّده في جميـع مراتبـه وشؤونه وكمال التوحيد أيضاً الإخلاص له .

إذا كان ربّك هو ربّ جميع الكائنات ، إذن فلماذا تعمل لغيـره ؟! وكيف ترى غيره مؤثراً ، فإن كنت تعتقد واقعاً بـ لا إله إلا الله ، وأن بيده الخير ، وأن جميع الأمور بيده ، وأنه كاشف الضرّ والكرب ، إذن فلماذا تتوجّه إلى غيره ؟ ومن هنا ينبـع أساس الـرياء ، ومن هـذه الجهة يبـرز الشرك ، لأنه يتصـور أن المخلوقات مؤثـرة في حياتـه ، ويتخيل أنـه إذا كانت لديه وجاهة عند الناس فإن حياته ستكون جيدة ، في حين أن هذا ينافي التوحيد ويؤثر في نية الشخص .

التشريك في الداعي شرك بالله

إذا كنت موحدّاً فيجب أن يكـون الدافـع للعمل هـو ربّ العالمـين فقط . فأنت ترى أن الله حاضر وناظـر ، فيجب أن لا تتوجـه إلى غيره أبـداً ، فكيف بك إذا أتيت بمـا أمرك بـه له ولغيـره ؟! لا يمكن أن تأتي بالواجب ثم ترائي بذلك أمام الآخرين ليمدحوك ألا تخجل من خالقك ؟ ألا تخاف أن ينالك غضبه وغيرته ؟

« وكمال توحيده الإخلاص له » إذا كان هـو الربّ والخـالق والمؤثّر وهو كل شيء ، كما تعتقد ، فلماذا يتعلق قلبك بغيره ؟! يجب أن تكون موحّداً حتى في عالم الحبّ ، وأن يكون حبك مختصاً لكل ما يـرتبط بالله تعالى .

الكثير يعتقدون خطأً أنهم مخلصون

أكثر أفعال الإنسان تقع منافية للإخلاص ، فإن كان الرازق هو الله فحسب ، وجميع الخيرات بيده ، وهو المعطي والآخذ والرازق والمانـع ، فكيف ترى للأسباب تأثيراً،وتعترض على قضائه وقدره إذا حصل ما لا يتفق مع مزاجك ورغبتك في حيـاتك ؟ وهـذا الأمر دقيق جـداً بطبيعـة الحال ، فتارة يتصور الشخص أنه مخلص ، ولكنه يعلم عندما تنفتح عينه البرزخية أنه عاش عمـراً مديـداً دون ذرة من الإخلاص لـربه ، ونجـد الكثير ممن يعتقدون أنهم موحدّون ولكنهم يعبدون آلاف الآلهة غير الله عزّ وجلّ .

إحياء ليلة من أجل كلب

ذكروا أن أحد الأشخاص قرّر في إحدى الليالي الذهاب إلى المسجد والبقـاء فيه إلى الصبـاح للعبادة ، وبينـما كان مشغـولاً بالعبـادة في أحد جوانب المسجد فإذا به يسمع صوتاً من جانب آخر ، فقال في نفسه : لا بدّ أن أحداً مثـلي يتعبد في هـذا المسجد ، ولا بدّ أنـه سوف يـراني في الصباح ويذكر عبادتي وتهجّدي للناس ، ولذلك ازداد نشاطه وكثر بكاؤه ودعاؤه حتى أصبح الصباح ، فلما نظر لم يجـد سوى كلـب كان قـد دخل المسجد والتجأ إليه من البرد ، فاتّضح أنه كان يعبد الليل كله من أجل كلب ، وفي الحقيقة إنه كان يعبد ذلك الكلب .

عويل الشيطان من عمل المخلصين

إذا كنت من أهل الإخلاص فإن حاجتك مرتبطة بجهة واحدة . وترى الله عزّ وجل هو المؤثر لا غير ، وما قيمة الجـاه والمال والـدنيا حتى

تكون مؤثرة في نيتك ! فالعزّة من الله والذلّة منه أيضاً ، المرض والشفاء منه ﴿ **ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ . فلو أن أحداً جاء إلى الله تعالى بهذه الحالة فإن الشيطان سوف يصرخ جزعاً منه .

ولكن الأمر صعب جداً ، فإذا كان الإنسان شجاعاً فعليه أن يشتبك مع الشيطان ، ويصارع هواه ويجاهد نفسه ليكون من أهل الإخلاص ، وإلا فإن جبالاً من العمل ستكون هباءً منثوراً .

ثلاث طوائف تحاسب قبل الآخرين

والأفضل أن نبين هذا المطلب في ضمن رواية ، فقد ورد في المحجّة البيضاء عن النبيّ (ص) أنه قال : أوّل من يسأل يوم القيامة ثلاث :

-رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى : ماذا صنعت فيما علمت ؟ فيقول : يا ربّ كنت أقوم به آناء الليل والنهار ، فيقول الله عز وجل :

-كذبت . وتقول الملائكة : كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم . ألا فقد قيل ذلك . (أي قيل لك أحسنت أيها العلاّمة ، فلذلك ، لم يبق لك حق على الله تعالى والسر في أنهم يحاسبون قبل بقيّة الناس هو أن الشرك أعظم الذنوب ، كما أنه لا خير ولا سعادة أعظم من التوحيد .

-ورجل آتاه الله مالاً ، فيقول الله تعالى : قد أنعمت عليك فماذا صنعت ؟ فيقول : يا ربّ كنت أتصدّق به آناء الليل والنهار ، فيقول الله عز وجل : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ، أردت أن يقال فلان جواد . ألا فقد قيل ذلك . (ولذلك قال (ص) : «سبعة يظلّهم الله عز

وجل في ظله يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه . . ومنهم رجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما يتصدق بيمينه[1]»ويعني أنه يتصدق في غاية الخفاء ، كما كان الإمام زين العابدين يتصدق ، حتى أن بعض الأشخاص الذين ينفق عليهم في الخفاء كانوا ينتقدون الإمام على عدم مساعدته لهم لأنهم لم يكونوا يعرفون الإمام حينما يأتي إليهم بالأموال ، أما لو تصدق الإنسان ملايين الدنانير بدافع من النفس والهوىٰ فإن ذلك لا يساوي شيئاً عند الله عز وجل) .

ـ ورجل قتل في سبيل الله ، فيقول الله تعالى :

ـ ماذا صنعت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد فقاتلت في سبيلك حتى قتلت ، فيقول الله عز وجلّ ، كذبت . وتقول الملائكة : ـ كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ، ألا فقد قيل ذلك[2] .

تارة يقرأ الشخص القرآن جيّداً وبصوت جميل ، إلاّ أن حاله لا يختلف عن ذلك المغنّي والمطرب ، لأنه يريد أن يباهي الناس بصوته .

احتياط أهل التقوى

في أحد الأيام جاء أحد الرواة الذين أدركوا هذا المعنى وخافوا على نيّاتهم إلى الإمام الباقر (عليه السلام) فقال : إذا قرأت القرآن فرفعت صوتي جاءني الشيطان فقال : إنّما ترائي بذلك أهلك والناس فقال (ع) :

ـ يا أبا محمد ، اقرأ قراءة ما بين القراءتين[3] .

---

(١) الخصال . باب السبعة .

(٢) المحجة البيضاء ، الجزء ٨ ، ص ١٢٦ .

(٣) وسائل الشيعة : الجزء ٤ ص ٨٥٩ .

ولعل السرّ في ذلك أن الإنسان لا يقصد الرياء أمام زوجته وأطفاله (الا أن يكون أحمق جداً) ولهذا أمره بـالقراءة الـوسط حتى يستفيد من قراءة القرآن ، ولا يخرج صوته إلى خارج البيت فيبتلى بالرياء .

اللهم ارحم ضعفنا

والعجيب هو أنه ما لم يدخل الإنسان في حصن الأخـلاق فهو آمن من شر الشياطين ، بل هو في مصـائدهم ، فينبغي والحـال هذه آن يقرأ الإنسان من صميم قلبـه : « أمّن يجيب المضطرّ إذا دعـاه ويكشف السوء . . » إلهي : الوضع بهذه الحالة ونحن نتماهل في ذلك ! وفي لحظة واحدة يزول الحجاب وتحلّ ساعة الموت وتنكشف عوالم البرزخ ، فنرى أي خيالٍ نسجناه لأنفسنا حتى حسبنا أنفسنا مثل سلمان وأشباهه .

كنا نخدع أنفسنا ونطمئنها أننا ذهبنا إلى كربلاء ومشهد للزيارة ولكن أي كربلاء وأي مشهد ؟! هي زيارة وسياحة في آن واحـد ، فقد ضـاق صـدره وأراد التفريـج والتجوّل فنـوى الزيـارة أيضاً ، وطبعـاً لا ينبغي تركها ، ولكن المقصود هو ضـرورة السعي في إخلاص النيـة ، قد تجـد شخصاً يسافر للحج لأنه لو لم يحج فإن الناس سوف يتّهمونه ، أو يـريد إضافة لقب الحاج إلى نفسه ويستفيد من هذا اللقب ، أو يريد التجـارة وجلب الهدايا حتى يعوّض عن مخارج سفـره ، والخلاصـة أين هي النية الخالصة ؟ فلو أردنا بيان مراتب الإخلاص فسوف يتضح حينئـذٍ كم هو عزيز المنال وكم هو قليل عدد المخلصين .

مثال على أعلى مراتب الإخلاص

ليس غريباً أن يكون شهداء كربلاء سـادات الشهداء ، فـانظر إلى

درجة الإخلاص ، فإنّ أقل واحد منهم بحسب الظاهر هو ذلك الغلام الأسود ، وهو « جون » مولى أبي ذر الغفاري حيث قال له الحسين (ع) :

- أنت في إذن مني فإنّما تبعتنا طلباً للعافية ، فلا تبتل بطريقتنا ، فقال :

- يابن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم !؟ والله إن ريحي لنتن وإنّ حسبي للئيم ولوني أسود ، فتنفس إليّ بالجنة ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض وجهي ، لا والله لا أفارقكم حتىٰ يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم .

وعلى كل حال ففي المرة الثالثة يتوسل إلى الحسين غاية التوسل والتضرّع إلى أن يأذن له الإمام الحسين (ع) في الجهاد ليضحي بنفسه ، فهل تجدون عملاً أكثر إخلاصاً من هذا ؟

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٧ - ﴿ قال فبعزّتك لأُغوينّهم أجمعين * إلاّ عبادك منهم المخلصين ﴾

(سورة ص الآيتان : ٨٢ ـ ٨٣)

ما هو الإخلاص

ما هو الإخلاص ، وما هو العمل الخالص ؟

الخالص هو كلّ شيء يكون منفرداً ليس معه شيء آخر ، كالذهب الخالص ـ مثلاً ـ عندما لا يكون معه شيء غير الذهب من النحاس وغيره ، أو مثلاً الحليب الخالص الذي يقول عنه القرآن الكريم : **﴿ . . نسقيكم ممّا في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴾**[1] فهو في الوقت الذي يكون مختلطاً بالدم وغيره لكنه يخرج صافياً ليس فيه لون الدم ولا رائحة منه .

والعمل يجب أن يكون خالصاً لله ، أي أن الداعي والمحرّك له يجب

(١) النحل ١٦ ، الآية : ٦٦ .

أن يكون القربة إلى الله لا غير ، فإذا أراد التقرّب إلى الله ومعه شيء آخر فإنه غير مقبول ، وقلنا إن هذا الأمر باطنيّ لا يعود إلى الإخطار بالقلب أو اللسان .

حتّى الوجاهة عند الناس بيد الله

لنرَ ما هو المحرِّك لذلك العمل ؟ هل أنه التقرب إلى الله تعالى أو التقرب إلى المخلوق ؟ عندما يصعد المنبر مثلاً هل تكون نيّته التقرب إلى الله أو تحصيل المال أو المنزلة ؟ أو اثنين منها ، أو الثلاثة كلها ، ولتعلم أنها لا تجتمع فهي إما لله أو لغير الله ، ولو جمعها فهي غير مقبولة عند الله قطعاً ، وكثيراً ما يحرم من الغرض الدنيوي أيضاً ، لأن قلوب الناس بيد الله عزّ وجل ، فإن أراد الله تعالى أن يجعل له منزلة عند الناس فهو ، وإلا فمحال ، وتكون النتيجة عكسيّة تماماً .

قصّة من مالك الدينار

قيل إن مالك الدينار كان في أوائل عمره صرافاً وكانت حالته جيدة ، ولكنه طمع في كسب مال أكثر من خلال سعيه ليكون متولّياً وسادناً للمسجد الأموي في الشام ، ومن المعلوم أنّه لو حصل على هذا المقام فسوف يحصل على مبالغ طائلة ، ولكن شرط ذلك أن يكون أزهد الناس وأتقىٰ الناس ، فما كان منه إلا أن أنفق جميع أمواله ووزّعها على الناس واعتكف في المسجد ، فإذا أحسّ بدخول شخص إلى المسجد قام إلى الصلاة والتضرّع والخشوع .

والعجيب أن كل واحد يمرّ عليه كان يقول له : يا مالك ماذا تقصد من وراء ذلك ؟!

وبقي مدّة على هذا الحال حتى أخذ يوماً يتدبّر في حاله وما صار إليه ، وأخذ يقول في نفسه : ما هذا الخيال الذي أنا فيه ، وكيف أوقعت نفسي في هذا الحال ؟ فقد أنفقت أموالي في طريق الأهواء ، والناس يدركون نيّتي ، فقد أصبحت مصداق ﴿ . . خسر الدنيا والآخرة . . ﴾ .

ثم إنّه في تلك الليلة استغفر بقلب منكسر وتاب من نفاقه وصلاته وريائه ـ أجل فهذه الأعمال تكون ذنوباً وسيئات ـ وبقي يتضرع ويبكي إلى الصباح ، فلما كان الغد ، رأى أن كل من يدخل المسجد يسلّم عليه ويحترمه ويسأله الدعاء ، وكانوا يظهرون إليه المودّة حتى اشتهر أمره في الشام بأن مالكاً من أزهد الناس ، فجاؤوا إليه واقترحوا عليه أن يستلم أمور المسجد وموقوفاته ، فقال : هيهات ، فقد رجعت إلى ربّي.وهكذا نال درجات وحالات جيّدة من إخلاصه .

إذن فالمسكين الذي لا تكون نيّته خالصة يكون واقعاً مصداق قوله : ﴿ . . خسر الدنيا والآخرة . . ﴾ .

ما يكون للنفس يمنع الخلوص أيضاً

قلنا إن شرط قبول العبادات هو الإخلاص ، فالعبادة الخالية من الإخلاص لا تساوي شيئاً ، وأدنىٰ وأقبح وأسوأ مرتبة لذلك هو أن يريد الإنسان التقرب إلى الخلق والخالق بعمله ، فهذا هو الشرك المبطل والرياء الذي يعدّ من الكبائر .

والمرتبة التي بعدها هي ما يكون للنفس ، فتارة لا يقصد التقرب إلى الناس ولكن ميله النفسي يؤثر في نيّته . مثلاً يكون الهواء حاراً واليوم

جمعة ، فيقول في نفسه : أذهب إلى الحوض لأسبح وأتبرد وأغتسل غسل الجمعة أيضاً .

والآن ، هل تريد أن تغتسل غسل الجمعة واقعاً ، أم تريد التبرّد ؟

أو يكون الطقس بارداً ويريد أن يتخلص من البرد فيقول :

ـ أذهب إلى الحمام لأغتسل غسل الجمعة ، ولكن تدفئة بدنه داخلة في نيّته .

ضميمة المباح تبطل العمل أيضاً

وحتىٰ لو ضمّ إلى نيته أمراً مباحاً فسوف تبطل العمل إذا استقلت في الداعي لذلك العمل ، والغرض هو جهة الإخلاص حيث ينبغي أن يكون خالياً من الضمائم الثانوية . أي أنه لو أراد واقعاً أن يغتسل غسل الجمعة ولكن يبرّد جسده من خلال ذلك أيضاً فالغسل في هذه الحالة صحيح ، ولكنه ليس خالصاً ، وأما لو كان قصده الغسل والتبرد معاً بحيث لا يكون كل منهما لوحده محرّكاً وداعياً لذلك العمل ، فالعمل باطل .

ينسجم مع كلمة « أحسنت » :

الأمر دقيق جدّاً ، فتارة لا يلتفت الإنسان ويضيع عمله عندما يسمع كلمة « أحسنت » واحدة ، ويتغيّر حاله عند سماع مديح الناس وثنائهم عليه ، ويترك الله ويتجه نحو الخلق .

والأسوأ من ذلك أنه قد يكتفي بكلمة « أحسنت » حتى بعد موته ويقنع بها ، فيعمل عملاً من أجل أن يمدحوه بعد موته ، فهو إلى هذه

الدرجة أسير الخيالات والأوهام ، حيث يتأثّر بالمدح والذم الـذي يكون بعد موته وهو في غير هذا العالم ، أي أنه طـالب للجاه والـرفعة واللقب حتى بعد موته ، ولكن الاسم واللقب الحسن إنما ينفع فيها لو عملت لله وليس لكسب ذلك اللقب والعنوان ، ولا يكون حسناً إلّا إذا كنت حسناً في الواقع ، فلو كانت ذاتك قبيحة ونيتك فاسدة فماذا ينفعك لو مدحك جميع الناس .

ماذا ينفع مدح معاوية ؟

في هـذا الزمـان نجد أن عـدد المسلمين غـير الشيعة يعـادل أربعـة أضعاف الشيعة تقريباً ، وأكثرهم يمدح معاوية ويعتقدون به ، ولكن هل أن هذا المدح يفيده قيد أنملة في تخفيف العذاب عنه ؟ .

ماذا يفيدك اللقب الطيب في الدنيـا وأنت تعيش في عالم البـرزخ ؟ أنت في عـالم الملكـوت وكـل مـا يجـري في عـالم الملك لا يـرتبط بـك ، فالأوضاع مختلفة ، نعم إذا غادرت الدنيا مؤمناً صالحـاً وكانت أعمـالك خالصة لله لا لطلب الشهرة والعنوان فعند ذلك سوف يدعو لك المؤمنون بإخلاص ، وسيقع ذلك مؤثّراً طبعاً وتنتفع منه ـ وإلّا فـإن فرشـوا قبرك بالرياحين وجعلوا فوقه أربعين مصباحاً ، أو جعلوا فوقه حجراً أو تـراباً فسوف لا يختلف حالك ولا يغيّر من وضعك ، لأن كل هذه الأمور تابعة لعالم الملك .

أحمد بن طولون وقارىء القرآن

إذا كنت من المؤمنين وغادرت الدنيا كذلك فعند ذلك سوف يأتي من يقـرأ القرآن لـك بإخـلاص وسوف ينفعـك ذلك ، وإلا فستكـون مثل

أحمد بن طولون الذي ذكر قصته الدّميري في كتاب حياة الحيوان فقد كان ابن طولون سلطان مصر ، وقد عيّنت الحكومة شخصاً يقرأ على قبره القرآن وجعلوا له راتباً كبيراً فاشتغل بقراءة القرآن .

وفي أحد الأيام ورد خبر عن اختفاء قارىء القرآن ، فبحثوا عنه في كل مكان إلى أن عثروا عليه أخيراً ، وسألوه عن سبب فراره فلم يتجرأ على الجواب ، بل كان يرجوهم أن يقيلوه من عمله .

فقالوا له : إذا كان راتبك قليلاً فسوف نضاعفه لك ، فقال : أنا غير مستعدّ لذلك حتى لو ضاعفتموه عدّة أضعاف ، فأصرّوا عليه أن يخبرهم بحقيقة الأمر ، فقال :

ـ لقد اعترض صاحب القبر عليّ قبل عدّة ليالٍ ونهرني بشدة أن أقرأ القرآن على قبره ، فقلت له : لقد كلّفوني أن أقرأ لك القرآن ليصل إليك ثواب ذلك ، فقال : ليس كذلك ، بل إن كل آية تقرأها يزداد معها عذابي ، ويقال لي : ألا تسمع ما يقول ، فلماذا لم تعمل به في الدنيا ؟

ولذلك أرجو أن تقيلوني من ذلك فإني لا أتجرأ على قراءة القرآن عند قبره .

تكفينا ركعتان بإخلاص :

لا ينفع شيء في الساحة المقدسة الإلهية سوى الصدق والإخلاص والحقيقة فلو قلت ألف مرة بلسانك قربة إلى الله ولم يكن في قلبك شيء منه لم ينفعك ذلك ، وإن كنت صادقاً في ذلك وأصلحت نيتك فبها ونعمت .

المقصود هو أن النفس الإنسانية في الغالب إما أن تطلب المقام والمنزلة عند الخلق أو تريد النفع لنفسها ، فحتّى لو عمل خيراً وتصور أنه قربة إلى الله فسوف يراه غداً في عداد سيئاته ، لأنه كان رياءً أو لمصلحته الشخصية .

أما إذا أصبح العمل خالصاً فإنه يرفع الإنسان مهما كان قليلاً ، الشخص الذي يصلّي ركعتين تجب له الجنة ولكن بشرط الإخلاص وحضور القلب ، وإلا إذا لم تكن مصحوبة بذلك فهي كما ترى .

يقول السيد بن طاوس عليه الرحمة : إنه حتى العبادات التي تقع خوفاً من النار أو طمعاً في الجنة فهي بدافع المنفعة الشخصية وليس لها حظ من الإخلاص الحقيقي ، لأنها في الحقيقة يريد منها فائدته هو (وإن كان هذا العمل من الناحية الشرعية صحيحاً وهو بالنسبة إلى الدوافع الأخرى خالص ، ولكنه بالنسبة إلى درجات الإخلاص العالية التي يقول عنها أمير المؤمنين (ع) : « ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك » بالنسبة إلى هذه الدرجة تكون ناقصة) .

نوم العالم عبادة

لقد سمعتم أن ركعتين يصليهما العالم أفضل من سنة يصليها الجاهل ، لماذا ؟ العالم هو الذي يفهم ويدرك ما كان للنفس وما يكون لله تعالى وأما الجاهل فهو لا يدرك شيئاً من هذه الأمور ، وأنه بأي قصد يفعل هذا الفعل ، فكم هناك من الأشخاص الذين يعبدون الآخرين أو أنفسهم ويظنون أنهم يعبدون الله تعالى .

وسمعتم أيضاً أن الصلاة خلف الإمام يتضاعف ثوابها ألف مرّة، هذا العلم هو الذي تشخص به أمراض النفس وهو أساس الدين الذي حقيقته هي الإخلاص .

حديث الحسين (ع) مع علي الأكبر

وسمعتم أن الإمام الحسين (ع) وهو في الطريق إلى كربلاء أخذته سنة من النوم فانتبه وأخبر أصحابه أنه سمع منادياً ينادي بين الأرض والسماء « القوم يسيرون والمنايا تسير معهم » ، فقال علي الأكبر : أبه ، ألسنا على الحق ؟ (وأننا نقاتل في سبيل الله) ، فقال الإمام (ع) : ـ بلى ، فقال : أذاً لا نبالي بالموت فما أعظم هذه السعادة أن يقتل الإنسان في طريق الحق ، وفي سبيل الله فقط ، وهو الإخلاص لله من دون أن يخالطه غرض ومرض وحمية جاهلية أو أهواء شخصية ، فالجميع يعلم أنهم سوف يقتلون ، فلا أحد يقول « أحسنت » ولا شهرة ولا طلب منزلة ومقام دنيوي ، فالهدف هو الله فقط .



بسم الله الرحمن الرحيم

٢٨ - ﴿ قال فبعزّتك لأُغوينهم أجمعين * إلّا عبادك منهم المخلَصين ﴾

(سورة ص الآيتان ٨٢ - ٨٣)

عالجوا أمراض النفس

الخوف من النار والطمع بالجنّة :

العمل إذا كان واجباً أو مستحباً لا بدّ وأن يكون عن إخلاص ، فالإخلاص هو المقوّم للعمل ، أي أن العمل بدون إخلاص لا يكون لائقاً للقبول ، وأول درجات الإخلاص هو أن يكون داعيه ومحرّكه للعمل الخوف من النار والطمع بالجنّة ، فمثلاً عندمايقوم من نومه إلى الصلاة ويتوضأ ، يقول بأن الصلاة واجبة ، فلو تركت الصلاة لأصبحت بحكم الكافر ، وسوف يترتب على ذلك خمسة عشر بلاء وعقوبة مذكورة لتارك الصلاة ، أو أنه يصلي للحصول على الثواب العظيم الذي يكون للمصلي أو للصائم الذي يترك الأكل والشرب ومشتهيات النفس لمدة أربعة عشر ساعة مثلاً .

وهذه هي المرتبة الأولى للإخلاص ، فالعمل يقع صحيحاً وسوف يؤمنه الله تعالى مما يحذر ويخاف ، ويرزقه ما يرجو ويطمع بـه من الثواب الجزيل .

ولكن إذا لم تكن هذه المرتبة أيضاً بأن كان محركه ودافعه للعمل هو طلب المنزلة عند الناس (أو يقول مثلاً لأسافر للحج وإلا فإن سمعتي في خطر) فحتىٰ لو كان العمل مستحباً فسوف يصير حراماً وباطلاً .

وهذا الأمر من الدقّة بحيث إن الإنسان قد يلتبس عليه الأمر ، فهو عندما يظهر التأسف على المنكرات العلنية أو يأمر بالمعروف يظن أنه قد أدّى واجباً إلهيّاً مهماً ، في حين أن المحرّك لذلك هو إظهار نفسه ، أو يريد إفهام الآخرين أنه مهتمّ بأمور الدين فحتىٰ لو كان ظاهر العمل حسناً إلا أنه يحسب له من سيئاته وذنوبه .

يعيد صلاة جماعة مدّة ثلاثين سنة

وقد ذكروا قصّة ينبغي علينا أن نتدبّر بها حتىٰ لا نبتلى بمثل ذلك .

كان أحد الأخيار والمتّقين مـواظباً عـلى صلاة الجمـاعة لمـدّة ثلاثـين سنة ، وكان دائماً يصلي في الصف الأول ، وكان أول من يحضر وآخر من يغادر المسجد ، ثم إنه حدث في أحد الأيام أنه لم يستطع الحضـور أول الـوقت فلم يتمكن كـالعـادة من الصـلاة في الصف الأول فـاضطـر إلى الالتحاق بالجماعة في الصف الأخير ، وعندما انتهت الصلاة وبدأ الناس يغادرون المسجد أخذ يحس بنفسه الخجل الشديد لأن المصلّين رأوه وهو يصلّي في الصف الأخير .

وبعد ذلك انتبه من هذه الحالة وأخذ يفكر بالذي دفعه إلى الخجل ، ويخاطب نفسه : أيها المسكين لقد اتّضح أن صلاة ثلاثين سنة في الصف الأول كانت للتظاهر أمام الناس ، وإلا لو كنت أصلّي في الصف الأول قربة إلى الله ، فكيف شعرت بالخجل عندما أراد الله تعالى أن أصلي في الصف الأخير ، ورآني الناس كذلك فتأثرت وخجلت ؟ ولذلك تاب توبة صادقة وأعاد صلاة ثلاثين سنة مرة أخرى .

عالجوا أمراض النفس

ينبغي أن تكون هذه القصة عبرة لنا جميعاً ، ولا أقول أن لا تصلوا في الصف الأول ، بل ينبغي أن تصلي هناك ، ولكن يجب أن يكون ذلك لفضيلة لا من أجل التظاهر أمام الآخرين بحيث لو لم يكن محل في الصف الأول فسوف تصلي في الصف الثاني والثالث من دون فرق ، ولا تدّعي أنك من أهل العلم والمعرفة ، فلا ينبغي أن أصلي في الصفوف الأخيرة فهذه من أمراض النفس التي تهلك الإنسان ، كما هو الحال كذلك في إمام الجماعة أيضاً ، فلو أثّرت فيه نيّة كثرة المصلين فإنه يرتكب ذنباً ، لذلك فينبغي أن لا يختلف حاله سواءً أصلى شخص واحد أو آلاف الأشخاص .

التوبة من الرياء والضمائم المستقلة

إذن فيجب أن يكون المحرّك في نفس الشخص هو الخوف من العقاب أو رجاء الثواب في المرتبة الأولى ، وفي المرحلة الثانية وهي الأكمل يكون الداعي للعمل هو الله فقط ، فلو كان غير ذلك كان رياءً

وباطلاً وحراماً ، ويجب إعادة العمل أو قضاؤه ، وتجب التوبة منه على كل حال سواءً أكان واجباً أم مستحباً .

ويلحق بالرياء الضمائم المباحة المستقلّة في الداعي ، كالذهاب إلى مشهد المقدسة ، ويكون الداعي للسفر هو هواء مشهد اللطيف أو الفواكه الكثيرة والسياحة في تلك الأماكن ، وفي الضمن الزيارة أيضاً .

وعندما يحلّ فصل البطيخ يسافر بعض الأشخاص إلى زيارة سامرّاء ، ومثل هذه الزيارة تعرف عند أهل العلم بالزيارة البطيخيّة .

قتيل الحمار

إذن فلا يأخذك الغرور أنك عملت عملاً صالحاً قربة إلى الله ، بل إن كل ما يدفعك للعمل هو هدفك ومعبودك وهو تابع لنيّتك وقصدك ، ويكون عملك قربة إليه .

وقد روي أنه في إحدى المعارك التي دارت بين المسلمين والكفار في زمن رسول الله (ص) كان أحد الكفار راكباً حماراً أبيض وجميلاً وهو يقاتل المسلمين ، فأبصر به أحد المسلمين وقال في نفسه : لأذهب وأقتل هذا الكافر حتىٰ أحصل على هذا الحمار ، وتحرّك إليه بهذه النيّة ، ولكن عندما أراد أن يهجم عليه سبقه الكافر وقتله ، وقد عرف فيما بعد بين المسلمين بقتيل الحمار .

فانظر إلى النيّة عند الحركة ، فلا يقبل من العبد إلّا ما كان خالصاً وصادقاً ، ولا فائدة في التظاهر ، فالويل لمن قتل في سبيل الشهوات ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، وعندما تتحرك في سبيل النفس والأهواء ، فقد تصل إلى مطلوبك وقد لا تصل ، وأمّا إذا تحركت في سبيل الله

فسوف تصل إليه حتماً ، بل وأكثر وأفضل مما كنت تطلب ، كما جاء في الآية الشريفة : **﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب ﴾**[1] .

الضمائم التابعة غير مبطلة

وأذكر لكم شيئاً آخر ، وهو أن الضمائم التابعة لا تكون مبطلة ، مثلاً يكون لأحدهم شوق ـ واقعاً ـ لزيارة قبر علي بن موسى الرضا (ع) لأن الإمام وعد زوّاره وشيعته أن يغيثهم عند الميزان والصراط ، وتحرّك وسافر بهذا القصد ، وأن الله تبارك وتعالى سوف يرزقه ثواب الحج والعمرة ، وفي ضمن ذلك يقول : لأذهب بعد أسبوع حتى يحين وقت نضوج الخوخ واقتطافه ، أو يكون البطيخ حلواً فهذا لا بأس به ، لا أن الخوخ والبطيخ هو الذي دفعه إلى الزيارة فعند ذاك تكون الزيارة بطيخية أو خوخية أو من أجل الطقس الجميل ، وتكون في الظاهر والاسم زيارة للإمام الرضا (ع) ني حين أن الدافع له شيء آخر .

الكعبة وسط البادية

وجاء في كتاب نهج البلاغة من خطبةٍ لأمير المؤمنين (ع) حول الحج وحكمته أنّه قال : « . . ثم وضعه (أي البيت الحرام) بأوعر بقاع الأرض حجراً ، وأقلّ نتائق الدنيا مدَراً ، وأضيق بطون الأودية قطراً بين جبال خشنة ـ إلى أن يقول ـ ولو أراد الله سبحانه أن يضع بيته الحرام بين جنات وأنهار وسهل وقرار . . . لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب

---

(١) السورة ٤٢ ، الآية ٢٠ .

ضعف البلاء . . ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد » .

فمثلاً لو كانت في لبنان لذهب الناس إليها طمعاً بالطقس الجميل والمناظر اللطيفة فلا يكون ذهابهم قربة إلى الحق تعالى ، بل هو عبادة النفس ، فالمحرّك للعمل هو الفواكه اللذيذة وتكون مكة مثل لبنان و . .

ولا أدري هل أثرت هذه الوسائل السريعة والمريحة وغيرها في كيفية النية أم لا ؟ فهل السفر يقع من أجل التجارة والترفيه أم لأشياء أخرى ؟ لا سمح الله أن تكون مثل هذه العبادة المهمّة تقرباً للنفس .

يستحب تطييب الزاد

لا يشبّه الأمر على أحد فأنا لا أقول إنه لا تأكل طعاماً لذيذاً في مكّة المكرمة ولا تأخذ معك متاعاً ولا تشتر هدايا ، بل يستحب تطييب الزاد ، وكذلك يستحب للمسافر شراء الهدايا عند الرجوع إلى وطنه ، ولكن المقصود أن لا تكون هذه الأمور هي المحرّكة ، فلا أقل من أن يكون المشوِّق والداعي هو الحصول على الثواب والخلاص من العقاب ، وكما قلنا إن كل شخص أتىٰ بعبادة طمعاً في الثواب وخوفاً من العقاب فإن الله سبحانه وتعالى سوف يعطيه ما رجاه وأمّله حتماً ، فلو لم تكن حتى هذه النيّة خالصة فعمله لغو .

كلام علي (ع) عند المحتضر

ورد في كتاب معاني الأخبار عن أمير المؤمنين (ع) أنّه حضر عند محتضر من شيعته وكان ينازع بروحه ، فسأله عن أحواله فقال :

ـ أخاف ذنبي وأرجو رحمة ربّي ، فقال أمير المؤمنين (ع) :

ـ « ما اجتمعا في قلب عبدٍ في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمّنه مما يخاف »[1] .

المعاملة مع الله لا خسران فيها

في مثل هذه المعاملة لا طريق إلى الخسارة أبداً ، فهي ليست كالمعاملات الدنيويّة ، ولم يشترط فيها شيئاً ، أي لم يذكر أنها « لمن نشاء » بل وعد جزماً بالثواب وقال بأنه سعي « مشكور » فالمعاملة مع النفس والهوى متزلزلة ، وأما المعاملة مع الله تعالى فلا خسران فيها قطعاً .

ويقول تعالى في سورة الإسراء : ﴿ **من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنّم يصلاها مذموماً مدحوراً * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً** ﴾[2] .

* * *

(١) جامع السعادات ج ١ ص ٢٤٨ ، ورواه في إحياء العلوم عن رسول الله (ص) في المجلد ٤ الصفحة ١٢٥ .

(٢) السورة ٢٧ ، الآيتان : ١٨ و١٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩ - ﴿ قال فبعزّتك لأُغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلَصين ﴾

(سورة ص الايتان : ٨٢ - ٨٣)

مثال آخر للضميمة التبعيّة

قلنا إن الضميمة التبعية لا إشكال فيها إذا كان المحرّك الأصلي هو الشوق للثواب أو الخوف من العقاب .

ونذكر مثالاً آخر على ذلك : فلو أنه سافر للحج في هذا العام خوفاً من الله واقعاً وحذراً من الموت على دين اليهود أو النصارى فيما لو لم يحج ، ولكن كان في نظره شراء جنس معيّن من الحجاز لا يوجد في بلده ، أو يأخذ معه فرشاً ليبيعه في ذلك المكان لينتفع به ، ولا يكون هذا العمل مؤثّراً في سفره إلى الحج أبداً بل هو تبعيّ وضمنيّ .

وأما لو سافر لغرض المعاملة وللكسب فسفره هذا ليس عبادة بل

تجارة ، أو يسافر « الحملدار » قاصداً المنفعة دون قصد الثواب ، وعلى كل حال يجب الالتفات إلى الأساس لذلك العمل وما هو الدافع لذلك .

المعاوضة في العبادة

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى المسألة التي ذكرها السيّد ـ عليه الرحمة ـ في العروة الوثقىٰ حيث قال بأن العبادة صحيحة إذا كانت بقصد الثواب والخوف من العقاب ، ولكن بشرط أن لا تكون العبادة على شكل معاوضة كما هو الحال في الكثير من الأعمال المستحبة ، فالعمل العباديّ إذا وقع على شكل معاوضة فهو ليس عبادة بل معاملة ، ولا تخلو صحّته من إشكال .

مثلاً عندما يعلم بأنه إذا صلّى صلاة الزهراء (ع) فسوف تقضىٰ حاجته ، فلذلك يصلّيها وتكون بشكل أجرة يأخذها الأجير على عمل معيّن كما يأخذ عشرين توماناً مثلاً ، فهذا الشخص أيضاً يصلي ركعتين في مقابل قضاء حاجته الفلانية ، فهذه لم تعد صلاة بل هو أجير فلا تكون رجاءً للثواب بل معاوضة على ثواب أو للحصول على حاجته ويتصور أن له حقاً عند الله تعالى فيما لو صلى هاتين الركعتين عن قضاء حاجة أو الحصول على ثواب .

ماذا عندك للمعاملة ؟!

إذا كنت تتصور لنفسك حقاً وشأناً عند الله عز وجل فهو خلاف الواقع ، فأنت ماذا تمتلك حتى تريد أن تبادله بما عند الله ؟ فحتىٰ هاتان الركعتان مثلاً هما من الله تعالى . ومن أين لك القدرة على الركوع

والسجود والقيام ؟ ومن الذي خلق أعضاءك وجعلك مستوياً وسالماً تركع وتسجد بسهولة ، ومن الذي أعطى الحركة لهذه القطعة من اللحم التي في الفم وجعلك تتكلم ؟

الحق أنّه ليس لك سوى الإرادة ، والتي هي أيضاً بتوفيق الله عزّ وجل ، إذن فماذا لديك حتى تبادله مع الله وتطلب منه بدلاً وحقاً؟أينما تنظر تجد أنّه ملك لله.عندما تمدّ يدك للدعاء ، من هو خالق هذه اليد وكيف حصلت عليها ؟ كل ما لديك من أصل وجودك وصفاتك الجيدة حدوثاً وبقاءً هو من الله تعالى حيث جعلها تابعة لإرادتك ، فعندما تريد الصلاة تقف بكل سهولة ويسر ، فمن الذي سخّر لك هذا البدن الثقيل ؟

أليس هذا أعجب من المغناطيس ؟

يقول ابن سينا : « الناس يتعجبون من جذب المغناطيس مثقالاً من الحديد ولا يتعجّبون من جذب النفس الناطقة هذا الهيكل العظيم » .

هل حملت يوماً جنازة ؟ لا يستطيع شخص لوحده أن يحمل الجنازة إلا بمشقة شديدة ، فيجب أن يحملها عدّة أشخاص ، ولكن نفس هذا البدن الثقيل عندما كان في الحياة كان يتحرك بمجرد إرادة منك ، وينتقل إلى مكان آخر ! فيمكنك أن تحركه كيفما تريد .

أجل ، فالإرادات أيضاً من الله تعالى ﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله** . . ﴾ إذن فالمبادلة والمعاوضة لا معنى لها ، فعندما تسافر للحج وتنفق الأموال ، فمن هو الذي أعطاك هذه الأموال ؟ وأنت ملك لمن ؟

كل شيء ملك لله تعالى

كل شيء لله.غاية الأمر أن الشارع المقدس عيّن في قوانينه مالكاً ومملوكاً لمصلحة في ذلك ، وإلاّ فإن المعطي والآخذ وكل ما تراه يتعلق بالله تعالى ﴿ . . ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ .

إذن فاحذر أن تكون عبادتك بقصد المعاملة والمعاوضة ، ولا تظن أنك أنفقت مالاً ، وعملت عملاً ، أي تتصور أنك مالك لشيء وقد أعطيته ، وتريد عوضه من ثواب أو قضاء حاجة .

أنت لم تكن سوى حفنة من التراب والآن أيضاً كذلك،ولا تنظر إلى هذه الأيام القليلة التي أنت فيها ، ولكن انظر إلى ما في قبرك بعد موتك فسوف لا تجد سوى تلك الحفنة من التراب .

أجل ، فيد القدرة الإلهية هي التي أعطت الروح لهذا البدن ، وجعلت التراب يسمع وينطق وينظر ، ثم يرجع مرة أخرى إلى التراب .

عندما تقرأ الزيارة الجامعة أو عاشوراء فانتبه إلى من أعطاك هذا اللسان وجعله مسخّراً لإرادتك ، ولو رجعت إلى مقدّمات الأفعال الاختيارية فسوف تتحيّر أكثر .

من الذي أعطاك العقل والشعور ، وهيّأ لك الأسباب ووفقك إلى الخير ، وأزال عن طريقك الموانع و. .

إذن فلا توجد معاوضة في البين،لأنّنا لا نملك شيئاً سوى الإرادة التي هي بتوفيق من الله تعالى ، هذا أولاً :

كم هو الثمن ؟

وثانياً : على فرض أن هناك معاملة ، فلتنظر ماذا عندنا ، ليحسب الإنسان صلاته وصومه وحجّه ، ولينظر واقعاً ماذا تساوي ؟

فمثلاً عشر ركعات تستغرق مدة عشر دقائق ، ولنفرض أنها ربع ساعة ، فما هو أجر ربع ساعة من العمل ؟

أو الأشخاص الذين يقومون الليل للعبادة ، فلننظر ما هو راتب ذلك الحارس الليلي الذي يسهر الليل إلى الصباح ؟

إذن فعندما تظن أنّك مستحق للأجر ، فكم يساوي عملك إذا أريد أن تكون المعاملة بالعدالة ؟ إذا سافرت للحج ، فكم يكون ثمن ذلك ، خصوصاً الحج في هذا الزمان ؟! أو صمت مثلاً ، أي أنّك أخّرت غداءك عدّة ساعات ، والكثير من الناس يتأخر غداؤهم بسبب اشتغالهم بالأمور الدنيوية حتىٰ ينسوا طعامهم بحيث لا يأكلون شيئاً من الصباح إلى المساء ، دون أن يلتفتوا إلى ذلك .

فمن يظن أن له حقاً عند الله تعالى ويتعامل معه بهذه الصورة فهو مسكين .

إذن ، فماذا يعني رجاء الثواب ؟

إذن فالداعي يجب أن يكون « رجاء الحصول على الثواب وما عند الله تعالى من الأجر بفضله وكرمه » ليكون عمله عبادة ولائقاً للحصول على الثواب .

فالنية يجب أن تكون بإظهار الخشوع أمام الساحة الإلهية بأمل أن

ينظر الغفور الكريم والغني بالذات والذي لا حاجة له إليّ ، ولا إلى عملي وعمل أمثالي .

فالمحضر هو محضر الكرم والعطاء ، والمحرّك للعمل هو الوعد الذي وعدني به وبواسطته أرجو الثواب ، لا بعملي ، فمن أكون أنا حتىٰ يكون لعملي قيمة ؟ فلو صارت النيّة بهذه الصورة فلا يطرأ عليّ العجب لأنني لا عمل لي حتىٰ أعجب به .

العاقل لا يعجب بعمله

ولذلك نجد أن العقلاء لا يعجبون أبداً بأعمالهم ، وأما الجاهل والعديم المعرفة فإنه يتصور التبن جواهر نادرة ، ويحسب له ألف حساب ، ولكن عندما تطلع شمس الحقيقة في ساعة الموت تنكشف الحقائق ويتضح أنه لم يكن سوى تبنٍ ورماد[1] ! نعم فذلك اليوم هو ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ وتنكشف النياتّ .

دودة بدل الجوهرة

كان يسير في ليلة مظلمة بمحاذاة الجبل فوقع بصره من بعيد على شيء له بريق ، فتصور أنه جوهرة ثمينة ، فجاء إليه وأزال عنه التراب وحمله ووضعه في صندوق ، ولما أصبح في الغد ذهب إلى بائع المجوهرات وقال : إنّ عندي جوهرة نادرة وأريد بيعها ، فقال : هات الجوهرة لأراها ، فقال : لا يمكن ذلك ففيه خطر ، وينبغي لك أن تأتي بنفسك إلى البيت لتراها ، فاضطر التاجر أن يأتي إلى بيته ، فجاء إليه بالصندوق

---

(١) ﴿ مثل الذين كفروا بربّهم أعمالهم كرمادٍ اشتدّت به الريح في يوم عاصف . . ﴾ .

وفتحه فلم يجد سوى حفنة من التراب وجلد إحدى الديدان فقال متعجباً : ولكن أين الجوهرة النادرة ؟! فحكى له ما جرى معه ليلة أمس فقال : أيها الأحمق لقد منعتني من عملي لأجل هذا ، وما رأيت في الليل سوى دودة تلمع فتخيّلت أنها جوهرة .

سوف نخجل غداً من عباداتنا

نعم ، فأنت أيها العاقل سوف تخجل من نفس هذه العبادات عندما ينكشف لك الواقع ، وقد كنت تتصور أنك تتعامل بها مع الله .

انظروا إلى العظماء والصالحين كيف يظهرون العجز أمام الله تعالى ، يقول الإمام السجاد (ع) في دعاء أبي حمزة الثمالي : « وما أنا يا سيدي وما خطري » .

اللهم ألهمنا المعَرفة لندرك بها حقائق الأمور قبل فوات الأوان .



الركن الخامس

" التضرّع "

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٠ ـ ﴿ .. أخذنا أهلها بالبأساء والضرّاء لعلهم يضّرّعون ﴾

(سورة الأعراف الآية : ٩٤)

التضرّع

التضرّع لازم لحالة الاستعاذة

الركن الخامس من أركان الاستعاذة هو التضرّع ، أي أن الاستعاذة لا تتحقق عند الإنسان إلا إذا حصلت لديه حالة التضرّع ، فلو لم تحصل حالة التضرع فإن الاستعاذة تكون خالية من الحقيقة ، لأن التضرّع يعني إظهار الذلّة والمسكنة والضعف ، وقلنا في بداية البحث إن الاستعاذة هي فرار الشخص من العدوّ الذي يتبعه وهو عاجز عن دفعه فيضطرّ إلى الالتجاء إلى من له القوة ليدفع عنه ذلك العدوّ ويعينه عليه ، ومن الطبيعي أن العجز والضعف سيظهران عليه في تلك الحالة، كما هو حال الطفل الذي يفرّ من الأفعىٰ ويلتجيء إلى أمّه ويلتصق بها ، فهذه الحالة تسمىٰ الاستعاذة .

فعلىٰ هذا يكون الشخص الذي يدرك أن الشيطان عدوّه ويريد

الهجوم عليه ، وهو غير قادر على دفعه والخلاص من شره مضطراً إلى الالتجاء إلى ربّه القادر الرحيم ، ولسان حاله يقول : « واغوثاه من عدوّ قد استكلب عليّ » .

بيان حالة التضرّع من خلال الأدعية المرويّة

كلما تحصل حالة الاستعاذة بالله من شرّ الشيطان لدى المؤمن فمن المناسب أن يظهر تضرّعه من خلال قراءته للأدعية الواردة في هذا الصدد ، ومن جملة ذلك ما ورد في دفع شرّ إبليس :

« اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ، يراني من حيث لا أراه ، وأنت تراه من حيث لا يراك ، وأنت أقوى على أمره كله ، وهو لا يقوى على شيء من أمرك ، اللهم فأنا أستعين بك عليه يا ربّ فإني لا طاقة لي به ، ولا حول ولا قوة لي عليه إلاّ بك ، يا ربّ ، اللهم إن أرادني فأرده وإن كادني فكده ، واكفني شرّه ، واجعل كيده في نحره برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين »[1] .

أليس الله بكافٍ عبده

ولا شك أن الإنسان لو التجأ إلى ربّه وهو في حالة التضرع ، - أي يجعل نفسه ذليلاً بين يدي الله تعالى ومحتاجاً إليه فقط ، ويرى نجاته بيده ولا يطلبها إلا منه ، فإن الله تبارك وتعالى سوف ينقذه حتماً من ذلك الملعون : ﴿ أليس الله بكافٍ عبده . . ﴾[2] .

---

(١) دعاء دفع شر إبليس ، حاشية كتاب « مفاتيح الجنان » ص ٢٦٦ .

(٢) السورة ٣٩ الآية : ٣٦ .

وسوف نبيّن آثار التضرع بين يدي الله عزّ وجل إن شاء الله .

كيف يمكن الفرار من الخناس

إذا قيل : وكيف يمكن للإنسان المسكين الذي لا يرى الشيطان ولا يعرفه ، وهو جاهل بمكائده وشره أن يهرب منه ، وتحصل لديه حالة التضرّع عند استعاذته بالله تعالى منه ؟

وخلاصة الإشكال هي أن الهرب من العدو المجهول غير معقول ، فكيف الأمر بحصول حالة التضرّع والاستعاذة .

نكشف العدو من آثاره

والجواب هو أن معرفة العدو وتشخيصه لا يكون برؤيته بالعين فقط ، بل يمكن معرفته من خلال آثاره القطعيّة ، فمثلاً لو أصاب الإنسانَ سهم أو حجر في ليلة مظلمة من جهة معيّنة فسوف يعلم أن العدو يتربّص به ويقصد قتله أو سرقة أمواله .

فعند ذلك سوف يفكر بالاختباء أولاً قبل التحقيق في هوية ذلك المعتدي ، فإن كان هناك بيت على مقربة منه فسوف يطرق باب البيت ويستغيث بصاحبه ، ويتوسل إليه طالباً منه أن يغيثه من عدوه الذي لا يقدر على دفعه ، فعلى هذا يجب على من يحسّ باعتداءات الشيطان ومصائده أن يفكر أول الأمر بالالتجاء إلى مكان حصين .

اعتداؤه غير محسوس أيضاً

إذا قيل : ليس الشيطان بنفسه غير محسوس فحسب ، بل حتى

ضرباته وهجوماته غير محسوسة أيضاً ، فكيف يتمكن الشخص الذي لا يحس بضربة العدو الهرب منه والاستعاذة بشيء آخر ؟

والجواب على ذلك أن ضـ .بات العدو محسوسة ، وهي الوسوسات والشكوك والتفكرات الخاطئة التي تخطر على قلب الإنسان في الليل والنهار ، بحيث لا يغفل عن الإنسان لحظة واحدة .

هل ينام الشيطان ؟

سأل شخص أحد العلماء الصالحين : هل ينام الشيطان مثل بني آدم ؟

فأجاب : إذا كان للشيطان نوم في ساعات الليل أو النهار فسوف يتخلص الإنسان من شره في تلك المدة ، ولكننا نرى أنه لا يغفل لحظة واحدة عنه ولا يتركه مطلقاً (وطبعاً الجواب العلمي لذلك هو أن الشيطان ليس من جنس المادة حتى يحتاج إلى النوم ، ولكن كلامه لبيان نكتة لطيفة)

علائم هجوم الشيطان

ولو قيل : كيف يعلم الإنسان المسكين أن هذه الفكرة والخاطرة شيطانية ، وأنها سهم من سهامه استقر في قلبه حتى يهرب منها ويتضرّع إلى الله ؟

والجواب بشكل عام هو أن كل خاطرة تؤدي إلى الانقطاع عن الله تعالى واضطراب القلب والشك في الله ورسوله واليوم الآخر فإنها شيطانية قطعاً ، وهكذا بالنسبة إلى الخواطر الرحمانية حيث تكون نتائجها إيجابية

فتزيد الأمل بالله والاطمئنان إليه والإيمان باليوم الآخر .

وأيضاً فكل خاطرة توجب البعد عن الله تعالى والحرمان من ثوابه أو استحقاق غضبه وعذابه فهي من الشيطان ، كما أن كل خاطرة يؤدي اتّباعها إلى القرب من الله تعالى والحصول على الثواب فهي من الرحمن .

الخاطرة التي يعلم أنها رحمانية

وأما شرح هذا المطلب بالتفصيل فهو أن الخواطر التي تخطر على القلب في الليل والنهار ثم تأتي الإرادة والشوق لتحققها عمليّاً على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : هي ما يعلم الإنسان أنها رحمانية واضحة ، كما لو خطر على قلبه في وقت الصلاة أن قم وصلّ ، أو عندما يجد محلاً للإنفاق ويخطر الإنفاق على قلبه ، وهكذا الخواطر مثل : لا تبخل وصِل رحمك ولا تحرم من طلب منك حاجة بل اقض له حاجته ، واعف عن الشخص الفلاني الذي قال عنك كذا وكذا ، وأنصف الناس عند المعاملة ، وساعد الضعيف وغيرها من الموارد التي أمر بها الله تعالى .

الخاطرة التي يعلم أنها شيطانية

القسم الثاني : وهي التي يعلم أنها شيطانية ، ومواردها تكون بعكس القسم الأول ، أي كل مورد نهىٰ عنه العقل والشرع ، كما لو أصابك خير فإنه يخوّفك من الفقر ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر** ﴾ ليمنعك من الإنفاق ، أو يقول لك : لعل هناك مورداً أهم من هذا المورد ، أو أن الشخص الفلاني الذي يملك أكثر مني يجب أن يدفع وهكذا .

أو الرغبة في الانتقام من المسيء بأضعاف إساءته ، فلو سمع منه سباباً واحداً فإنه يريد أن يجيبه بأكثر من ذلك ، وعندما يتألم من أحد أقربائه يريد قطع رحمه ، أو عندما يسمع أن أحداً اغتابه وأفشىٰ عيبه فنراه يريد أن يكشف كل عيب له ويفضحه في مقابل ذلك حتى يصل به إلى التهمة ، ولو دخل الحسد إلى قلبه نراه يخطط لإزالة النعمة عن صاحبه .

وعلى كل حال فالخواطر الشيطانية في معاملات الناس أكثر من أن تحصى ، ولا تخفى على من له اطّلاع وعلم بأوامر ونواهي الشارع المقدّس .

الخواطر التي تحتاج إلى الدّقّة

القسم الثالث : الخواطر الشيطانية التي تحتاج للكشف عنها إلى دقة وتمحيص ، أو التي يعلم بها بعد الوقوع في المفسدة التي أعدّها الشيطان ، وهذا القسم على أنواع عديدة : منها الخواطر التي يريد الشيطان أن يجعل الإنسان غافلاً عن ذكر الله تعالى ، كالخواطر التي ترد حال الصلاة أو العبادات الأخرى لتمنع القلب من الحصول على الفيض الإلهي ، وتحرمه من الثواب ، وتارة تنفذ إلى خيال الإنسان إلى درجة أن الشخص يكون ملعبة بيد الشيطان كما في هذه القصة .

بائعة اللبن

قيل إنها كانت تحمل إناء اللبن على رأسها وتتجه به إلى المدينة لتبيعه . وفي الطريق أخذت تفكر بأنها سوف تبيع هذا اللبن ، وسوف تتخلص من التعب حيث ستحصل على المال الكافي ، وستوفّر مقداراً منه حتىٰ يجتمع لديها ما يكفي لشراء نعجة ، فتستفيد من لبنها وصوفها ، ثم

تتوالد ، وبعد مدة سيكون عندها عدة نعاج تبعثها مع ابنها للرعي في المحل الفلاني ، ولكن يمكن أن يحدث سوء تفاهم مع فلان وفلان ويؤدي إلى المشاجرة ، فلو ضربوا ولدي سأنتقم له وأضربهم بالعصا ، وحينما رفعت العصا لتضرب خصمها الخيالي أصابت العصا إناء اللبن وسقط على الأرض .

التأثر من الماضي والمستقبل

وتارة تكون الحوادث الماضية مؤثرة في قلب الإنسان ، وتؤلمه حتى تجعله يغضب من قضاء الله ويخرج من مقامات الصابرين ومنزلة أهل الرضا والتسليم .

والأقبح من ذلك أن تؤثر في الإنسان الحوادث المستقبلية والتي لم تقع بعد ، فما الذي سيحدث غداً ؟ لعل سيكون كذا أو سيكون غير ذلك ، وماذا سأفعل أنا ؟ في حين إنه قد لا يكون له غد ، أي يحين أجله ويموت ، ولكن هذه الخواطر قد تؤدي بالإنسان إلى الهلكة في بعض الأحيان .

الحوادث التي شاهدتها

قبل عدّة سنوات باع أحد الأشخاص قطعة من الأرض بقيمة ثلاثين توماناً للمتر الواحد ، وكان قد اشتراها بثلاثة تومانات للمتر الواحد ، وبعد عدة أيام باعها ذلك المشتري بتسعين توماناً للمتر الواحد ، وباعها المشتري الثاني بثلاثمائة تومان للمتر الواحد .

فوقع البائع الأول المسكين فريسة للخواطر الشيطانية ، وأخذ يلوم

نفسه قائلا : لماذا تسرّعت في بيعها ؟ لـو صبرت أسبـوعاً واحـداً لبعتها بعشرة أضعاف قيمتها ولأصبحت مليونيراً . . وهكذا .

والخلاصة أنه بقي لمدة أسبوع على هـذا الحال من النـدم والجزع ، وأخيراً شرب مقداراً من الزرنيخ وانتحر .

وأعرف شخصاً آخر باع كـل ما يملك واشتـرى عقاراً بمبلغ مـائتين وخمسين ألف تومان (طبعاً قبل عدَّة سنـوات) فلما استلمه علم أنـه قد غرِّر به فالعقار لا يساوي ذلك المقدار ولا بنصف قيمته ، وأخيراً مـرض المسكين ومات حسرة بسبب ذلك .

ماذا أصنع بعد ثلاث سنوات ؟

قبل ثلاثين سنة أفلس أحد التجار في مدينة شيراز وجلس في بيته ، وأخذ يبيع من أثاث بيته وينفقه في مخارجه ، وفي أحد الأيام أخذ يفكـر بأنني إذا بقيت على هذا المنوال فإلى متىٰ أستطيع الاستمرار كذلك ؟ فأخذ يحسب قيمة ما عنده من الأثاث والأملاك ويقيسها عـلى مخارجـه اليوميـة حتى خرج بنتيجة أنه يستطيع الاستمرار كذلك لمدة ثلاث سنوات ، فقال في نفسه : ولكن ماذا أصنع بعد ثلاث سنوات ؟ هل يصح أن أتسوّل في الشـوارع والمعابـر بعد ذلـك ، وأمدّ يـدي إلى الآخرين مـع أن النـاس يعرفوني ؟! وفي آخر الأمر ونتيجة لهجوم الخـواطر الشيـطانية عـلى فكره تجرّع السم وانتحر .

هناك الكثير من أمثال هذه الحوادث ، ولكن ما ذكـرنا كـان للعبرة ومعرفة حيل الشيطان وضرباته على قلب الإنسان ، فنحن نسمع في كل

عام أن بعض الطلاب الذين لم ينجحوا في امتحانات البكالوريا ينتحرون أو يصابون بأمراض نفسية وروحية .

الغفلة عن الله مصيدة الشيطان الكبرى

إذا قيل : إن الإنسان الذي لا يستطيع المقاومة أمام هذه الضربات والخدع الشيطانية وهو عاجز عن دفعها فهو إذن معذور .

فنقول : إن هذا الضعف والعجز بسبب ضعف الإيمان بالله ، حيث لا يراه رازقاً ولا يرى نعمه الكثيرة التي لا تعدّ ، ويكفر بدل الشكر ، ويتصور أن الأسباب مستقلة في التأثير ، فيتوكل على هذه الأسباب بدلاً من التوكل على الله والاعتماد عليه ، وكذلك الغفلة عن الموت واليوم الآخر .

الملائكة تلقي الخواطر الرحمانية أيضاً

والشيء الآخر هو أن هذه الخواطر السيئة التي يلقيها الشيطان في قلب الإنسان يقابلها خواطر رحمانية يلقيها ملك إلى القلب أيضاً ، ولا شك أن الشخص الذي يقول له الشيطان انتحر واقتل نفسك لتتخلص ، يقول له الملك أيضاً في نفس الوقت لا تفعل ذلك فتكون شقيّاً وسيئ العاقبة ، ولكن الشخص الذي قضىٰ عمره في خدمة الشيطان وطاعته كيف يؤثر فيه النداء الرحماني .

مصائد الشيطان بواسطة العبادة

والنوع الآخر من مصائد الشيطان هو الخواطر التي تكون حسنة في بدايتها ولكن نتيجتها شرّ وهلاك ، كأن يُخطر في قلب الإنسان أمراً

مستحباً لكي يفوّت عليه واجباً ، أو يقع في محرّم ، أو يظهر له الحرام والمعصية بلباس العبادة والطاعة فيرتكبها ويحسب أنه يحسن صنعاً .

أو أنه يأمره بفعل أحد الواجبات ولا يتركه بعد ذلك حتى يوقعه في العجب أو الرياء حتى يبطل عمله ويكون من سيئاته .

وبما أن هذا النوع من المكائد شائع بين الناس ومحل ابتلائهم ومعرفته ضرورية لخفائه ، نذكر لذلك عدّة أمثلة :

١ ـ ارتكاب المنكر في النهي عن المنكر

عندما يجد شخصاً يبول باتجاه القبلة ويحتمل أنه لا يعلم أن ذلك محرّم فينبغي عليه إرشاده بالكلام الليّن وإفهامه أن التبول مع استقباله القبلة أو استدباره لها حرام ، فإن لم يكن يعرف اتّجاه القبلة أرشده إلى ذلك .

ففي هذه الصورة إذا تدخّل الشيطان في النهي عن المنكر فسوف ينهاه بالكلام الخشن والقاسي بدل الكلام الطيب ، أو أنه بدل قوله إن التبول وقوفاً يؤدي إلى ترشح البول على البدن واللباس ويسبب نجاستها فإنه يقول له : لماذا تبول كما يبول الكلب ، ويسبّه ويشتمه فيكون قد ارتكب أحد الكبائر ، ففي الوقت الذي يتصور فيه أنه قد نهىٰ عن المنكر يكون هو قد وقع في المنكر .

٢ ـ الدقّة في التربية الدينية للطفل

لو لم يكن الابن مصلّياً ، فوظيفة الأب بالدرجة الأولى نصيحته بكامل المحبة واللطافة ليرغبّه في الصلاة ، وأما لو زجره أول الأمر وضربه

وأخرجه من البيت ولم يعطه نفقته حتى يصل الأمر بالولد إلى السرقة ، ويصبح بعد مدّة من الأشرار والأوباش ، ويكون الأب بذلك قد ارتكب معصية كبيرة وهو يتصور أنه قد نهىٰ عن المنكر .

٣ ـ قراءة القرآن رياءً

كان لأحد الأشخاص صوت جميل ، وكان يعرف اصطلاحات القرّاء ، فكان الشيطان يقول له : اقرأ القرآن بصوت مرتفع مع مراعاة الاصطلاحات لينتفع الناس بذلك ، وبعد الشروع بقراءة القرآن وبسبب مرافقة الشيطان له أخذ يغفل عن ذكر الله والتوجّه إلى معاني القرآن ، بل أخذ يهتم باستماع الناس له ، ويلتذ من تحسين الناس ومدحهم ، بحيث يدفعه ذلك إلى الإكثار من القراءة ليزيد من لذّاته النفسيّة .

قراءة القرآن مستحبة ، إلا أن الشيطان لا يحرمه من القراءة فحسب ، بل يجعله مذنباً ومشركاً ، ثم يصير مطروداً مثله .

٤ ـ المحراب والمنبر وسيلة الشيطان

أحد طلاب العلوم الدينية لقّنه الشيطان بأن يرشد الناس بعلمه ويجيب على أسئلتهم ومن خلال ذلك زيّن له الشهرة إلى أن صار عمله بقصد الشهرة بين الناس وإظهار علمه وفضله الديني ، في حين أنه ابتعد بذلك عن الله .

ويقول الشيطان للشخص الذي له قدرة على الخطابة والكلام ، بأنّ المنبر والمحراب هما محل الأنبياء والأئمة ، وأنت نائبهم ويجب عليك إرشاد الناس لينتفعوا من صلاة الجماعة والمواعظ الدينية ويخافوا الله ، ومن

خلال ذلك يزّين له حبّ المنزلة والمال وكثرة الأتباع ، ويجعله مستأنساً بالمدح والثناء ، حتى يستغل المنبر والمحراب من أجل هذه الأطماع الشيطانية ، وتكون النتيجة أن تصبح درجات المنبر دركات جهنم في الآخرة ، ويصير محرابه حفرة من حفر النيران .

٥ ـ الخلوة بالمرأة الأجنبية

قد يحدث أن يجتمع رجل وامرأة أجنبية في مكان منفرد لا يدخل عليهما فيه أحد ، فمن الطبيعي أن لا يتركهما الشيطان على هذه الحال دون أن يسوّل لهما ويوقعهما في ارتكاب الحرام ، فالواجب عليهما أن يفهما أن الخلوة بالأجنبية حرام مع احتمال الوقوع في الحرام ، فحتّى لو اشتغلا بالعبادة فسوف لن تنفعهما وتقع باطلة .

ولأجل إدراك مفسدة الخلوة بالأجنبية ينبغي قراءة قصة العابد صيصاي التي ذكرناها فيما سبق .

ميزان الخير والشر في الإسلام

إذا قيل إنه بناءً على ذلك يجب أن لا نعمل بالخواطر الخيّرة التي ترد على قلوبنا ، لأنها يمكن أن تكون من الشيطان ، أو أن الشيطان سوف يفسدها ، ولن يترك الإنسان إلّا بعد أن يوقعه في المعصية .

فالجواب أنه حاشا أن تكون هذه المواعظ موجبة إلى ترك العمل بالخيرات والعبادات ، ولكنّ المقصود من ذلك حصول حالة الاستعاذة بالله من شر الشيطان .

وتوضيح ذلك أن كل خاطرة حسنة تخطر على القلب يجب أن نزنها

بميزان الشرع أولاً ، فإن كانت مطابقة لأمر الله فيجب الانتباه والحذر من الشيطان القابع في الكمين ليمنع أن تقع عبادتنا خالصة لله ، ولا يترك الإنسان حتى يفسد عليه نيّته .

الحل هو الاستعاذة الحقيقية

ولا طريق سوى الهرب من الشيطان والاستعاذة بالله تعالى ، إذن فيجب أو يستحبّ ـ قبل الشروع بالعمل الصالح ـ أن يستعيذ بالله بأن يقول بلسانه : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ويكون لسانه حاكياً عمّا في قلبه . اذن فكل أمر صالح يعرض للمؤمن ويخطر على قلبه ويكون مطابقاً لما أمر به الشارع المقدس ينبغي الأخذ به ، بل المسارعة إلى فعله ، ولكن مع الهرب من الشيطان والاستعاذة بالرحمن حتى لا يرافقه الشيطان في عمله ، ولكي يقع عمله صحيحاً وينال بذلك الثواب والقرب من الله تعالى .

العدوّ المبين على لسان القرآن

وقد ذكر الله تعالى في عدّة مواضع من القرآن أن الشيطان هو العدوّ الأساسي للإنسان ، وحذّر الإنسان من كيده وخدعه وشرّه ، وأمر بالفرار منه ومعاداته حيث يقول :

﴿ . . ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين * إنّما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾[1] .

---

(١) السورة ٢ الآيتان ١٦٨ ـ ١٦٩ .

﴿ . . أفتتخذونه وذرّيّته أولياء من دوني وهم لكم عدوّ . . ﴾[1] .
﴿ إنّ الشيطان لكم عدوّ فاتّخذوه عدوّاً . . ﴾[2] .
﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين ﴾[3] .

إذن فالشخص الذي يؤمن بالله ورسوله يجب عليه معاداة الشيطان وأن يتّخذه عدواً ويرى في اتّباعه مهلكة لنفسه .

ويتّضح مما ذكرنا أن محبة الشيطان تعني اتّباع الخواطر والوساوس السيئة وأوامر الشيطان ، كما أن معاداته تعني مخالفته وعدم إطاعته .

صعوبة مخالفة الشيطان

وبما أن جميع الوساوس والخدع الشيطانية تكون مطابقة للميول والرغبات النفسية والشهوات الحيوانية ، فلذلك كانت مخالفته صعبة جدّاً وثقيلة على النفس .

فمثلاً لو أن أحداً كان يحبّ العسل حباً شديداً ، والعسل موجود أمامه إلّا أن الطبيب الحاذق يقول له : أنا أعلم بأن العسل مضرّ لك ولكن شخصاً آخر يقول له : من يقول بأن هذا الطبيب حاذق ، أو أنه مصيب في تشخيصه ؟ ولعله أراد أن لا تلتذ بهذا العسل ، والعكس هو الصحيح ، فالعسل مفيد جداً . وهكذا ، فمن الذي يسمع كلام الطبيب في مثل هذا الحال ؟

---

(١) السورة ١٨ الآية ٥٠ .
(٢) السورة ٣٥ الآية : ٦ .
(٣) السورة ٣٦ الآية ٦٠ .

أو أن شاباً اجتمع مع امرأة أجنبية في مكان منفرد ، فجاء الشيطان ووسوس لهما وشوّقهما للحرام ، فمن الصعب مخالفة الشيطان واتّباع الخواطر الرحمانية التي تأمر بترك هذا المنكر .

عمر بن سعد بين الخواطر الرحمانية والشيطانية

كما حدث ذلك بالنسبة لعمر بن سعد الذي كان يحب الدنيا والرئاسة والحكومة حباً جماً ، فكانت الخواطر الشيطانية تزيّن له ملك الرّيّ ، ولكن بشرط قتل الحسين (ع) ، فكان أن أتّبع الأوامر الشيطانية ، التي أمره بها الشيطان الإنسي ابن زياد ، وترك الخواطر الرحمانية وهي ترك ملك الرّيّ وعدم قتل الحسين (ع) التي كان ينصحه بها كامل صديق أبيه سعد بن أبي وقاص ، كما هو مذكور في كتب المقاتل ، لأنّ هذه الإرشادات والنصائح كانت على خلاف ميله النفسي .

الشيطان يثير الغرائز والأهواء

وفي الحقيقة كما أن الكلب الجائع لا يترك المكان الذي توجد فيه العظام والميتة ، فكذلك قلب الإنسان إذا كان مليئاً بحب الدنيا والشهوات فإن الشيطان لن يتركه ، وما دام كذلك فسوف لا يصدر منه عمل بإخلاص .

فاتّضح أن السبب في هلاك الإنسان هو هذه الأهواء النفسية والشهوات الحيوانية ، وأمّا عمل الشيطان فهو تحريك هذه الميول والشهوات ، وتشويقها بارتكاب المحارم ، ولتوضيح ذلك أكثر نذكر هذه الآية الشريفة :

لوموا أنفسكم

﴿ وقال الشيطان لمّا قضي الأمر إنّ الله وعدكم وعد الحقّ ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمُصرِخكم وما أنتم بمصرِخيّ . . ﴾[1] .

فالسبب المهم لتوغّل الشيطان إلى القلب وإغواء الإنسان هو هذه الأهواء النفسية .

وبعبارة أخرى : إن العدو الداخلي وهو الأهواء والميول النفسية قد تحالف مع العدو الخارجي وهو الشيطان للاستيلاء على قلب الإنسان وتسخيره ، ومن ذلك يظهر ضعف الإنسان وعجزه .

يا غياث المستغيثين

أجل ، فلو توجّه الإنسان في هذه الحال إلى ربّه ، وعرض عليه حاله والتجأ إليه وطلب منه المعونة والمدد ، فلا شكّ أن الله سبحانه وتعالى سوف يجيبه إلى ذلك وينصره على عدوّه : « أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء . . » .

يقول الإمام الرابع زين العابدين (ع) في دعاء يوم الجمعة :

- « ولا ينجيني منك إلاّ التضرّع إليك وبين يديك » .

ويقول (ع) في دعاء الصحيفة السجادية في الصفحة العاشرة :

---

(١) السورة ١٤ الآية ٢٢ .

ـ « نحن المضطرون الذين اوجبت إجابتهم وأهل السوء الذين وعدت الكشف عنهم » .

ويقول (ع) أيضاً في الدعاء ٣٢ :

ـ « قد ملك الشيطان عناني في سوء الظن وضعف اليقين فأنا أشكو سوء مجاورته لي وطاعة نفسي له وأستعصمك من ملكته وأتضرع إليك في صرف كيده عنّي » .

لماذا تركوا التضرّع إلى الله ؟

ولأجل أن نعلم أن التضرّع والتوسّل إلى الله تعالى يؤدّي إلى النجاة من كل شر وبلاء ، وأن الله تعالى ينقذ المتضرّعين حتماً ، لنتأمّل هذه الآية الشريفة : ﴿ **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا ، ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون** ﴾[1] .

فلو أنهم تذكّروا الله تعالى في ساعة العسر والبلاء وتوسّلوا إليه وتضرّعوا فإن الله عز وجل سوف يكشف عنهم العذاب حتماً ، إلاّ أن الشيطان أنساهم ذكر الله وكانوا مشغولين بالشهوات .

أجل ، فالشخص الذي ينسى ذكر الله ويرى الأسباب المادية مستقلّة في جلب المنفعة ودفع المضرّة ، ويتصور أنه محتاج إليها فلا يستطيع التضرع إلى الله تعالى حتىٰ ينجيه من العذاب وينقذه منه .

قصّة يوسف عبرة للآخرين

وكذلك ينبغي التأمّل في قصّة يوسف (عليه السلام) وابتلائه مع

---

(١) السورة ٦ الآية ٤٣ .

زليخا في مكان منفرد ، حيث التجأ إلى الله فأنجاه الله بصورة عجيبة من ذلك الفخّ ، وقد خصّص الله تعالى سورة كاملة في القرآن للتحدّث عن قصّة يوسف لتكون عبرة للمسلمين وأسوة لهم في حياتهم .

﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب . . ﴾(١) .

ومن المناسب أن نذكر هذه اللقطة من قصة يوسف بشكل مختصر .

مع عزّتها أصبحت أسيرة العشق !!

مع أن يوسف كان في الظاهر عبداً اشتراه عزيز مصر ، ولكن آثار الجمال والوقار وسيماء الكرام كانت بادية على محاسنه ، حتى كان محترماً جداً لدى عزيز مصر ، وكان يعيش في داخل القصر الملكي ، وقد أوصى العزيز زوجته زليخا بالاهتمام به حتى يبلغ سن الرشد .

وقد أحبّته زليخا لجماله وكماله المنقطع النظير ، فلما كبر يوسف لم تستطع زليخا أن تكتم عشقها له ، ومع تلك العزّة والسلطنة صارت ذليلة عشق يوسف ، وكما سعت في إظهار حبّها وعشقها بالتودّد إليه وإظهار محاسنها ومفاتنها أمامه لتصطاد بذلك قلبه ، لم تقدر على ذلك . ولم يكن جواب يوسف سوى السكوت وعدم الاعتناء بها .

عاشق الجمال الحقيقي

أجل ، فقد كان يوسف عاشقاً ربّه ومترفّعاً عن شهواته الحيوانية ،

---

(١) سورة يوسف الآية ١١١ .

وكان من عشقه وحبه للجمال المطلق أنّه لم يقع أسير الجمال الجزئي والفاني .

وأخيراً اضطرت زليخا أن تهيّىء آخر غرفة في قصرها المليء بالغرف المتداخلة ، وزيّنتها بأنواع الأسباب المهيجة للشهوة الحيوانية ، وهيأت نفسها كذلك ، وكانت شابّة جميلة ، ثم استدعت يوسف (ع) وأغلقت الباب وأسدلت الستائر وكانت تتصوّر أنه سوف لا يمتنع مطلقاً ولا يردّ لها طلباً لأنها سيّدته .

فكان أن عرضت له نفسها وقالت : ﴿ هَيْتَ لك . . ﴾ تعال إليّ .

لا ملجأ إلاّ الله

إذا دقّقنا النظر في حال يوسف في هذا المقام لَعلمنا كم هو في خطر عظيم ، فمن جهة غرائزه وشهواته الحيوانية تريد منه ذلك ، ومن جهة أخرى الوساوس الشيطانية وقوّة الشباب كذلك ، ثم إصرار امرأة العزيز وغلق الأبواب ، وعدم وجود أي مانع يمنعه من ذلك ، فلا منقذ ولا ملجأ إلا الله تعالى .

أجل ، فقد كان قلب يوسف مليئاً بالإيمان وحبّ الله ، فلم يكن يخضع لأي شيء سوى الله ، فلم يضطرب في هذا الحال ولم يخسر نفسه ولم يغفل عن حضور الحق تعالى ، فكان أن التجأ إلى الله بكل إحساساته واستعاذ به .

استعاذة يوسف بالله تعالى

ففي مثل هذا الحال قال يوسف : ﴿ . . معاذ الله إنه ربي أحسن

مثواي (لا أنت ولا زوجك) إنّه لا يفلح الظالمون ﴾ .

أي أن جميع إحسانك لي واحترامك وتفضّلك علي هو من الله تعالى ، فأنا التجىء إلى الله وأطيع أمره ، وبما أنك تطلبين ما لا يرضاه ربّي فسوف لا أطيعك أبداً بعد كل هذه النعم التي أنعمها الله عليَّ ، فهو ظلم ، والظالمون بعيدون عن الله عزّ وجل .

المدد الإلهي ليوسف

وبما أن يوسف كان عبداً مخلصاً ومؤمناً ، وقد التجأ إلى الله في هذه الحالة الخطيرة ، فلذلك أشرق الله تعالى في قلبه من نور الإيمان والمعرفة بقوة بحيث لم يقصد ارتكاب الذنب ، إضافة إلى عدم فعله ، ولم يؤثر فيه كل تلك التهديدات والتوسّلات من زليخا ، بل نجده يهرب منها ويهجم على الباب للتخلص من شرّها ، فلحقته زليخا ، إلا أن يوسف وصل قبلها ، فأمسكت زليخا بقميصه من الخلف وسحبته حتى لا يصل إلى الباب ، فكانت النتيجة أن تمزّق قميص يوسف من الأعلى إلى الأسفل ، ولكن يوسف تمكن من فتح الباب والهرب إلى خارج الغرفة ، فركضت زليخا خلفه ، وفجأة شاهدا العزيز أمامهما .

فما كان من زليخا إلا أن سبقت يوسف بالكلام وألقت اللّوم على يوسف وشكت لزوجها منه ، وادّعت أنه هو الذي أراد بها سوءاً فيجب مجازاته وتأديبه حتى لا يفعل ذلك مرّة أخرى .

واضطّر يوسف أن يقول الحقيقة ، وأن زليخا هي التي أرادت به السوء وعند ذلك نطق الطفل الذي كان في المهد بقدرة الله تعالى وقال ·

﴿ . . إن كان قميصه قدَّ من قُبُل فصدقت وهو من الكاذبين * وإن كان قميصه قدَّ من دُبُر فكذبت وهو من الصادقين ﴾(1) .

ابتلاء يوسف ببقية النساء

وقد لامت نساء الأشراف في مصر زليخا على عشقها ليوسف ، وأخذن في تقريعها وتوبيخها ، فأرادت زليخا أن يفهمن أنها عشقته دون اختيار منها ، وأنهن إذا رأين يوسف سيقعن في حبه وعشقه ، فلذلك دعت نساء الأشراف إلى وليمة ، وأحضرت يوسف إلى تلك الوليمة فلما رأين جمال يوسف عشقنه ، وكانت السكاكين تمر على أصابعهن بدل الفاكهة فتقطعها .

ومن هنا اشتدّ بلاء يوسف ، ففي السابق كان ابتلاؤه بواحدة ولكن بعد هذه الجلسة أصبح مبتلى بكيد نساء مصر الشابات الجميلات ، ولذلك تضرّع بكل عواطفه إلى الله وتوسّل به أن ينقذه مما هو فيه :

﴿ . . وإلاّ تصرف عنّي كيدهن أصْبُ إليهنّ وأكن من الجاهلين ﴾ .

فاستجاب الله تعالى لندائه واستغاثته وقوى قلبه بنور اليقين بحيث غلبهنّ ولم يصب إليهنّ وأبطل كيدهنّ **﴿ فاستجاب له ربّه فصرف عنه كيدهنّ إنّه هو السميع العليم ﴾** . حتى وصل به الإيمان إلى ترجيح السجن على التسليم لإرادتهن .

---

(1) سورة يوسف الآيتان ٢٦ ـ ٢٧ .

قصة يوسف عبرة للناس

ويتّضح من هذه القصة أنه يجب على كل مؤمن أن يلتجىء إلى ربّه عند اشتداد الشهوات النفسية وكثرة الوساوس الشيطانية من الإنس والجن ، وان يستغيث بربه لكي يستجيب له الله تعالى وينقذه مما هو فيه .

وأخيراً نذكر في خاتمة البحث كلام أمير المؤمنين وإرشاداته في هذا الصدد .

علي (ع) يستعيذ بالله

قال نوف البكالي : رأيت أمير المؤمنين صلوات الله عليه مولّياً مبادراً ، فقلت : أين تريد يا مولاي ؟ فقال (ع) : دعني يا نوف ، إن آمالي تقدمني في المحبوب ـ فقلت : يا مولاي وما آمالك ؟ قال (ع) :

ـ قد علمها المأمول واستغنيت عن تبيينها لغيره ، وكفى بالعبد أدباً أن لا يشرك في نعمه وأربه غير ربّه . فقلت :

ـ يا أمير المؤمنين إني خائف على نفسي من الشره والتطلّع إلى طمعٍ من أطماع الدنيا . فقال لي : وأين أنت عن عصمة الخائفين وكهف العارفين ؟ فقلت : دلّني عليه . قال (ع) :

ـ الله العلي العظيم ،تصل أملك بحسن تفضّله وتقبل عليه بهمّك[1]

انتهى بحمد الله

(١) بحار الأنوار : المجلد ١٩ كتاب الدعاء ، باب الأدعية والمناجاة .

الفهـرس

الموضوع الصفحــة

أركان الاستعاذة

الركن الأول : التقوى

الركن الثاني : التذكّر

الركن الثالث : التوكّل

الركن الرابع : الإخلاص

الركن الخامس : التضرّع

الخواطر الشيطانية والخواطر الروحانية ـ الغفلة عن الله مصيدة الشيطان الكبرى ـ الدقة في التربية الدينية للطفل ـ المحراب والمنبر وسيلة الشيطان ـ لوموا أنفسكم ـ يا غياث المستغيثين ـ قصة يوسف عبرة ـ لا ملجأ إلاّ الله .